المصادر الأندلسية ، ٢١

أحمد بن قاسم الحجري
(ت. بعد ١٦٤٠ م)

كتاب ناصر الدين على القوم الكافرين



تحقيق وتقديم وترجمة

شورد فان كوننكزفلد   قاسم السامرائي
خيرارد فيخرز



المجلس الأعلى للأبحاث العلمية
الوكالة الإسبانية للتعاون الدولي



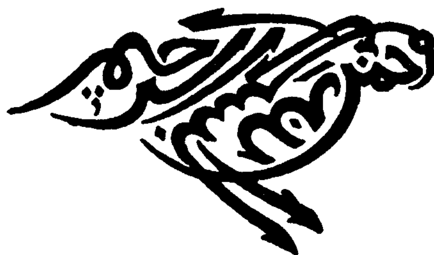
كتاب
ناصر الدين
على القوم الكافرين



المصادر الأندلسية ، ٢١

أحمد بن قاسم الحجري
(ت. بعد ١٦٤٠ م)

كتاب
ناصر الدين على القوم الكافرين



تحقيق وتقديم وترجمة

شورد فان كوننكزفلد قاسم السامرائي
خيرارد فيخرز

المجلس الأعلى للأبحاث العلمية
الوكالة الإسبانية للتعاون الدولي

محتوى الكتاب

بســم الله الرحمن الرحيــم

وبه نستعيــن

صلّى اللّه على سيّدِنا وَمَولانا مُحَمّد وآله وصحبهِ وسلَّم تسليمــاً
الحَمْدُ للـهِ وَحْدَه وَصلّـى اللّـهُ عَلـى سَيِّدنا محمد عبده ورســوله
ورضي الله تعالى عن آلــه واصحابـه وعـن التـابعين لَـهُ فـي دينــه
وبعْــــــــد:
فيَقُولُ العبْدُ الفقيرُ إلَى اَللّـه تعــالى؛ الرَاجــي عفــوهِ وغفرانِــه
ورحْمَتِـه بشفاعـةِ نَبيِّـهِ المَذْكُور في كُتُبِـه وأَفْضَلها كَلاَمَــه العزيـزُ
في قُرْءَانِـه؛ أحْمَد بـن قَاسِم بـن أحْمَد ابـن الْفَقِيـه قَاْسِم بـن الشّيْخ
الحَجَري الانْدَلُسي:
مِن نِعَمِ اللّه تَعَالى عَلَـيَّ أنْ جَعَلَنـي مُسْلماً فـي بِـلاَدِ الكُفّــار مُنْذُ
اَعْرِفُ نَفْسِي بِبَركَةِ الوالِدَيْن - رَحِمَهُمَا اللّهُ تعالى - [و][1]إرْشَادِهِمــا
وَقَدْ جَعَلَ اللّهُ في قَلْبِي مَحَبّةً لِلخُروجِ [من بلا] دِ الاَنْدَلسْ مُهَـاجراً
إلى اَللّهِ تَعَالَى ورسوله وَالقُدُوم [لبـ]ـلاَدِ المُسْلِمِين. وَقَضَـى اللّـهُ
تعالى الْغَرْضَ وَالمُرَاد وَبَلَغْنَا اِلَـى مَدِينَـةِ مَرّاكُشْ بـالْمَغْربِ. وَبعْدَ
ذَلِكَ بِاِثْنَتي عَشْرَةَ سَنَةَ فَرّج الله تعالى على الاَنْدَلُسْ الْمُسلِمِين الذين
كَانُوا فيها تَحْتَ قَهْرِ النَصا[رى وظُلْمـ]ـهِم فَأَمَر (١٢أ) عَلَيْهِم سُلْطَانِ
اَلبِلاَدِ المُسَمّى بِفِلِبِّ الثّالِثِ مَنْ اسْمُهُ بالخُرُوج جَميعاً مِن بِلاَدِه .
وَاتّفقَ لِكَثِير مِن المُسْلِمين الاَنْدَلُـسْ عند خرُوجِهم أَنْ نهَبَهُم فـي
الْبَحْرِ النَصَارَىْ وَأَكْثَرهُمْ الفَرَنج الْبَحْرِيَة الذَين اَكْتَروْهُمْ ودفَعوا لَهُمْ

[1] ما بين المعقوفتين ضائع لتمزق الورقة أو لطمس النص وقد أكملناه هنا وبعده حسب ما اقتضاه السياق اللفظي أو المعنوي.

أُجْرَتَهمْ على ان يَبلّغُوهُم في عَافِيَةٍ وأمَانٍ الى بِلادِ المسْلمين؛ وَخَانُوهم كُلّ وَاحِدٍ من الرُيَّاسِ في سَفِينَتِهِ؛ وبعْد أخذ كلّما كان لهُم اَخْرَجُوهُم في بعْض الْجُزُر من بِلاَدِ المسْلمين وارْبَعةٌ من تِلْكَ السُفُن الْمَنْهُوبَةِ خَرَجَتْ بالمَغْرِب الِاقْصَى فَأَحْسَنَ الْمُسْلِمُون البَرْبَرْ بالاَنْدَلُسْ وَجَاءُوا الى مَدِينَة مَرّاكُشْ - وَهِيَ دَارَ سَلاَطِينْ الْمَغْرب - وَطَلَبُوا مِنْ السُلْطَان مَوْلاَيْ زَيْدَان بن السُلْطَان مَوْلاَيْ اَحمَد ابْنُ اَلسُلْطَان مَوْلاَيْ مُحَمّد اَلشّيْخ اَلشّرِيف الحَسَنِي أَن يّأذَن لَهُمُ في اِرْسَال بَعْضٍ من أَصْحَابِهم مَعْ رَجُلٍ [من][1] اَلاَنْدَلُسْ اَلّذِينَ كَانُوا قَبْلَهُم بِتِلْك الْمَدِينَةِ وَاتَفَق نَظَرَهُم أَن نَمْشِي بِأَصْحابِهِمْ؛ وأَعْطَانَا السُلْطَان كِتَابهُ وَذَهبْنَا الى أَسْفِ - هي مَدِينَةٌ على البَحْر المُحِيْط - وَفيهَا رَكِبْنَا وبَلَغْنَا اِلَى بِلادِ الفَرَنج، ووَقَع لي كَلاَمٌ (٢ب) كَثِيرٌ مع عُلَمَائِهِم من القَسِيسِينَ وَالرُهْبَان وَالْقُضَاةِ في شَأنِ الاديَان واحتَجْتُ اقرأ الإنْجِيل الذي بأَيْدِيهِمْ الآن وَمِنْهُ وَمِن غيْرِهِ مِن كُتبِهِم وجدْتُ ما نردّ عَلَيْهِم ونُبَطّلُ حُجَجَهُم ونَصرَنِي اللّه تَعَالى عَلَيْهِم مِراراً عَدِيدَةً.

وَذَكَرْتُ بَعْدَ ذَلِك حِينَ وَلّيْتُ اِلَى مَرّاكُشْ شَيْئاً مَنْ الْحكَايَاتِ والمُنَاظَرَاتِ وَالاَجْوبَةِ مِنّي اِلَيْهِمْ لِبَعْضِ الاخْوَان وَطَلَب مِنّي غَيْرُ وَاحِدٍ مِن عُلَمَاءِ المسْلِمينَ اَنْ أَعْمِل تَاليفاً بِذَاك. وَلَمْ يَتفِق الْعَمَل إِلَى أنْ أَمَرَنِي شَيْخُنَا وَبَرَكَتُنَا بِمِصْر المَحْرُوسَة باللّه وَهُوَ العَلاَمَةُ الشّهِيرُعِلْمُهُ وَثَنَاؤُهُ في الاَقْطَار وَالبُلْدَان: الشّيْخُ عَلِي بن مُحَمّد الْمَدْعُو زَيْن اِبْنُ الْعلاّمَة الشّيْخ عَبْد الرّحْمَن الاَجْهُورِي الْمَالِكِي

---

[1] الكلمة ساقطة بفعل تمزق الورقة.

فَاجَبْتُه بِأكْثَر ممًّا طَلَبه، وَجَعَلْتُ التَّأليف رحلتً سميتها بـ: **رِحْلَت الشِّهاب الى لِقَاءِ الاَحْبَاب**،

وذكرت [فيها][١] اَوّلاً: بِلاَدْ الاَنْدَلُسْ في أيّ مَوْضِعٍ هِيَ مِنْ مَعْمُورِ الدُنيَا وَالاَقْطَار اَلْمُجَاوِرَةَ اِليْهَا والعَرْضَ وَالطّول في صُقْعِهَا وَعُرْضَ اِرْتِفَاعِ القُطْبِ الشِمَالي عَلَيْهَا وَدَرَجِ طُولِهَا (٣أ) مِن الدُنْيَا الَّذِي هُوَ اَبْتِدَاؤُهُ من الجُزُرِ الخَالِدَاتِ المُسمَّات اَلآنْ بـ: قَنَارِيَهْ؛ ثُمَّ ذَكَرْتُ مَنْ سكَنَهَا مِنَ اَلاجْنَاسِ اِلْقَدِيمَةِ قَبْل دُخُول المُسْلِمينَ اِلَيْهَا وفي أيّ سَنَةٍ كان اِفْتِتَاحُهَا وَمَا اَتَفَقَ في اَخْذِهَا؛ ثُمَّ ذَكَرْتُ بعض الْمُلوكِ الصَّالِحِينَ الْمُجَاهِدِينَ وأَيْضاً بَعْضَ رَسَائل لِسَان اِلدّين بنُ اَلْخَطِيب؛ ثمَّ ذكرتُ الزّمَنْ الَّذي كانَتْ بِأيدِي اِلْمُسْلِمينَ اِلَى اَنْ احتَوتْ النِّصارى عَلَى جَمِيعِها. ثُمّ ذكرتُ كَيْف كانَ حَالُ اَلْمُسْلِمينَ بَيْن اَلنِّصارى بَعْدَ أَن أَدْخَلُوهُمْ جَمِيعاً كُرْهَاً مِنْهُم في دِينِهم؛ وكَانُوا يَعْبُدُونَ دِينَيْن: دِينَ النِّصارَى جهْراً وَدِينَ اِلْمُسْلِمينَ في خَفَاءٍ مِن اَلنَّاس؛ وَاذَا ظَهَر على اَحَدٍ شَيْءٌ مِن عَمَلِ اِلمُسْلِمين يَحْكُمُونَ فِيهم اَلكُفَّارِ اِلْحكْم اَلْقَوِيَ [و] يَحْرِقُونَ بَعْضَهُم؛ كَمَا شَاهَدْتُ حَالَهُمْ اَكْثَر مِن عشْرِينَ سَنَةً قَبْلَ خُرُوجِي مِنْهَا.

وَايْضاً ذَكَرْتُ مَا اَتَّفَقَ لي بِمَدِينَةِ غَرْنَاطَهْ مَعَ اَلْقَسِيسِ اِلْكَبِير في قِرَاءَةِ الرّق الْمَكْتُوب بِالْعَرَبِيَةِ وَالْعَجَمِيَة فِيما ذَكَرَ يُوحَنَّا الَّذِي كَتَبَ رُبُعَ الانْجِيل فِيمَا يَكُونُ (٣ ب) وَيَحْدُثُ في اِلدُنْيَا اِلَى أَنْ تُفْنَى؛ وَايْضاً شَيْئاً مِمَا كَانَ مَكْتُوباً في اِلْكُتُبِ اِلَّتي وُجِدَتْ تحْت الارْض في تاريخ اَلْفِ وَثَلاثَ سِنِينَ مِن اِلْهِجْرَةِ او قَرِيباً مِنْهَا مَكْتُوبَةً في

---

[١] الكلمة مطموسة في التصوير.

وَرَقِ الانَك بِالْعَرَبِيَـةِ مِـنْ عَهْـدِ سَيِّدِنَا عِيسَـى - عَلَيْـهِ السَّلاَم - أَوْ قَرِيباً مِنْهُ؛

وَمَا اتَّفَقَ لَنَا فِي الْخُرُوجِ مِنْ بَيْنَ النَّصَارَى وَكَيْفَ لطف اللهُ بنَـا وَفَكَّنـا مِنْهمْ سالِمين بفضله، وذَكَرْنا ايْضا الاَسْبَاب الَّتي قَالَ سُلْطَان النَّصَارى انَّهَا حمَلته عَلى إِخْـرَاجِ المُسْلمينَ مِـن بِـلاَدِهِ؛ وايْضـاً مَـا رَأيـتُ فـي أسْفَارِي وَرِحْلَتِـي المَشْـرِقِيّةِ وَالْمغْرِبِيّـةِ وَالْجَوْفِيّـةِ مِـن [...][1] ومَـا وقَـع لِـي مِـنَ الكَـلاَم والمُنَـاظَرَاتِ مـعَ النَّصَــارَى [...] وَالقَسّيسينَ وَالرُهْبَان وَاكَابِرهِم في أُمُورِ [الدين بـ] بِلاَدِهـم الفَرنجَـه وبِلاَدِ فَلَنْضِسْ؛ وَايْضاً مَعَ الْيَهُودْ.

[وقرأ] تُ[2] الرحْلَة المَذْكُورَة على الشَّيْخ الفَاضِلِ المَذْكُور [الـذي أمـ]رنِي بِمِصْرَ بِعَمَـلِ الْكِتَـابِ، وَلمَّا رَأَنِـي عَازِمـاً عَلَـى الرُّجُـوع [لبلا] دِ المَغْرِبِ الَّتِي جِئنَا مِنْها لاداءِ الفَرْضِ وزِيَارَةِ [قبر أفـ]ضَـلِ مَن ظَهرَ عَلَى وَجْهِ الارْض والْوَقْتُ ضَايِق، [أردت] أكْتُب لَهُ مِنْهَـا نسْخَةً - كمَا كَانَ فِي غَرْضِي - اَمَرَنِي (١٤أ) أن اخْتَصِرَ مِنْهَا نُبْذَةً لَطِيفَةً وَنذْكُرُ مَا وقَعَ لي من الكَلاَم في الدِّين معَ النَّصَارى. وهَا أنا اشرِعُ بِعوْنِ اللّهِ اكتُب في هَذِهِ الوَرَقَاتِ مَا وقَع لي مِنَ الْمُنَـاظَرَاتِ، وكُـلَ مَسْئلَةٍ اَلْهمَنـي اللـه تعـالى بِـالْجَوَابِ عَلَيْهَـا فِـي الْحِيـنِ عَلَـى اَلْبَدِيهَةِ؛ وَأَذْكُرُ نُصُوصِهَا مِن اَلْكُتُـبِ بِبُرْهَانِهَـا؛ وانْ كَـانَ لـي وَقْـتٌ قبْل الرَّحِيل مِن مِصْرَ نكْتُب مِنَ الرِّحْلَة اَيْضاً مَا وقع لِي مَعَ عُلَمَـاءِ

---

[1] ما بين المعقوفتين من أمثال هذا الموضع لم نستطع إكماله اما لتمزق الورقة أو لطمس النص وبخاصة في الورقة الأولى والأخيرة.

[2] يظهر في الأصل: "ت اقرا" ، وشطب الحجري على "اقرا".

الْيَهُود بِالْبِلاَدِ المذْكُورة؛ وبِسبَبِهم قَرَاتُ التَّوْرَيَةَ الَّتِي هِيَ اَرْبَعَ وَعِشْرُونَ كِتَاباً: الخَمْسَة الأوَائل في أمُورِ دِينِهم وَالْبَاقِي مِنَ الْكُتُبِ في التَّوارِيخ؛ وَجَدْتُهَا مُتَرْجَمَةً مِن العْبرَانِي اِلَى العَجَمِي الَّذِي نَعْرِفُهُ، وزَادَنِي اللَّه تَعَالى يَقِيناً وَمَحبَّةً في دِينِ الاسْلاَمِ وَذَلِكَ مِمَّا انْعَم اللَّه تعالى به عَلَيَّ. نَسْئَلَهُ سُبْحَانهُ بِجَاهِ سَيِّدِنَا مُحَمَّد – صلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّم – اَنْ يَلْطُفَ بِي في الدَّارَيْن وَاَن يَّخْتم لي بِالْسَّعَادَةِ وَلِمَن يَقْرا فِي هَذَا الْكِتَابِ أَوْ يَسْمِعُهُ وأن يَخُصَّ مِن فضْلِهِ مَن أَمَرَنِي بِكُتْبِهِ بِمَا يَشَاء مِنْ فَضْلِه وخَيْرِه وَاِحْسَانِهِ وَأَن يَّنْصُرجَمَيْع المسْلمينَ عَلى (٤ب) القَوْمِ الكَافِرِين.

وَقَدْ سَمَّيْت الكِتَابَ بِـ: **نَاصِرِ الدِّيـنَ عَلى القَوْمِ الكافِرِينَ** وهو: **اَلسَّيْفُ الاَشْهَرْ عَلَى كُلِّ مَن كَفَرْ** وجعلْته ثلاثة عَشَر باباً:

البَابُ الاوّل: في ذِكْر ما وقَعَ لي بِمَدِينَةِ غرْنَاطَهْ مَعَ الْقَسيس الْكَبِير في شَاَنِ الرَّقّ الذي وُجِدَ في اِلصوُمُعَة الْقَديمَةِ وَشَيءٌ من الْكُتُب الَتي وُجِدَتْ في خَنْدَقِ الجَنَّة بِقُرْبِ مَدِينَة غرْنَاطَهْ مَكْتُوبَةٌ بِالْعَرَبِيَةِ فِي وَرَقٍ مِنْ رَصَاصٍ مِنْ الزَّمَنَ القريب بَعْدَ سَيِّدْنَا عِيسَى – عليْهِ السَّلاَم –.

البَابُ الثَّاني: في قُدُومِنَا الى بلاَد اَلمسلِمين، وَمَا اتَّفَقَ لَنَا عنْد خُروجنا مِنْ بيْن اَلنِّصَارَى سَالِمين مِنْهُمْ بَعْدَ اَنْ كُنَّا فِي اَيْدِيهِمْ مُتَعَرِّضِينَ للْهَلاَكِ بِلُطْفٍ مِنَ اللَّه تَعَالى.

البَابُ الثَّالث: في بُلُوغِنا الى مَدِينةِ مَرَّاكُشْ، وما كَانَ السَّبَبَ اِلى اَن مَشَيْتُ اِلى بِلاَدِ الْفَرَنْجِ بَعْدَ اَنْ جَلسْتُ بِبِلاَدِ المُسْلِمينَ اِثْنَتَيْ عَشْرَةَ سَنَة.

البَـابُ الرّابع: في رُكُوبِنَا اَلْبَحْر الْمُحيطَ وبَلوغِنَا الى فرَنْجَه الـى مدينة مَرْس الْبَرْكَة؛ وتُسَمّى عِندَهُم بـ:هبْرِذغرَسِي؛ ثُمّ الـى مَدينـة رُوانْ ومَا اتّفَقَ لَنا فِيهَا.

البَـابُ الخَامس: (٥أ) في قدُومِنَا اِلى مَدينَـةِ بْرِيـشْ؛ وَهِـيَ دَارُ سَلْطَنَةِ الْفَرنْـجِ؛ وَذِكْرُ حَالهَـا وَعِظَمِهـا وَمـا اتّفَـقَ لَنَـا مـعَ بَعْـضِ النّصَارَى مِنَ الْمُنَاظرَاتِ.

البَابُ السّادِس: في قدُومِنَا بكتُب السُّلْطان الـى قَـاضِي اِلاَنْدَلُسْ وَقَاضِي الْقُضَاةِ بِمَدينَةِ بُرْضِيُوشْ، وَذِكْرُ مَا زَادَ كُلّ وَاحِدِ من البّابَـا في دِينِ النّصَارَى؛ وذِكْر البّابّ جوَانْ اَلّذي كَـانَ اِمْرَاءَةً فَفَضَحَـهُ اللّهُ بِحَضْرَةِ النّاسِ.

البَـــابُ السّابِعُ: فـي رُجُوعِنَـا اِلَـى بْرِيــشْ وَمَــا اتّفَـقَ لَنَــا مِـن المُنَاظَراتِ مع عُلَمَاء النّصَارَى في شَأنِ الدّين.

البَـابُ الثّامِن: في قُدُومِنَا اِلَى أَلُونَـةَ وَمَا اتّفقَ لَنَا فِيهَا.

البَـابُ التّاسِع: في قُدُومِنَا إِلَى مَدِينَةِ بُرْضِيُوشْ وَمَا وَقَعَ لَنَا فِيهَـا مِنَ المُنَاظَرَاتِ مَعَ اَلنّصَارَى القسيسينَ والرُهْبَـان وَالقُضَــاةِ وقَضَـاءِ شيْءٍ مِنَ الْغَرَضِ الّذِي مَشَيْتُ بِسَبَبِهِ.

البَـابُ العَاشِرُ: في مُنَاظَرَاتِ الْيَهُودِ بِفرَنْجَة وفَلَنْضِسْ.

البَـابُ أَلحَادِي عَشَرْ: في ذِكْرِ قدُومِنا الى فَلَنْضِسْ وَمَـا اتّفَقَ لَنَـا فيها.

البَـابُ الثّاني عَشَرْ: فِيمَـا اتّفَقَ لَنَا في مِصْرَ مَعَ رَاهِبٍ عَالِمٍ كَـانَ بَالغاً (٥ ب) في فُنُون الْعِلْمِ مِن عُلُومِهِمْ.

البَابُ الثَّالِثُ عَشَرْ: في ذِكْر مَا أنْعَمَ اللّه تَعَالَى بِهِ عَلَيَّ مِنْ فَضْلِهِ في بِلاَدِ الأنْدَلُس وَغَيْرِهَا.

البـــاب الأول

في ذكر ما وقع لي بمدينة غرناطة مع القسيس الكبير في شأن قراءة الرقّ الذي وجد في الصومعة؛ وأيضاً بعض ما صحّ عندي من الكتب المكتوبة بالعربيّة في ورق الرصاص.

وهذا الباب هو في الرحلة في الباب الثاني عشر منها

إعْلَمْ – رحِمَكَ اللّـهُ – انَّ فـي عَـامِ سِت وَتِسْـعِين وَتِسعْ مائَـةٍ مِنْ الهِجرَةِ؛ وَمِـنْ حِسَابْ النَصَارى عَـامِ ثمَـانْ وثمَـانيَن وَخَمْسْ مائَـةٍ وَألْـفْ؛ أمَـر القِسّيس الْكَبير بِمَدِينَـة غرناطَـة بِهَدْم صَومُعَـة قديمَـةٍ كَانتْ فِيْ الجَامِع الكَبِير وكَانَتْ تُسَمَّى مِنْ قَدِيمْ الزمَـانْ تُرْبَّانَـهْ قَبْلَ الإسْلاَم وَذَلِكَ بَعْد أنْ بَنُوا صَوْمُعَة قَرِيبَة مِنْها عَالِيةً جِداً. ولَمّا أنْ هَدَمُوا القَدِيمَة وَجَدوا فِـي حَيْطِهَا صَنْدُوقاً مِـنْ حَجَـرْ وَفِـي دَاخِلِـه صَنْدَوقاً مِنْ رَصَاص وَفِيهِ وَجَدُوا رقَّا كَبِيْراً مكْتُوبَاً بالْعَرَبِيّـة (١٦أ) والعَجَمِيّة المُتَصَرّفَةُ في بِلاَدِ الانْدَلُس ونِصفُ خِمَار الصَّالِحَةِ مَرْيَـم – عَلَيهَا السَّلاَمُ – أُمُّ سَيِّدنَا عِيْسِـى –عَلَيْه السَّلاَم – وَعَظْماً مِـنْ جَسَدِ اِشْطِيَانْ الْصَّالِحُ – عِنْدَهُمْ –.

فَأمّا مَا كان في الرّقّ بالاعْجَمِيَة فَقُرِءَ ؛ وَمَا كان بالْعَرَبِيَةِ فَنَـادَوا الاكَيْحَل الانْدَلُسي– كانَ تُرْجُمَاناً بالاجَازَةِ – والشَّيْخُ الصَّالِحُ الْجَبِّسْ وَغَيْرُهُمَا مِن الانْدَلُس الكِبَار السِّنّ اَلذِيـنَ يَعْرِفُـونَ القِراءَة الْعَرَبِيَـة؛ وَأمَرَهُمْ اَلْقِسيسُ بِتَرجَمَة مَا فيِ الرِّق من العَرَبي: كُلّ واحِـدٍ وَحْـدَهُ؛ وتَارةً يَجْمعُ بَيْنَهم؛ وَلَمْ يُحيطُوا بِفَهْمِهِ حقِيقَةً؛ وَالقِسـيسُ الْكَبِـيرُ تَعَلَّـم يَقْرا بِالْعَرَبِيَةِ.

وبَعْدَ انْ وَجَدُوا الرّقّ بِسَبْع سِنِين جاءَ رَجُلٌ مِنْ مَدِينَةِ جَيّان بِبَعْض كُتُب بَعَثَها لَهُ بَعْض الأَسَارَى مِن بِلادِ المَغْرِبِ فِيهَا ذِكْرُ كُنُوز فِي بَعْضِ الْمَوَاضِعِ. فَكَانَ ذَلِكَ الرَّجُل بِقُرْبِ غَرْنَاطَةْ عَلَى بُعْدِ مِيل مِنْها أَوْ نَحْو ذَلِكَ؛ وكَانَ الْمَوْضِع يُسَمَّى: بِخَنْدَق الْجَنَّةِ ؛ فَحرّكَ حَجْرًا ووَجَدَ تَحْتَهُ غاراً وَفِي رُكْنِ الْغَارِ رَمَاداً وَرَصَاصًا مَكْتُوباً باللِّطِينْ يَقُولُ فِيهِ: هَذَا الْمَوْضِع أُحْرِقَ فِيْهِ الْقَسِيّسُ سِسِلْيُوه. وَهَذَا (٦ب) سِسِلْيُوه كَانَ الَّذِي كَتَبَ الرّقّ: وَذلك أن النَّصَارَى كَانَ عِندَهُمْ في كُتُبِهِم خَبَرٌ بِمَوْتِ سِسِلْيُوْه وَأَنَّهُ كَانَ مِن تَلْمِيذ سَيّدنا عِيسَى - عَلَيهِ السّلام - وَأَنَّهُ قُتِلَ عَلَى دِينِهِ وَأَنَّهُ مِنْ الشُّهَدَاءِ عِنْدَهُمْ ولا عَلِمُوا مَوْضِعَه.

وَمِن عَادَتِهِم اَن كُلّ مَن يُقْتَلُ عَلَى دِينِهِ مِنْ الْقَسِيسِينَ يُثْبِتُون اَسْمُهُ مَع الصَّالِحِينَ وَيَذْكُرُونَ مَوْضِعَهُ الَّذي قُتِلَ فِيهِ لتَزُورَهُ النَّاسُ. فَأَمَرَ القَسِيسُ الْكَبِيرُ بِالدُّخُولِ فِي الْغَارِ؛ وَيَنْظُرُونَ فِيهِ وَيُفَتِّشُونَ لَعَلَّهُمْ يَجِدُونَ كُتُبَهُ المَذْكُورَةَ فِي رُومَةِ فِي دَارِ دِينِهِمْ وَمَوْضِعُ أَلبَّابٌ الَّذِي هُوَ كَبِيرُ اَلقَسِّيسِينَ وَالرُّهْبَان وإِمامُ جَمِيعِهِم.

وَالْخَبَرُ فِي ذَلك أَنَّهُ عِنْدَهُمْ في كُتُبِهِمْ: أنَّ سِسِلْيُوهْ القَسِيّس الكَبِيرُ: أَعْتِي مِنْ الاسَكِفَةِ - كَانَ عِنْدَهُ اَسْرَارٌ وأُمُورٌ رَبَّانِيةٌ مِن زَمَانِ سَيّدنَا عِيسَى - عَلَيْهِ السّلام - اَوْ قَرِيبًا مِنْهُ ؛ وَأَنَّهُ أَوْدَعَهَا مَكْتُوبَةً فِي جَبَل يُسَمَّى بـ : اِبْلِطَانُ؛ وَبَحَثَ وَاحدٌ مِنَ البَّابَا عَنْ هَذا الجَبَل وَقِيلَ لَهُ أَنّهُ بِإِطَالِيَة؛ فَأَمر اَنْ يُحفَر كُلّهُ وَيُغَرْبَل تُرابَه فِي طَلَب الْكُتُب ولَم يَجدو شَيْئًا. وَسَمِعْتُ هَذا الكَلاَمَ فِي مَدِينَةِ غَرْنَاطَةْ مِنْ

النَّاسِ وَلاَ تَحَقَّقْتُ حَتَّى (١٧أ) سَأَلتُ عن ذلك القَسِيس بَعْدَ اَنْ عَرَفْتُهُ ؛ وذَكَر لي الْحِكَايَة كَمَا سَمِعْتُها مِنْ غَيْرِهِ.

ولَمَّا فتَشَوا في الْغَارِ وَجَدوا بَعْضَ الْحِجَارِ مَعْقُودَةٍ فَكَسَرُوها وَوَجَدْوا في قَلْب كُلِّ حَجَر كِتَاباً وَوَرَقَةٌ رَصَاصاً؛ وكُلّ ورَقَةٍ قَدْرِ كَفِّ اليَدِ اَوْ اَقَلّ قَلِيلاً؛ وَهِيَ مَكْتُوبَة بِالْعَرَبِية؛ فَأَمَرَ الْقَسِيسُ الانْدَلس المَذكُورِين وهُمْ الاُكَيْحَل والفَقِيه الجَبِّسْ - رَحِمَهُمَا اَللَّهُ - وَغيْرَهُمَا بتَرْجَمَةِ إلْكُتُب. فَوَجَدُوا فِي اَحَدِهَا ذِكْرُ الرّقّ الَّذِي كَانَ بِأَيدِيهم قَبْلَ ذَلِك الْعَهْد بِنحْوَ السَّبعَ سِنِين؛ فأَشْتَدَّ حِرصَهُم عَلَى فَهْمِ ما فِي الرّقّ؛

وَوَاحِدٌ مِنَ الْقَسِيسِين الْمُقَرَّبِينَ للْقَسِيس الْكَبِير كَانَ يَتَعلَّم يقْرا بِالْعَرَبِيَة وبِسَبَب ذَلِك كَانَ يُلَزِمُ الْحَكِيم مُحَمَّد اِبْنُ اَبِي الْعَاصِي - حَفِيد الشَّيْخ الصَّالح الجَبِّسْ الْمَذْكُور؛ أَنَّهُ كَانَ يُتَرْجِمُ الْكُتُب؛ وَمِنْ اَجْلِ جَدِّهِ كَانَ يَقْرَأُ بحَضْرَةِ النَّصارَى بِالعَرَبِية- وَالكتَاب الذِّي كَانَ يَقْرَأُ للْقَسِيس يُسمِّى **بنُزْهَة المُشْتَاق فِي اِخْتِرَاعِ الآفَاق** وَكُنْتُ اَحْضرُ مَعَهُمَا؛ وَلَمْ نَظْهرْ للنِصْرَانِي أنني نَقْرأ بِالْعَرَبِية لِمَا كَانُوا يَحْكُمُونَ (٧ ب) فِيمَن ظَهَرَ عَلَيْه ذَلِك. وَبَيْنَمَا كَانَ يَقْرَأُ في الكِتَاب كَانَا يَتَوقَفَان في بَعْضِ الْكَلِمَاتِ وَفَهْمِ مَعْنَاهَا فَكُنْتُ اَقُولُ لَهُمَا: لَعَلَّهُ كَذَا ! فَيَجِدَاهُ كَذَلك. وَنَظَرَنِي الْقَسِيسُ وَقَال: اَنْتَ تَعْرَفُ تَقْرَأ بِالْعَرَبِيةِ فَلاَ تخَفْ لأنّ اَلْقَسِيسَ الاَعْظَم يَطْلُبُ عَلى مَنْ يَعْرِفُ شَيئاً مِنْ الْقِرَاءَة بِالْعَرَبِيةِ لعَلَّهُ يُبَيِّنُ شَيئاً مِمَّا ظَهَرَ مَكْتُوباً بِذَلك اَللِّسَان.

وَحمَلَني اِلى دَارِهِ ؛ وكَانَ عنْده كُتُب في كُلِّ فَنّ ولِسَان؛ وَأَخْرَجَ لي كُتُباً بِالْعَرَبِيةِ؛ فَقَرَأتُ وتَرْجَمْتُ لَهُ بَعْضَ اَلْكَلِمَات اَلَّتي كَانَ يَتَوقَفُ فِيهَا. ثُمَّ لَقَانِي يَوْماً اَخر وَقَالَ لِي: الْقَسِيسُ الْكَبِيرُ اَمَرَ أن

تَمْشي مَعِي اِلَى حَضْرَتِهِ؛ قُلتُ فِي نَفْسِي: كَيْفَ الْخَلاص وَالنِّصَارَى تَقْتُل وَتَحْرَق كُلَّ مَنْ يَجِدُون عَنْدَهُ كِتَاباً عَرَبياً اَوْ يَعْرِفُونَ اَنّه يَقْرَأ بِالْعَرَبِيةِ ؟ وَاَمَّا مَا ذَكَرْنَا مِنْ اَلْمُتَرْجِمِينَ الاَنْدَلُس فَكَانُوا شُيُوخاً وَيَسْتَعْذِرُون بِأَنَّهم تَعَلَمُوا الْقِراءَةَ الْعَرَبِيَة فِي صُغْرِهِمْ بِقُرْبِ عَهْدِ الإسْلاَم؛ وَأَمَّا الْحَكِيمُ اَبُو الْعَاصِي كَانَ يَقَرَأ لاَجْلِ جَدِّهِ لانّه مُتَرْجِمٌ – كَمَا قُلْنَا –؛ وَمَاذَا اَقُولُ اَنَا اِذَا سِأَلَني عَن مَّن (٨أ) عَلَّمَنِي؟ وَفِي اِلطَّرِيقِ كَانَ يَقُولُ لي اَلْقَسِيسُ: قُلْ للْسيِّد الْعَظِيم اِنَّ اَلْمُتَرْجِمينَ مَا عَرَفُوا شَيّئاً؛ قُلْتُ فِي نَفْسِي: عَكْسِ هَذا اَقُولُ؛ لأَنَّ اَصْحَاب اَلدَّعَاوِي يَفْتَضِحُونَ.

وَلَمَّا اَنْ دَخَلْنَا اِلى حَضْرَتِهِ، فَاقْبَلَ عَلَيْنَا وَقَال لي: ذَكَر لي اَلْقَسِيسُ مَلْضُنَضُ انكَ تَحْسِنُ الْقِرَاءةَ الْعَرَبِيَة ! قُلتُ: لَيْسَ اَنا مِن اَلْبَالِغينَ فِيهَا. قَالَ: اَيْنَ تَعَلَمْتَ؟ قُلتُ: اَعلَمْ أَيُّهَ اَلسيّد اِنني انْدَلُسي مِن اَلحَجَر الأحْمَرْ وَكَلامُنَا فِيهِ فَهُوَ بِالْعَرَبِيَةِ؛ ثُمَّ تَعَلَمْتُ نَقْرَا بِالْعَجَميةِ ثُمَّ مَشَيْتُ اِلى مَذْرِيل – بَلَد السُلْطَان – فَوَجَدْتُ فِيهَا رَجُلاً طَبِيباً اَنْدَلُسِياً مِن بِلادِ بَلِنْسِيَهْ اَسْمُهُ فَلاَن وَعَلَّمَنِي نَقْرا بِالْعَرَبِيَةِ وَجَأَنِي سَهْلاً لِكَوْنِي عَرَبياً فِي الاَصْل. ثُمَّ قَالَ لي: وَأَيْنَ مُعَلِمُكَ اَلْطَبِيب؟ قُلتُ: مَاتَ رَحِمَهُ اللّهُ قَبْلَ هَذَا اَلْعَهْد بِنَحْوَ السَنَتَيْن اَوْ ثَلاثَة – وَكُلَّمَا قُلْتُ لَهُ فِيمَا سَأَلنِي عَنِ الطَّبِيب أَنَّهُ كَانَ مِنْ بِلاَدِ بَلِنْسِيَه كَذِبٌ؛ وَلَكِن كَانَتْ اَلْقِراءة بِالْعَرَبِيَة لأهْل بَلِنْسِيَه مُبَاحَةٌ فِي غَيْرِ دِين اَلاسْلام وَمَمْنُوعَةٌ لِسايِرِ أهْلِ بِلاَدِ الاَنْدَلُسْ، وَتَسَتَرْتُ بِالْكَذِبِ مِن شَرِّهِمْ ؛ وَقَد ذَكَرَ الْغَزَالِي (٨ ب) نَفَعَ اللهُ بِهِ – فِي كِتَابِ **الاَحْيا**: اِنْ جَازَ عَلَيْك اِنْسَانٌ مِن اَهْلِ اِلْخَيْرِ ثُمَّ جَاءَ فِي طَلَبهِ

رَجُلٌ ظَالِمٌ سَائِلاً عَنْهُ لِيَضُرَّهُ فَقُل لَهُ: مَشَى مِن تِلْكَ النَّحْيَةِ بِعَكْسِ ما مَشَى مِنْهَا لِيَنْجُو اَلْمَطْلُوبُ مِنْ ظُلْمِ طَالِبِه؛ وإِنَّ الْكَذِبَ فِي مِثْلِ هَذَا جائِزٌ بَلْ مَنْدُوبٌ اِلَيْهِ؛ مَعَ اَنَّ اَلإِرْشَادَ وَاجِبٌ. وَظَهَرَ لِي اِنَّ الَّذي مِنْ عَادَتِهِ اَلصِّدْق في كَلاَمِهِ إِذَا كَذِبَ فِيمَا يَجُوزُ لَهُ اَلْكَذْبُ مُضْطَرّاً اِلَى ذَلكَ أَنَّهُ يُقْبَلُ مِنْهُ قَوْلُهُ وَيُصَدَّقُ فِيمَا يَقُولُه.

ثُمَّ اَمَرَ اَلْقِسِيسُ بِإِحْضَرِ الرِّقِّ - وكَانَ فِي الطُّورَّة مَكْتُوبٌ بِالْعَرَبِيَة بِحُروفٍ غَيْرَ مَنْقُوطَة: يَا طَالبُ اَللُّغْزْ اَقْرِنْ وَاِنْ لَمْ تَقْرِنْ لَمْ تُحِطْ بِفَهْمِ الْجَفْرِ؛ فَسَأَلَني عَنِ الْمَعْنَى بِالْعَجَمِيَة فَذَكَرتَهُ لَهُ قَالَ لي: ائتنا غَداً، قُلْتُ: إِنْ شَاءَ اللّه.

ولَمَا اَنْ جِئتُ اَعْطَانِي اَلرِّقَّ وقَالَ لِقَسِيسٍ عَالِمٍ شَهِيرٍ مَحْمُودٌ عِنْدَهُم اَسمُهُ رَّايَهْ: اَقْعُدْ مَعَهُ وَاَكْتُبْ مَا يَقُولَهُ لَك. وكَان فِي اَعْلاَهُ مَكْتُوبٌ: جَفْرُ الْمُنَجِيل يُوحنَّا فِي خَرَبِ الْوُجُودِ؛ ثُمَّ فِي صَدْرِ الْمكتُوب: بِسْمِ الذَّاتِ الْكَريمَة اِلْمُلْتَبِيبَةِ. فَاحتَجْتُ كِتَاباً (١٩أ) في اللُّغَةِ اِلَى فَهْمِ مَعْنَى الْمُلتَبِيبَة؛ وَاَعْطَانِي اَلْقَسِيسُ كِتَابَ اَلْجَوْهَرِي فِي سِفْرَيْن ؛ وَفَهِمتُ مِنْ اَلْمُلْتَبِيبَةِ اَنَّهُ مَاْخُوذ مِن لُبِّ اَلشَّيء مَعْنَاهُ: اَلْذَّاتُ اَلسَّاذِجَةُ اَلْخَالِصَةُ؛ لاَ مُرَكَّبَة وَلاَ مَمْزُوُجَةُ.

ثُمَّ ذَكَرَ سَيِدُنَا عِيسَى - عَلَيْهِ اِلسَّلاَمُ.

ثُمَّ قَالَ اَلْقَسِيسُ سِسِلْيُوهْ كاتبه[1] عَنْ نَفْسِهِ اَنَّهُ مَشَى في طَلَب اِلْعِلْمِ اِلَى مَدِينَةِ اَطِينَاشْ بِبِلاَدِ اِلْيُونَان حَيْثُ يُقْرَا الْعِلْمُ بِكُلِّ لِسَانٍ[2]؛ وَأَنَّ بَعْدَ زَمَنٍ مَشَى اِلَى زِيَارَةِ بَيْتَ اَلْمَقْدِسْ وَأَنَّ فِي الطَّرِيق بِفَسَاد

---

[1] استدرك الحجري هذه اللفظة في الحاشية مع الرمز: "صح".

[2] هنا يظهر النص: "ومن جملته بالعربي" وقدشطبه الحجري .

الاَزْمِنَة وَالرِّيَاح اَصَابَهُ مَا شَاءَ اللَّهُ مِنْ زِيَارتِه بِدَاءِ مَرَضِ العَيْنَيْن حَتَّى غشِيَ الْبَصَرُ بِالْبَيَاضِ، وَأَنَّ الْمُوكَّل بِبَيْتِ الْمَقْدِس اَخْرَجَ اِلَيْه جِفْرَ اَلْحَوْرِي يُوحنَّا الَّذِي كَتَبَ رُبُعَ الاِنْجِيل، وَقَالَ لَهُ: انَّ فِيهِ سِرّاً عَظِيماً، وَنِصْف خِمَار الْصَّالِحَةِ[١]؛ وَاَستَشْفَى بِه وَأَرتَدَّ عَلَيْهِ بَصَرُهُ. ثُمَّ أَخَذَ مِنْهُ نُسْخَةً بِالْيُونَانِي وَتَرْجَمَهُ بِاللِّسَان الْعَجَمِي[٢] الْمُتَصَرِّفُ بِإِشْبَانِيَة - وَهِيَ بِلاَدُ الاَنْدَلُسْ - وَأَدْخَلَهُ فِي جَدْوَلٍ مِنْ تِسْعَ وَاَرْبَعين بَيْتَا وَوَضَع فِي كُلِ بَيْتٍ حَرْفاً مِن الْعَجَمِي ثُمَّ وَضَعَ تَحْتَ اَلْجَدْوَلِ شَرْحاً بِالْعَرَبِيَةِ.

وَلَمَّا تَرْجَمْتُ اَلْعَرَبِي (٩ب) الْذِّي ذَكَرانه الشَّرْح؛ فَكُنتُ اَخُذُ مِن الْعَجَمِي الذَّي هُوَ الْمَتْن - وَبِالْمَغْرِبِ يُسمَّى بِالاَمِ - اِلَى اَنْ أَجِدُ عَلاَمَةَ اَلْوَقْفِ؛ ثُمَّ اَخُذُ مِنَ اَلْعَرَبِي - وَهُوَ الشَّرْح - مَا يُنَاسِبُهُ؛ فَجَاءَ اَلْكَلاَمُ مُطَابِقاً وَمفْهُوماً. وَهُوَ كَمَا ذَكَرَ فِي اِلطُرَّة: يَا طَالبَ اَللُّغزِ أَقْرِنْ؛ وَالاِقْرَانُ: هُوَ لِشَيئَيْن مُتَبَايِنَيْن يَجْمَعُهَا.

وَأَمَّا مَا تَرْجَمَ بِهِ كُلّ مَن سَبَقَنا - وَكَانَ فيهِمْ اَعْلَمُ منِّي - فَتَرْجَمَ الشَّرْحَ وَحْدَهُ وَلا فُهِمَ مَعْنَاهُ. وذُكِرَ لِي أَنَّه كَانَ فِيهِمْ مَن قَرَأَ "اَلْمُلْتَبِيبَةَ" بِأَنْ قَالَ: بِسْمِ اِلذَّاتِ اِلْكَرِيمة اِلْمُثَلَّثَةِ؛ وذَلِك كَذْبٌ؛ لاَنَّ حُرُوف "المُثَلَّثَة" خَمْسَةٌ وَ "الْمُلَتَبِيبَةُ" سَبْعَةٌ.

فَفَرِحَ اَلْقَسِيسُ فَرْحاً عَظِيماً بِمَا تَرْجَمْتُ، وَعلم أَنَّهُ اَلْحَقُ وَاَعْطَانِي ثَلاَثَ مِائَةِ رِيَالاً وَأَيْضَاً كِتَاباً بِالإِذْنِ لِلْتَرْجَمَةِ مِنَ الْعَرَبِي اِلَى اَلْعَجَمِي وَبِالْعَكْسِ؛ وَاَمتَدَّ اَلْخَبَرُ عِنْدَ اَلنَّصَارَى حَتَّى

---

[١] "ونصف خمار الصالحة"، استدركها الحجري في الحاشية.

[٢] أضاف الحجري هذه اللفظة في الحاشية بعد "باشبانية"، وموضعها المناسب حيث وضعناها.

كَانُوا يَشِيرُونَ إِلَيَّ وَيَقُولُونَ: هَذَا هُوَالَّذِي فَهِمَ الرِّقَّ الَّذِي وُجِدَ فِي الصُومُعَةِ. وَقَد مَضَتْ نَحْوَ الْعَشْرَ سِنِينَ بَعْدَ أَنْ وُجِدَ؛ فَأَمَرَنِي الْقَسِيسُ الْكَبِيرُ أَنْ اكْتُب نُسْخَةً مِن الرِّقِّ؛ وَبَعَثَهَا (١٠أ) لِلْبَابَا لِمَدِينَةِ رُومَةَ.

وَبَعْضُ مَا تَضَمَّنَ الْجَفْرُ؛ قَالَ فِي الْعَجَمِي الْمَكْتُوبُ فِي الرِّقِّ شَيْئاً مِمَّا يَكُونُ بَعْدَ كَمَالِ سِتَتِ قرون مِن مِيلَادِ عِيسَى – عَلَيْهِ السَّلامُ – وَقَالَ فِي الشَّرْحِ الْعَرَبِي: الْقِرْنُ مِائَةُ سَنَةٍ:

مِنْ غَمَرَات الشَّرقَيْنِ أَتَى مَلِكٌ جَانِي بِالانْشِرَارْ
عَلَى الْوُجُودِ قَايِمٌ بِتَمَامِ الْقَدْرِ قَدْ انْتَصَارْ
يَا مَالِكاً دَايِماً مِنْ هَذَا الامْرِ ايْنَ الْفِرارْ

* * *

وَمُلْكٌ يَتَحكَم عَلَى الْوُجُودْ كُلِّهْ اِلَى الْغُرُوبْ
وَدِينٌ يَتَقَدَّمْ عَلَى مَنْ قَدْ امْلَهُ مِنَ الْعُيُوبْ
وَالسِّرُّ يَتَفَهَّمُ بِمَا الْقَدَرْ اعْطَهْ عَلَى الذُنُوبْ

فَتَرْجَمْتُ مَعْنَى هَذِه الابْيَاتِ. وَالْمَفْهُومُ منهَا عِنْدَهُمْ انَّ الْمَلِكَ هُوَ النَّبِيُّ – صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّم –؛ لانَّهُمْ يَقُولُونَ انَّهُ وُلِدَ لاحْدَى وَعِشْرِينَ سَنَةً وَسَتُ مِائَةً مِنْ مِيلاَدِ عِيسَى – عَلَيْهِ السَّلاَم. وَعِنْدِي انَّهُ وُلِدَ قَبْلَ ذَلِكَ – صلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فِي الْمِائَةِ الْخَامِسَةِ وَاشْتَهَرَ دِينَهُ فِي السَّادِسَةِ. وَقَدْ رَأَيْتُ نَصْبَةَ وِلاَدَتِهِ مُعَدَّلَةً فِي كِتَابْ عَلِي اِبْنُ ابِي الرِّجَال بِتَارِيخِ وَلاَدَتِهِ مُحَقَقَةً– صلى الله عليه وَسَلَّم، وَفِي مَعْنَى "الْجَانِي" وَقَعَ الْخِلاَفُ بَيْنَ الْمُتَرْجِمِين؛ لاَنَّ الاسْمُ لَهُ

مَعْنَيان؛ فَأَمَّا اَلشَّيْخُ اَلصَّالِحُ اَلْجِبِّسْ وَمَا تَرْجَمْتُ انا؛ قُلْنَا: هُوَ اِسْمُ فَاعِلْ مِنْ "جَنَى"؛ وَهُوَ ظَاهِرٌ في اِلْقُرْآن الْعَزِيز؛ قَوْلُهُ تَعَالَى:﴿وَجَنَى اَلجَنَّتَيْنِ دَانٍ﴾.

وَلَمَّا تَرْجَمْتُ أَنَّ " دِينَــهُ يَتَقَدَّمُ (١٠ب) عَلَى مَنْ قد اَمْلَـهُ مِنْ اَلْعُيُوب"، فَقَالَ اَلْقَسِّيسُ: كَيْفَ هَذِهِ اَلتَرْجَمَـةُ ؟ قُلْتُ: اَنْتَ تَعْرَفُ تَقْرَا؛ وَأُتَرْجِمُ لَكَ كُلَّ كَلِمَةٍ وَحْدَهَا حَتَّى مَا اَصَابَ مَا يَقُولَـهُ؛ وَقَدْ كَرِهَ ذَلِكَ كَثِيراً؛ لانَّ اَلْكُفَّار هُمْ اَلَّذِينَ أَمْلَوهُ مِنْ اَلْعُيُوبِ وَتَقَدَّمَ دِينُ اَلنَّبِي – صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –عَلَيْهِمْ، وَهُوَ مُوَافِقٌ لآيَةٍ فِي اِلْقُرءَانِ الْعَزِيز؛ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ أَرْسَلَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ وَهُوَ مَعْنَى– وَاللَّه اَعْلَمُ–: اَنَّ دِينَ اَلنَّبِي – صَلَّى اَللَّه عَلَيهِ وَسَلَّمَ – يَتَقَدَّمُ عَلَى اَلْمُشْرِكِينَ اَلَّذِينَ أَمْلَوهُ مِنْ اَلْعُيُوب.

وَكَانَ فِي اَسْفَلِ الرَّقِّ مَكْتُوبٌ بِالْعَرَبِيَةِ اَوَّلُ مَا صَدَّرَ يُوحَنَّا فِي اِلانْجِيلِ – كَتَبَهُ بَطْرِسِي؛ قَسِيسٌ خَدِيمُ سِيسِلْيُوهْ – وَقَالَ: اَنَّهُ اَمَرَهُ ان يَضَعَهُ فِي مَوْضِعٍ خَفِي حَتَّى يُرِيدُ اَللَّه اَنْ يَظْهِرَهُ؛ وَاَنَّهُ وَضَعَ اَلصَّنْدُوقَ فِي حَيْطِ اِلصَّوْمُعَةِ خَوْفاً مِنْ السلطان نَيْرُون. وَلَمَّا تَرْجَمْتُ اِبْتِدَاءَ اَلانْجِيلِ وَمَا ذَكَرَ فيما كَتَبَ؛ قَال لِي اِلْقَسِيسُ: اَنْظَرْ هَذِه اِلْكَلِمَةِ ! هَلْ لَهَا مَعْنىً غَيْرُ هَذَا ؟ قُلْتُ: لَيْسَ لَهَا اِلاَّ هَذَا اَلْمَعْنَى؛ قَالَ: فَاتْرُكْ مَوْضِعَ اَلْكَلِمَةِ اَبْيَضًا لانَّهُ مُخَالِفٌ لِلاِنْجِيلِ الَّذِي بِأَيْدِنَا (١١أ). قُلْتُ فِي نَفْسِي: هَذَا الَّذِي كُتِبَ فِي زَمَنِ سَيِّدنا عِيسَى أوْ بِأَثْرِهِ فَهُوَ عِنْدِي اَصَحُّ مِن اَلَّذِي عِنْدَهُمْ اَلآن.

وَأَيْضاً كَانَ في الْجَفْرِ مَكْتُوبٌ؛ يَقُولُ: مِـن اَقْصَـى اَلْمَغْـرِب عَلَـى مَآءِ البَحْرِ يَأتِي سَرِيعٌ اَقْوَامٌ اِلَى بِلاَدِ اِلنِّصَارَى وَتَصِـلُ الهَمَلَـىَ اِلَـى رُومَةَ. وَذَكَرَ مِمَّا يَنْزِلُ بِالنِّصَارَى مِن الشَّرِّ وَالْخُسْرَان شَيْئاً كَثِـيراً وَقَالَ عَنْ ذَلِكَ وَعَلاَمَتِهَا ـ اَعْنِي: مَـا يَنْزِلُ بِهِمْ مِـن اَلْبَـلا وَالْغَلْـبِ ـ اِذَا يَاتِي اِلْوقْتُ بِالانْفِصَالِ، مَدِينَةُ اَلْبَحْرِ يَمْلِكُهَا اِلشَّرْقِي بِـلاَ مُحَـال"؛ وَلَمْ يُشَكُّ اَحَدٌ مِمَّنْ سَمِعَ ذلكَ اِنَّ اَلشَّرْقِي هُوَ سُلْطَانَ اَلْمَشْـرِق وَأَنَّـهُ سُلْطَان اَلتُرك – نَصَرَهُ اَللّهُ –.

وَقَالَ لي اَلْقَسِيسُ: ايُ مَدِينَةٍ تُسَمَّى بِالْعَرَبِيَةِ "مَدِينَةُ اَلْبَحْرِ"؟ قُلْـتُ: لاَ أَدْرِي! وَلاَكِـنْ يَظْهَـر لـي اَنَّهَـا اَلْبُـنْدُقِيَة لاَنَّهَـا فـي اَلْبَحْـرِ مُبْنِيَـة. فَأعْطَانِي كِتَاب اَلْجَغْرَافِيَة بِالْعَرَبِيَـة – وَهـوَ مِـنْ اَلْكُتُـبِ التِّـي تَعْمِـلُ اَلنِّصَارى بِالْقَالِب – اَلْمُسَمِّى بِـ: **نُزْهَةِ اِلمُشْتَاقِ في اِخْتِراعِ الآفَـاق**؛ وَقَال: انْظُرْ هَلْ تَجِدُ هَذَا الاسْمِ فِيهِ؟ فَقَرَأتَهُ كُلَّهُ ، فَلَم اَجِدْهُ.

وَبَينَمَا كُنْتُ اُطَالِعُ الْكِتَابَ إذْ جَآءَ بَعْضُ اَلْمُسَافِرِينَ مِن بِلاَدِي اِلَى مَدِينَةِ غَرْنَاطَةْ وَعلِمْتُ (١١ب) في اَيِّي مَوضَـعٍ مِـن اَلْفَنَـادِق كَـانُوا فَمَشَيْتُ اِلَيهِمْ وَالْكِتَابُ عِنْـدِي. وَبَعْدَ اَلسّلاَم وَالْكَلاَم فَتَحْتُ الْكِتَـاب فَلَمَّـا رَاَوهُ مَكْتُوبـاً بِالْعَرَبِيَـةِ دَخَلَهُـم اَلْخَـوْفُ اَلْعَظِيـم مِـنَ اَلنِّصَـارَى؛ وَقُلْتُ لَهُـم: لاَ تَخَـافُوا لانّ النِّصَـارَى يَكْرِمُونَنَـي وَيُعَظِّمُونـي عَلَـى اَلْقِرَاءةِ بِالْعَرَبِيَةِ. وَكَانَ اَهْلُ بَلَـدِي جَمِيعـاً يَظُنـونَ اِنّ اَلْحَرّاقِيـنَ مِـنَ اَلنِّصَارَى – اَلَّذِيـنَ كَـانُوا يَحْكُمُـونَ وَيَحْرِقُـونَ كُـلّ مَـن ظَهَـرَ عَلَيْـهِ شَيْءٌ مِن اَلاسْلاَمِ اَوْ يَقْـرَا كُتُـب اَلْمُسْلِمين– يَحْكُمُـونَ فـيّ[١]؛ وَمِـنْ اَجْلِ ذَلكَ اَلْخَوْف الْعَظِيم كَانَ اَلأَنْدَلُسْ تَخَافُ بَعْضُهُمْ مِن بَعْضٍ وَلاَ

---

[١] "يحكمون فيه" ، استدركها الحجري في الحاشية.

يَتَكَلَمُونَ في اُمُورِ الدِّيِنِ اِلاّ مَعَ مَنْ كَانَ ذِمّةً؛ مَعْنَاهُ: ذُو إمَنَةٍ، وَكَثِيرٌ مِنهُم كَانُوا يَخَافُون بَعْضَهُم مِنْ بَعْضٍ؛ وكَانَ فِيهِم مّن يُحِبُّ يَتَعَلَّمُ شَيْئاً مِن دِينِ اللّه وَلاَ يَجِدُونَ مَنْ يُعَلِّمُهُم. وَلَمَّا كُنْتُ عَازِماً عَلَى ألانتِقَالِ مِن تِلْكَ الْبِلاَدِ اِلَى بِلاَدِ الْمُسْلِمِينَ؛ كُنْتُ أُعلِّمُ جَمِيعَ مَنْ اَرَادَ يَتَعَلَّمُ مِنَ الاندَلُسْ في بَلَدِي وَغَيْرِهَا مِنَ الْبِلاَدِ اِلَّتي دَخَلْتُهَا. وَلَمَّا رَأى اَلاَنْدَلُسْ الْحَالَةَ اِلَّتي كُنتُ عَلَيْهَا كَانُوا يَقُولُون فِيمَا بَيْنَهُمْ: لاَ بُدَّ لِهَذَا مِن اَلْوقُوعِ في اَيْدِي اِلْحَرّاقِينَ. وَبَلَغَ اَلْحَالُ بِي حَتَّى اذَا وَقَفْتُ (١٢أ) مَعَ جَمَاعَةٍ لِلْكَلاَمِ نَرَى كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ يَنْسَلُّ حَتَّى نَبْقَى وَحدِي مُنْفَرِداً. وَمِنْ اَجْلِ ذَلِكَ قَصَدتُّهُمْ وَفَتَحْتُ اَلْكِتَابَ اِلَيْهِمْ لِنُرِيهِمْ مَا اَنْعَمَ اَللّه تَعَالَى عَلَيَّ بِهِ اِذْ بَدَّلَ لِي الْخَوْفَ بِأَمنٍ وَالْعُقُوبَةَ وَاَلاِهَانَةَ وَاَلذُّلّ بِعِزَةٍ وَكَرَامَةٍ:

وَمَنْ تَكُنْ بِرَسُول اللّه نُصرَتُه

اِنْ تَلقاه الأُسْدُ في آجَامِهَا تَجِمِ

وَاَمَّا مَا ذَكَرَ فِي الرَّقّ: اِنّ عَلاَمَةَ النِّحْسِ اِلذِّي يَنزِلُ عَلَى اَلنِّصَارَى يَكُونُ اِذَا اَخذَ اَلْمَشْرِقِي مَدِينَةَ اَلْبَحْرِ؛ فَكُنْتُ قَدْ أَظْهَرْتُ نُسْخَةً مِنَ ألرّقّ الْمَذْكُورِ لِمَوْلاَيْ اَحْمَد - سُلْطَان مرّاكُش رَحِمَهُ اللّهُ - قَالَ وَاحِدٌ مِنْ قُوّادِهِ: لَوْ كُنْتَ تَبَدّلُ اَلْقَافَ بِفَا لِيَقُولَ: أنّ مَدِينَةَ اَلْبَحْرِ يَمْلِكُها اَلشَّرِيفْ فَيَفْرَحُ بِذَلِكَ اَلسُّلْطَان؛ قُلْتُ: لاَ أُبَدِّلُ شَيْئاً اِنْ شَاءَ اَللّه.

تَنْبِيــــه:

هَذَا الرّقّ اَلْقَدِيم كَانَ مِن زَمَانِ سَيِّدُنا عِيسَى- عَلَيْهِ السّلاَم - اَوْ قَرِيباً مِنْهُ جِداً لاِنّ سِسِلْيُوهْ - اَلّذِي كَتَبَهُ وَوَضَعَه فِي الصُومُعَة

خَوْفاً مِن سُلْطَان نِرُونْ - كَمَا قَالَ هُوَ فِيهِ لأَنَّهُ كَانَ يَقْتُل اَلنَّصَارَى. فَوَجَدْتُ تَارِيخَ تَولِيَتِهِ لِلْمُلْكِ فِي سَنَةِ عِشْرِينَ بَعْدَ سَيِّدِنَا (١٢ب) عِيسَى- عَلَيْهِ السَّلاَم-. وَاَيْضاً كَانَ كَاتِبَاً سِسِلْيُوهْ هُوَ وَاَخُوهُ لِلْكُتُب اَلَّتِي ظَهَرَتْ تَحْتَ الاَرْض؛ وَالْحُرُوفِ اَلْعَرَبِيَةُ اَلَّتِي كَانَت فِي ذَلِكَ اَلزَّمَانِ حَسْبَمَا كَانَتْ فِي الرَّقِّ؛ فَحَرْفُ اَلْقَاف كَانَ بِنُقْطَتَيْنِ وَهَذَا بُرْهَانٌ اَنَّ اَلْمَشَارِقَةَ فِي ذَلِكَ هُمْ عَلَى اَلْعَهْدِ اِلْقَدِيمِ بِخِلاَفِ اِلْمَغَارِبَة اِذ لاَ يَجْعَلُونَ لِلْقَافِ اِلاَّ نُقْطَةً وَاحِدَة.

وَمَدِينَةُ اَلْبَحْرِ اِلْمَذْكُورَة؛ رَجَوْتُ اَللَّهَ تَعَالَى اَنْ تَكُونَ اَلْبُنْدُقِيَة اَوْ مَالِطَهْ لأَنَّهَا فِي الْبَحْرِ؛ وَلَيْسَ عَلَى اَلْمُسْلِمِينَ اَضَرٌ مِنْهَا. وَقَالَ لِي اِلْحَاج يُوسُف اَلْحَكِيم اَلاَنْدَلُسي:اِنَّ نِهَايَة اَلْمُسْلِمِينَ اَلَّذِينَ هُمْ فِيهَا أُسَارَى خَمْسَةُ آلاَفِ وَخَمْسُمِائَة؛ مِنْهُمْ خَمْسُونَ اَنْدَلُسِياً وَالْبَاقِي تُرك وَاَوْلاَد عَرَب.

وَكَانَ فِي اِلرَّقِّ اَيْضاً يَقُولُ: مِنَ اَلْقِبْلَةِ يَخْرُجُ اَلْحَاكِم اَلْعَدْل وَلاَ يَعُودُ اَنتَهَى. اَنْظُر هَلْ يَدُلُّ عَلَى اَلنَّبِي، صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ لاَنَّهُ بَعْدَ اِفْتِتَاح مَكَّةَ اَلْمُشَرَّفَةَ - وَهِيَ اَلْقِبْلَةُ -؛ فَبَعْدَ حُجَّةَ اَلْوِدَاعِ خَرَجَ مِنْهَا وَلاَ عَادَ اِلَيْهَا.

وَأَمَّا اَلْكُتُب اَلَّتِي وُجِدَتْ فِي اَلْغَارِ فِي خَنْدَقِ اِلْجَنَّةِ فَكَانَتْ (١٣أ) اِثْنَيْن وَعِشْرِينَ كِتَاباً؛ وَالْوَرَقْ - كَمَا قُلْنَا - مِن اَلاسْرب، اَعْنِي: مِن رَصَاص. وَنَادَ اَلْقَسِيس اَلْكَبِير اَلصُّيَّاغ وَاَلْمُذَوِّبِينَ لَعَلَّهُمْ يَصنِعُونَ مِثْلَهَا فَلَمْ يَقْدِرُوا عَلَى ذَلِكَ بِوجْهٍ وَلاَ بِحَالٍ وَلاَ تَدْبِيرِ وَعِلِمُوا بِذَلِكَ أَنَّ اَلرَّصَاص مُزِجَ مَعَهُ مَعْدَنٌ أَخَرٍ وَلاَ عَرَفُوه.

وَفِي وَاحِدٍ مِن الْكُتُب مِنْهَا كِتَاب اَلْحِكَم لِلصّالِحَةِ مَرْيَم ؛ كَمَا نُقِل مِن نُسْخَةِ اِلْفَقِيهِ الاكُيْحَل ، اَلْمُتَرْجِمُ الاَنْدَلُسِي - رَحِمَهُ اللّه - وَأَيْضاً ذَكَرَ اَلْكَلاَم بِنَفْسِه قَايِدٌ بِمَدِينَةِ مرّاكُش يُسَمّى بِفَارِس إِبْنُ اَلْعِلْج - وَكَانَ مِن اَهْلِ اَلدِّين وَكَانَ عِنْدَهُ اَلْكَلاَم مَحْفُوظاً ومَكْتُوباً - قَالَ: كُنْتُ اَسِيراً بِمَدِينَةِ غرْنَاطَةْ وَنَادَوْنِي اِلَى حَضْرَةِ اِلْقَسِيس اَلْكَبِير وَاَعْطَوْنِي كِتَاباً فِي وَرَقْ مِن رّصَاص مِنَ اَلْكُتُبِ اَلّتِي وُجِدَتْ تَحْتَ اَلاَرْض وقَرَاتَهُ. وَالَّذِي قَالَ لِي كَانَ مِثْلَ مَا كَانَ مَكْتُوباً مِنْ كِتَاب اَلاكُيْحَل . وقِيلَ: فِي اِلْكِتَابِ مِاْئَةَ حِكْمَة ووَاحِدَةٌ؛ وَهَذِهِ اَلثَّالِثَة مِنْهَا؛ وَهَذِهِ هِي اَلْحِكْمَةُ: يِأتِي فِي الْوُجُود مِنْ بَعْدِ رُوحِ اللّه يَصُوعُ ، نُورٌ مِنَ اللّه اَسْمُهُ (١٣ب) الْمَاحِي اَلْمُنوِّر، وَبِالْمُعْجَم اَلْبَارقْلِيْطُس؛ خَاتِمُ اَلْمُرْسِلِينَ تَأيِيداً، وَخَاتِمُ اِلدِّينِ وَنُورُ الاَنْبِيَاء؛ لاَ نُورَ لَهُم دُونَهُ؛ وَلاَ للاِحَدِ مِنَ العَالَمِينَ؛ فَالَّذِينَ أمَنُوا بِهِ مِنْ بَعْدُ يُسْعَدُون حَقّ اَلسّعادَة؛ وَيَنُورُونَ حَقّ اَلتنوِيرِ بالتّنْوِير[١] الْمُبِين مِنَ اَللّهِ؛ وَمَنْ كَفَرَ بِهِ لاَ حَظَ لَهُ فِي الْجَنّةِ وَلَكِن اَكْثَرَ النّاسِ كَافِرُون؛ اَنتَهَى. وَقَدْ قَالَ لِي بِتُونُسْ- حَرَسِهَا اَللّهُ - اَلْفَقِيرُ الاِمَامُ اَلْفَقِيهُ مُحَمّد بَنْ عَبْدُ اَلرّفِيع اِلاَنْدَلُسِي: أنّ فِي الْحِكْمَةِ المَذْكُورَةِ سَبْعَة اَسْمَاء مِنَ اَسْمَاءِ النَّبِي - صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّم - وهِي:

١) نورٌ مِنَ الله
٢) اِلْمَاحِي
٣) اَلْمُنَوّر
٤) اَلْبَارقْلِيطَاسْ

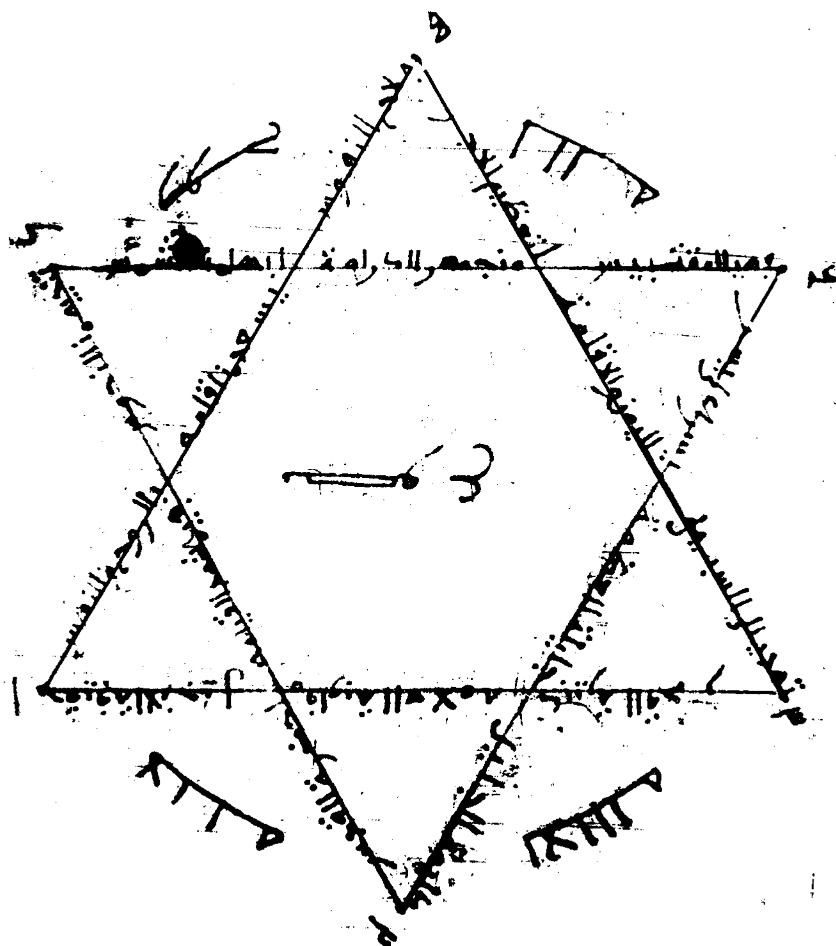
---

[١] استدرك الحجري هذه الكلمة في الحاشية مع علامة "صح" للدلالة على ان الكلمة من النص.

٥) خَاتِمُ اَلْمُرْسَلِينَ
٦) خَاتِمُ اَلدين
٧) نُورُ اَلاَنْبيـــا

وَفي كِتَاب آخرْ حِكمَة ذَكَرَهَا لي اَلاُكَيْحَل- رَحِمَهُ اَللّٰهُ تَعـالَى - تَـدُلُّ عَلَـى يَـوْمَ اَلْقِيَامَـةِ كَأَنَّـهُ بُرْهَـانٌ عَقْلِـي وَهِـيَ هَـذِهِ: اِنْ مَـاتَ اَلظَّالِمُونَ مِنْ غَيْرِ حُكْمٍ وَعَاشَ اَلصَّالِحُون مِنْ دُونِ أَجْرٍ فَذَلِكَ دَلِيـلٌ عَلَى يَوْمَ اَلْقِيَامَـة لانّ اللّـهَ حَـاكِمٌ عَـدل (١٤أ) وَلاَ يَظْلِمُ فـي حُكْمِـهِ اَحَداً.

وَأَمّا اَلْكِتَاب اَلَّذِي يُرْجَى فِيهِ اَلْخَيْرَ حَسْبمَا قَالَ في كِتَابِ **مَوَاهِبُ الثَّوَاب** لِلْصَالِحَةِ مَرْيَمْ - عَلَيْهَا السّلام - وَنَضَعَهُ في أَخِرْ كِتَابِنَا هَذَا اِنْ شَاءَ اللّهُ ؛ قَالَتْ: تَكُونُ اَلنَّـاسُ عَلَـى دِينٍ وَاحِدٍ؛ وَهُـوَ مَكْتُـوبٌ **كِتَابُ حَقِيقَةُ اَلاِنْجِيلْ** في سَبْعٍ وَرَق مِنْ رَصَاص بِحُرُوفٍ لَمْ تُعْـرَفُ في زَمَنِنَا؛ وَاُحْضِرَ لِلْقَسِـيسِ جَمِيـع حُـروفُ اَلْهِجَـاء اَلَّتِـي هِـيَ أَلاَنْ عِنْدَ اَلنَّاسِ فِي الدُنْيَا ؛ وَتِلْكَ اَلْحُرُوف اَلَّتي في اَلْكِتَابِ مُخْتَلِفَةٍ لِجَمِيعِ اَلْحُرُوف. وَاَمّــا اَلْمُـتَرْجِمُون سَـمُّوهُ بِـالْكِتَابِ اِلاَبْكَم لِعَـدَمِ مَعْرِفَـةِ قِرَاعَتِـهِ. وكَـانَ فـي اَوّلِـهِ خَـاتِمُ سُلَيْمَان - عَلَيْــه السّــلاَم- مَكْتُوبـاً بِالْعَرَبِيَةِ وَمَا عَدَا اَلْخَاتِم مَكْتُوبـاً بِـالحُرُوفِ اِلَّتِي لَـمْ تُقْـرَأ اِلـى آخِـرِ اِلزَّمَـن فـي جَزِيـرةِ اِلسِّبْرِ فـي اَلْبَحْـرِ الصَغِـير بِمَشْـرِقِ اِلْبُنْدُقِيَــة؛ وَالْجَدْوَل وَضَعْتُهُ بِمُحَاوَلِهِ: (١٤ ب)



١- حقيقَةُ الانْجيل مقْلوبَةُ الْعَلامَة كَبيرَة الْقَدْرِ
٢- كَلِيمَةُ الْجَليل جَلِيلَةُ اَلْعَظَامَة يُسْراً عَلَى يُسْرِ
٣- تَهْدِي اِلَى اَلسَّبِيلِ لِلْيُمْنِي وَاَلاقَامَة لِتَعْظِيم الاَجْرِ
٤- فَهِيَ لِلْمُقْتَبِيسِ مِنْ جُمْهُرِ اِلْكَرَامَة ابْهَا مِنَ الشَّمْس
٥- فَلاحٌ لِلنفُوسِ يُسْعَدُ مَن اقَامَه بِالرُّوحِ وَالنفْسِ
٦- تُنْجيه مِنَ النُحُوسِ فِي مَشْهَدِ اِلْقِيَامَة لِحَضْرَةِ الْقُدْسِ

وَأَيْضاً يُقْرَأ عَلَى اَرْبَعَةِ اَنْوَاع مِثْلُ انْ يَبْدَى بِالسَّطْرِ الاوّل ثُمّ بِالخَامِس ثُمّ بِالثَّالِث ثمّ بِالرّابع ثُمّ بِالثَّانِي ثمّ بِالسَّادِسِ. وَجْهٌ آخَرُ فِي اَلْقِرَاءَةِ: يُقْرَا الاولُ ثُمّ اَلثَّانِي مِنَ الاَسْطَارِ ثمّ اَلثَّالِث ثُمّ اَلسَّادِس ثُمّ اَلْخَامِس ثُمّ الرَّابِع؛ وَجْهٌ ثَالِثٌ: يُقْرَا اَلسَّطْرُ الأَوّلُ ثُمّ اَلثَّالِثُ ثُمّ اَلخَامِسُ ثُمّ اَلثَّانِي ثمّ اَلرَّابِعُ ثُمّ اَلسَّادِسُ؛ ثُمّ وَجْهٌ رَابِعٌ: يُقْرَا اَلأَوّلُ ثُمّ اَلثَّالِثُ ثُمّ اَلْخَامِسُ ثُمّ الثَّانِي ثمّ اَلرَّابِعُ ثُمّ اَلسَّادِسُ، وَهُوَ مِنَ الْعَجَبْ (١٥ ب).

وَقَدْ قُلْتُ لِلقَسِيس: نُحِبُّ نُطَالِع اَلْكِتَابَ الّذِي لَمْ يُقْرَ المُسَمّى بِـ: **حَقِيقَةِ الإنْجِيلِ** لَعَلّي نَسْتَخْرِجُ مِنْهُ شَيْئَاً؛ قَالَ لِي: لَمْ يَبْلُغ اَلزّمَنُ الّذِي يُقْرَا فِيهِ ذَلِكَ اَلْكِتَابُ؛ وَعَلِمَ ذَلِكَ مِنْ الْكِتَابِ اَلْمُسَمّى بِـ: **كِتَابِ مَوَاهِبِ الثّوَابِ** للصَّالِحَةِ مَرْيَمْ؛ وَقَدْ وَجَدْتُ فِي تُونُسْ - حَرَسَهَا اَللّهُ - نُسْخَةً مِنْهُ بِالْعَرَبِيَةِ وَأُخْرَى بالاِعْجَمِية - أَتَى بِالنُسْخَتَيْنِ وَاحِدٌ مِن اَلاَنْدَلُسْ اَلّذِي كَانَ يُتَرْجِمُ - وَوَجَدْتُ فِي اِلاَعْجَمِيَةِ البَاطِل وَالْكَذْب مَا لاَ كَانَ فِي النُّسْخَةِ اِلْعَرَبِيَةِ[١].

---

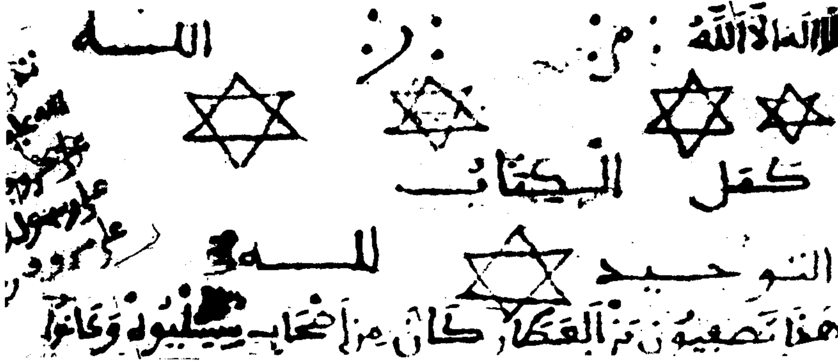
[١] شطب الحجري على ستة عشر سطراً بعدها ، فلم نستطع قراءتها.

(١٦أ) وَهَذِهِ عَقِيدةُ فِي تَوْحِدِ اَللّــهِ تَعَالَى؛ مِن وَاحِدٍ مِن الكُتُبِ الْمَذْكُورَةِ؛ وَهِيَ مِنْ كِتَابِ تَصَنُّفِيُونْ اَبْن اِلْعَطّــارِ فِي اِلذَاتِ اِلْكَرِيمَةِ؛ قَـــالَ :اَلدَّوَامُ لاَ يَزَالُ هُوَ فِي اِللَّهِ؛ أَوَّلُ كُلِّ شُيْءِ؛ اَلّذِي لَيْسَ لِبِدَايَتِــهِ اِبْتِدَاء وَلاَ لِفَضِيــلَتِهِ اِنْقِضَــاء؛ لاَ يَبْلُــغُ كُنْــهُ صِفَاتِــهِ اِلْوَاصِفُــونَ وَلاَ يَتَفَكَّرُونَ فِي مَائِيَّةِ ذَاتِهِ اَلْمُتَفَكِرُونَ؛ لَيْسَ اَحَدٌ مِنَ اَلْعَالَمِينَ رَآهُ عَيْـنَ اَلنِّظَرِ؛ مُلْكُهُ لاَ يَزَالُ لأَنّهُ اِنْ زَالَ مُلْكُهُ مَا كَانَ اَللّهُ؛ وَلَــهُ صِفَـاتٌ لاَ تَتَبَدّلُ لأنَّ اِنْ تَبَدّلَتْ صِفَاتُهُ مَا كَانَ اَللّهُ. لَهُ جَلاَلَةٌ لاَ تُدْرَكُ لاِنّهَا اِنْ اُدْرِكَتْ كَانَ نُقْصَاناً بِهِ؛ لَهُ عَظَمَةٌ لاَ تَنْفَـكّ لأَنّهَـا اِنْ اَنْفَكّتْ عَظَمَتُـهُ أَتَاهُ اَلنُقْصَانُ وَلَيْسَ ذَلِكَ وَاسِعٌ فِيهِ أَبَدًا. هُوَ ذُو عِلْمٍ دُونَ جَهْلٍ؛ عَلِـمَ كُلّ شَــيْءٍ قَبْلَ كَوْنِـهِ. وَهُـوَ ذُو قُـوّةٍ دُونَ نُقْصَــانٍ. وَهُـوَ ذُو رَحْمَــةٍ وَفَضْلٍ دُونَ اِمْتِنَانٍ. هُوَ(١٦ب) ذُو عِلْمٍ قُسْطٍ لاَ يَفْنَــا اَبداً. لَيْسَ لَــهُ اِحْتِيَاج لأَحَدٍ مِنَ اَلْعَالَمِينَ لِيَزْدَادَ سُلْطَانَهُ وَلَيْسَ دُونَهُمْ لَهُ نُقْصَانٌ فِي ذَاتِهِ وَلاَ فِي مُلْكِهِ. وَكُلٌّ مَا خَلَقَ خَلَقَــهُ مِـنْ رَحْمَتِـهِ دُونَ اِحْتِيَـاجٍ. الْمَوْجُودَاتِ كَوْنٌ وَهُوَ الْمُكَوِّنُ؛ لَوْ أَمَرَ اَلدُّنيَـا بِـالْغَرَاقِ بِمَـنْ عَلَيْهَـا لَدَامَت فِي غَرقٍ مَا دَامَ مُلْكَهُ وَلاَ يَزَالَ وَلاَ تَصِيـبُ مُسْتَقَراً لَهَـا فِـي مَوْضَعٍ. هُوَ خَلَـقَ كُـلّ شَـيْءٍ وَلَيْـسَ بِمَخْلُـوقٍ. هُـوَ مُوَانِـسٌ وَلَيْـسَ مُوَانِسَا لَهُ. هُوَ ذُو عِلْمٍ مَا دُونَ اَحْتِيَاجٍ مِن غَيْرِهِ. هُوَ ذُو رَحْمَــةٍ مَـا دُونَ نُقْصَانٍ. هُوَ اَوّلُ كُلّ شَيْءٍ : لَيْسَ قَبْلَــهُ شَــيْءٌ وَبَعْدَ كُـلّ شَــيْءٍ لَيْسَ بَعْدَهُ شَيْءٌ اِلَــهُ لَيْسَ شَــيْءٌ مِثْلَــهُ. لَيْسَ هُـوَ كَـم وَلاَ عَـدَدٌ وَلاَ فَصْلٌ وَلاَ فَوْق وَلاَ تَحْت وَلاَ وَهَمٌ وَلاَ خَيَــالٌ وَلاَ كَـلاَمٌ وَلاَ لُغَـة وَلاَ صُنْع مِثْل خَيَالِنَا.هُوَ فَوْقَ الْعُقُول لَيْسَ يوَصَف؛ لَهُ اَلْجَلاَلُ وَالْكَمَــالُ؛ وَذَلِكَ هُوَ فِــي وَحْدَانِيَتِــهِ لاَ يَفْهَـم اَللّــهُ الاَ اَللّــهُ. لَــهُ اَلْعَظَمَــةُ وَالْعِبَـادَةُ

وَالْشُكر عَلَى كُلَّ شَيْءٍ؛ وَالايمَانُ مَا دُونَ ذَلِـك (١٦ ب) خُسْرَانٌ؛ انْتَهَى.

وكَانَ فِي الْكِتَابِ هَذِهِ الْحُرُوف وَالْخَوَاتِم:

لاَ الَهَ إلاَ اَللَّهُ : م : ر : اللـــه[١]



هَذَا تَصفيُونَ ابنْ اَلعَطَار كَانَ مِن اَصْحَابِ سِسِلْيُوهْ وكَانُوا ـ كمَا قُلْنَا ـ عَلَى اَثرْ سَيِّدِنَا عِيسَى ـ عَلَيْهِ اِلسّلاَم ـ ويَظْهَرَ مِن كَلاَمِهِ فِيمَا تَقَـدَّمَ اَنَّهُ بَرِءٌ مِنَ الشِركِ الَّذِي تَعْتَقِدُهُ النصَـارى فِـي هَـذَا اَلزَمَـنْ لاَنَّهُـم يُصَدِّرُونَ فِي ذِكْرِ اَلاُلُوهِية بالتَّثْلِيثِ؛ وَاَيْضًا سِسِلْيُوهُ مَا قَالَ فِي اَوَّلِ كِتَابِهِ اِلاَ بِإِسْـمِ اِلـذَاتِ الْكَرِيمَـةِ اِلْمُلْتَبِيبَـةِ؛ وَالاَنْ يَقُولُـونَ: بِسْـمِ اَلاَبْ وَالابْن وَالرُّوحِ اِلقُدُسِ اِلَهٌ وَاحِدٌ؛ تَعَالَى عَن قَوْلِهِمْ عُلُوًّا كَبِيراً.

ولَمَّا اَرَدْتُ اَلْقُدُومِ اِلَى مَدِينَـةِ اِشْبِيلِيَة لِنَمْشِ اِلَـى بِـلاَدِ اِلْمُسْلِمِينَ مَشَيْتُ اِلَى الْقَسِيْس وَقُلْتُ لَهُ: اِنِّـي عَزَمْتُ عَلَـى الْقُدُومِ اِلَـى بَلَـدِي؛ وَاَنَّ اَبِي كَتَبَ لِي اَنْ نَمْشِي اِلَيْهِ وَاَنَّ طَاعَة الْوَالِدَيْنِ وَاجِبَةٌ.

---

[١] كتب الحجري بخطه في الحاشية: " الله اعلم ان الميم تدل على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم والنقط الاربعة على حروف الاسم والراء تدل على رسول والنقط الاربعة على حروف رسول اذ هي اربعة ".

قَالَ لِي: فِي بَعْضِ اِلْمَسَائِلِ هِيَ وَاجِبَةٌ وَفِي بَعْضِهَا لاَ تَجِبُ.

قُلْتُ: لاَ بُدَ لِي مِنَ اَلْقُدُوم (١٧ب)، وَطَلَبْتُ مِنهُ اَن يَكُونَ سَنَداً لِلاَنْدَلسْ لاَنَّهُم ذُلاَّلٌ عِنْدَ اَلنصَارَى اَلْقُدَمَاء.

قَال لِي: اِعْلَمْ اِنَّنِي مِن جَانِبِهِمْ فِي كُلِّ زَمَنٍ، وَحِينِ قَامُوا عَلَى السُّلْطَان كُنتُ اَنَا قَاضِي اِلقُضَاة بِهَذِهِ اِلْمَدِينَةِ وَجَاءَ اِلَيْهَا اَخُو اَلسُّلْطَان وقَبَضَ مِنَ اَعْيَنِ الاَندلُسْ بِهَذِهِ اِلْمَدِينَةِ مِائةِ وَاَرْبَعِين رَجُلاً وَقَتَلَهُم؛ كُلُّ ذَلِكَ لِيَاْخُذَ اَمْوَالَهُمْ؛ وَكَانَ اَلْحَقُ اَنْ يَتْرُكَهُم لأَنَّهُم مَا كَانُوا مِنْ اَلْقُوَّام. وَاَصْحَابُ اَلْمَالِ وَالنِعْمَة لاَ يَسْعُونَ اِلاَ فِي أُمُورِ اِلْعَافِيَةِ لِيَتَنَعَمُوا فِيمَا عِنْدَهُم بِخِلاَفِ غَيْرِهِم؛ وَلَكِن اَنْتُمْ اَلاَنْدَلُسْ فِيكُمْ عَادَةٌ غَيْرَ مَحْمُودَةٌ!

قُلْتُ: مَا هِيَ؟

قَالَ: اَنَّكُمْ لاَ تَمْشُونَ اِلاَ بَعْضَكُم مَعَ بَعْضٍ وَلاَ تُعْطُونَ بَنَاتِكُمْ لِلنَصَارَى اَلْقُدَمَا وَلاَ تَتَزَوَّجُون مَعَ اَلنِصْرَانِيَات اَلْقُدَمَا.

قُلتُ لَهُ: لِمَاذَا نَتَزَوَّجُ النِصْرَانِيَات اَلْقُدَمَا؟ وَكَانَ بِمَدِينَةِ اِنْتَقَيْرَ رَجُلاً مِنْ قَرَابَتِي عَشَقَ بِنْتًا نِصْرَانِيَةً؛ فَفِي اِلْيَومِ اِلَذِي مَشَوْا فِيهِ بِالْعَرُوسَةِ اِلَى اَلْكَنِيسَةِ لِيُتِمَّ اَلنِكَاح اَحتَاجَ يَلْبسُ اَلْعَرُوس اَلزَرْد اِلمُهَنَد مِنْ تَحْتِ اَلْحَوَايِجِ وَاَخَذ عِنْدَهُ سَيْفًا لأَنَّ قَرَابَتِهَا حَلَفُوا اَنَّهُمْ يَقْتُلُونَهُ فِي الطَرِيقِ؛ وَبَعْدَ اَنْ تَزَوَّجَهَا بِسِنِينَ لَمْ يَدْخُل اِلَيْهَا أَحَدٌ مِن قَرَابَتِهَا بَل يَتَمَنَوْنَ مَوْتَهُ وَمَوتَهَا؛ وَالْنِكَاحُ لاَ يَكُونُ لِيَتَخِذَ بِهِ الاِنْسَانُ اَعْدَاءَ بَلْ اَحْبَاباً وَقَرَابَةً! (١٨أ)

قَالَ لِي: وَاللِّهِ اِنَّكَ قُلْتَ اَلْحَقَ؛

مَوتَهُ وَمَوتَها؛ وَالنِكَاحُ لاَ يَكُونُ لِيَتَخِذَ بِهِ الانْسَانُ اَعْدَاءَ بَلْ اَحْبَاباً وَقَرَابَةً! (١٨أ)

قَالَ لِي: وَاللّهِ اِنكَ قُلْتَ اَلْحَقَ؛

وَتَوَدَعْنَا بِالْخَيْرِ وَذَهِبْتُ. وَمَا ذَكَرْتُ لَهُ عَنِ الاَنْدَلُسِي وَالنّصرَانِيَة كَانَ صَحِيحاً؛ وَاَسلَمَتْ عَلَى يَدِهِ وَحُسْنِ اِسْلاَمِهَا غَايَة اَلْحُسْنِ وَاَسلَمَتْ عَلَى يَدَيْهَا أُمُّهَا عَجُوزَة.

اَلْبَـــابُ اَلثَّـــانِي

فِي قُدُومِنَا إِلَى بِلاَدِ الْمُسْلِمِينَ وَمَا اَتفَقَ لَنَا عِنْدَ خُرُوجِنَا مِنَ اَلنَّصَارَى

اَعلَمْ – رَحِمكَ اَللّهُ تَعَالَى – اِنّ اَلْبِلاَد اِلّتِي هِيَ عَلَى حَاشِيَةِ اِلْبَحْرِ مِنْ بِلاَدِ الاَنْدَلُس وَاَيْضًا فيمَا لَهُمْ فِي بِلاَدِ الْمُسْلِمِين اَنّ للنّصَارى فِيهَا مِن الْحِرْص وَالْبَحْث فِي مَنْ يَرِد عَلَيْهَا مِنَ الْغُرَبَا شَيْئاً كَثِيرًا؛ كُلُّ ذَلِكَ لِئَلاَّ يَذْهَب اَحَدٌ اَوْ يَجُوز عَلَيْهِمْ اِلَى بلاَدِ المُسْلِمِين؛ وَهَمّنِي الاَمْر كَثِيرًا فِي كَيْفِيَةِ الْخُرُوجِ مِنْ بيْنِهِمْ، وَرَكِبْتُ الْبَحْرَ فِي بَلَدٍ يُسمَّى بِمَرْسَى شَنْتَ مَرِيَا؛ وَكَانَ لِي صَاحِبٌ مِنْ بَلَدِي مِن اَهْلِ الْخَيْرِ وَاَلدِّين وَمَشَى مَعِي مُهَاجِرًا اِلَى اللّهِ وَبِلاَدْ اَلاِسْلاَمِ وَسبّل نَفْسَهُ؛ وَأَهْلُ اَلْقَارِب لاَ يَشُكُّونَ فِينَا بِاَنّنَا مِنهُمْ؛ فَقَطَعْنَا اَلْبَحْرَ فِي يَوْمَيْنِ وَ نَزَلْنَا فِي بَلَدٍ يُسَمَّى بِالْبُرَيْجَة – هُوَ لِلنّصَارَى – وَلَيْس بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَدِينَةِ مَرَّاكُشْ اِلاّ (١٨ب) نَحْوَ الثّلاَثَة اَيَامٍ لِلْمَاشِي الْمُتَوَسِطِ.

وَتَعَجَبْتُ مِن اَلْمَنْعِ الّذِي فِي بُنْيَان سُورِهَا؛ هُوَ اَسَاسَهُ عَلَى حَجَرٍ صَلْد وَسِعَتَهُ ثَلاَثَةُ عَشَرَ ذِرَاعاً؛ وَلاَ يُبَالِي بِكُور اَلْمَدَافِعِ مِن اِتْقَانِهِ وَغُلْظِهِ؛ حَتَى شَاهَدْتُ ثَلاَثَةَ مِن الْفُرْسَانِ بِخَيْلِهِمْ يَدْفَعُونَ خَيْلَهُمْ جُمْلَةً عَلَى اَلسُّور وَلاَ يَخَافُونَ الْوُقُوعِ مِنْهُ.

وَلَمَّا أن دَخلْنَا؛ سَأَلَنَا الْقَبطَان: مَا سَبَبْ قُدُومِكُمْ ؟

قُلْتُ لَهُ: وَقَعَ لَنَا شَيْءٌ مِنَ التّغْيِير مَعَ أُنَاس بِبِلاَدِ الأَنْدَلُسْ وَجِئنَا اِلَى حُرْمَتِكُمْ؛

قَالَ: مَرْحَبًا بِكُمْ.

قُلْتُ: اُحِبُّ مِنْكَ اَنْ تَاذَنْ لَنَا فِي رُجُوعِنَا اِلَى بِلاَدِنَا مَهْمَا أَرَدْنَا؛

قَالَ: اَذَنْتُ لَكُمَا.

وَنَزَلْنَا عِنْدَهُمْ وَاشْتَرَيْتُ حِصَانًا مِن اَحْسَنِ اِلْخَيْل وَصِرْتُ مِن فُرْسَانِهِمْ. وَكُنْت أُحِبُّ اَشْتَرِي اَخُرْ لِصَاحِبِي وَلَمْ يَتَيَسَرْ.

وَتِلْكَ اَلْبَرَيْجَةَ فِي رُكْن مِنْ اَلاَرْضِ؛ وَاَلْبَحْرُ دَايِرٌ بِهَا مِنَ الْجَانِبَيْنِ وَلاَ يَخْرُجُ اَحَدٌ مِنْ اَلْبَلَدِ حَتَّى تَتَقَدَّمُ الْفُرْسَان وَيَقْتَسِمُونَ وَيَحُوزُونَ مِنْ اَلْبَحْرِ اِلَى اَلْبَحْر مِن اَلْجَانِب اَلآخُر اَلْبَسَاتِين مَعَ اَلْبُرَيْجَة؛ وَلَيْس لأحَدِ مِنْ اَلنِّصَارَى أَنْ يَجُوزُ اَلْحَدّ اَلَّذِي تَكُونُ فِيهِ الْفُرْسَان اَصْحَابُ اَلنَّوْبَةِ لِلْحِرْس؛ وَلَمَّا (١٩أ) رَأَيْتُ ذَلِكَ قُلْنَا: نَخْرُجُ مِنَ الْبُرَيْجَة وَنَجْلِس بَيْنَّ اَلْبَسَاتِين وَنَسْتَخْفِي فِيهِ اِلَى اَلَّيْل وَنَذْهَبُ اِلَى مَدِينَةِ اَزَمُور– هِيَ لِلْمُسْلِمِين عَلَى ثَلاَثَةِ فَرَاسِخْ مِنَ اَلبُرَيْجَةِ – وَقُلْتُ لِصَاحِبِي: اِذَا قَدَّرَ اللّهُ عَلَيْنَا اِنّ النِّصَارَى يَتِّصِلُونَ بِنَا فَوَاحِدٌ مِنًّا يَسْتَعْمِلُ نَفْسَهُ أَنّ الْجِنّ اَصْرَعَهُ وَيَخْرِجُ مِن فَمِّهِ بِحَدِيدٍ شَيْئًا مِنَ الدَمِ لَعَلّنَا نَنْجُو اِنْ شَاءَ اَللّهُ بِذَلِكَ اَلْكَيْد.

فَخَرَجْنَا اِلَى بَيْنِ اَلْبَسَاتِين وَاَخْتَفَيْنَا هُنَالِكَ؛ ثُمّ أَنّ صَاحِبِي مَشَى اِلَى بُسْتَانٍ قَرِيبٍ مِنَ اَلْمَوْضِعِ اِلَذِي كُنَّا فِيهِ وَبَقِيَ هُنَالِكَ اِلَى قَبْلِ غُرُوب اَلشَّمْس بِقَلِيلٍ؛ وَأَنَا فِي اَشَدّ تَغْيِير؛ وَالْفُرْسَانُ تَأتِي اِلَى اَلْبَلَد؛ ثُمّ جَاءَ صَاحِبِي قُلْتُ لَهُ مَا اَلسَّبَبُ حَتَّى قَعَدْتَ اِلَى هَذِهِ اِلسَّاعَةِ؟ قَالَ كُنْتُ اَتَكَلّمُ مَعَ صَاحِب بُسْتَانٍ حَتَّى عَزَمَ عَلَى اَلْخُرُوجِ مِنهُ جِئتُ مِنْ عِنْدِهِ؛ فَبَيْنَمَا كُنْتُ بِالغَيْظِ أُدَبِّرُ كَيْفَ اَلْعَمَل اِذْ سَمِعْتُ اَلْبَوّاب يَزْمُورُ مِزْمَارًا لَهُ يُنَادِي اِلنَاس قَبْل سَدّ اَلْبَابَ (١٩ب) فَاشْتَغَلْتُ اَقْرَأ سُورَةَ

يَس؛ وَالزّمْرُ فِي زِيَادَةٍ، قُلْتُ لِصَاحِبِي هَذَا الزّمْرُ هُوَ عَلَيْنَا، قَالَ لِي اَعْمَلْ حيلَةً الاصْرَاعِ لأنّ النّاسَ جَاءَتْ إلَيْنَا، قُلْتُ لَهُ لاَ أَعْمَلُ ذَلِكَ؛ مِمّا كَانَ عِنْدِي مِنَ الْغَيْظِ وَالتّغْيِيرِ عَلَيْهِ؛ قَالَ: اَنَا أَعْمَلُ؛ قُلْتُ: اَفْعَلْ؛ وَاَنَا أَتَكَلّمُ عَلَيْكَ مَعَهُمْ، فَاَخْرَجَ شَيْئًا مِنَ الدّمِ ورَمَى بِنَفْسِهِ فِي الأَرْضِ.

فَخَرَجْتُ اِلَى جِهَتِ الرِّجَالِ وَاَنَا اشِيرُ إِلَيْهِمْ أَنْ يَاتُوا اِلَيّ؛ فَلَمّا وَصَلُوا قَالُوا مَا السّبَبُ فِي جُلُوسِكِمْ اِلَى هَذِهِ السّاعَة؟ وَالْبَوّابِ يُنَادِي عَلَيْكُمْ؛ أَمّا تَخَافُ مِنْ الْمُسْلِمِينَ أَنْ يَأخُذُوكُمْ أُسَارَى؟

قُلْتُ فِي نَفْسِي مَا نَفْتَشُ الاَ هُمْ، قُلْت لَهُمْ: كُنْتُ بَعَثْتُ صَاحِبِي يَشْتَرِي خِيَارًا وَلَمّا تَعَطّل جِئْتُ فِي طَلَبِهِ حَتّى وجَدْتُهُ فِي هَذِهِ الْحَالَةِ مَا اَسْتَطَعْتُ حَمْلَهُ وَحْدِي لأَنّهُ يَضْطَرِبُ فِي الاَرْضِ.

فَوَصَلُوا اِلَى نَاحِيَتِه وَرَأَوْه بالدّمِ فِي وَجْهِهِ وَعُنُقِهِ وَهُوَ يَضْطَرِبُ بِيَدَيْهِ، قَالُوا: هَذَا يَمُوتُ؛ وَكَانَ وَاحِدٌ مِنَ الّذِينَ جَاءُوا (٢٠أ) صَاحِبَ الْبُسْتَانِ الّذِي كَانَ مَعَهُ صَاحِبِي فِي الْكَلاَمِ.

وَوَصَلَ الْخَبَرُ لِلْقَبطَانِ بِأَمْرِنَا وَظَنّوا وَقَالُوا اِننَا هَارِبُونَ اِلَى الْمُسْلِمِينَ؛ وَأَمَرَ أَنْ يَنْظُرُوا هَلْ الْحُصَانُ فِي الدّارِ؟ قَالُوا هُوَ فِيه وَحَوايِجَهُمْ أَيْضًا. قَالَ لَوْ كَانَا يَهْرُبَانِ لَمْ يَتْرُكَا الْحُصَان وَهَذَا اَمْرٌ نَزَلَ بِهِمَا.

وَالْتَمّتْ جَمِيعُ النّاسِ بِحَضْرَةِ القُبطَان وَالرِّجَال الّذِين كَانُوا عِنْدَنَا قَالُوا اِنّ هَذَا يَمُوتُ؛ وَاتَفَقُوا أَنْ يَمْشِي وَاحِدٌ مِنْهُمْ يُنَادِيَ الْقَسِيسَ لِيُثَبّتَهُ وَيَستَقِرْرَهُ مِنَ الذّنُوب لِيَمْشِي مَغْفُورًا مِنْهُ اِلَى الْجَنّةِ؛ فَمَشَى وَاحِدٌ وَأَعْلَمَ الْقَبطَانَ بِالأَمْرِ فَجَاءَ الْقَسِيس وَهُوَ عَلَى بُعْدٍ مِنْهُ يُثَبّتُهُ؛

قُلْتُ لِلْقَسِيسِ أَظُنُّ أَنَّهُ مَصْرُوعٌ مِنَ اَلْجِنِّ؛ فَاقْرَا عَلَيْهِ اَوّلُ مَا ذَكَرَ يُوحَنًا فِي الأَنْجِيلِ لِيَذْهَبَ عَنْهُ اَلْجِنْ.

فَقَرَ عَلَيْهِ مِنَ اَلأَنْجِيلِ وَذَهَبَ اَلْجِنّ وَالشَّيْطَان وَظَهَرَتْ لِلْقِرَاءَةِ اِلبَرَكَةُ وَالْبُرْهَان وَشهُرَتْ هُنَالِكَ وَلاَيَةُ الْقَسِيسْ؛ وَضَحِكَ مِنْهُ الْجِنّ مَعَ اِبْلِيسْ، وبَرَا المُرِيضُ فِي اِلْحِين (٢٠ ب).

وَاَخَذَهُ اِثْنَان مِنْهُمْ - كُلٌ وَاحِدٍ مِنْ تَحْتِ أَبُطِهِ - وَصَارَ يَمْشِي مَعَهُمْ حَتَّى صَعَدَ عَلَى حَايِطٍ نَازِلٍ وَهُمَا مَعَهُ فَأَطَرَحَ نَفْسَهُ عَلَى وَاحِدٍ مِنْهُمَا عِنْدَ هُبُوطِهِ مِنْهُ كَادَ أَنْ يُوقِعَهُ.

وَدَخَلْنَا اَلْبَلَد وَجَمِيعُ النَّاسِ مَعَ اَلْقَبطَان وَحَكَوْ لَهُ كُلٌ مَا طَرَى وَأَنّ اَلْمَرِيض بَعْدَ أَنْ كَانَ يَمُوتُ بَرءَ ببَرَكَةِ مَا قَرَا عَلَيْهِ اِلْقَسِيسُ؛ وَمَشَيْنَا اِلَى اَلدَّارَ وَجَاءَ مِنْ أَكَابرِهِمْ يَنْصِحُونَنِي أَنْ لاَ نَتْرُكَهُ يَركِبُ الْحُصَان وَلاَ يَطْلَع عَلَى اَلسُور لِئَلاَ يَصْرعُهُ اَلْجِنّ. ثَمّ جَاءَ اَلْطَبِيبُ - وَكَانَتْ لَهُ صَنَايِع غَيْرَ اَلطِبّ كَثِيرَةٌ ؛ فَكَانَ يُصَقِلُ اَلسّكَاكِين وَيُركِّبَ اَلرِّمَاح وَاَظُنُّته يَحْلَق وَبَيْطَار اَلْخَيْل.

فَقَالَ اَلْحَكِيم مَا هَذَا اَلّذِي اَصَابَهُ؟ فَحَكَيْنَا لَهُ؛ وَبَقِيَ مُتَحَيِّرًا مَاذَا يَأمِرُنَا بِهِ مِنَ اَلْعَمَل لِلْعَلِيل.

فَقَال : اَجْعَلْ عَلَيْه حَوَايِجَ لَعَلَّهُ يَعْرَق؛

فَشَكَرْتُهُ عَلَى حِكْمَتِه وَ وَضَعْنَا اَلْحَوَايجَ عَلَيْه.

فَلَمَّا اَنْ ذَهَبُوا جَمِيعًا وَلَمْ يَسْمَعْ اَلمَرِيضُ اَحَدًا اَخْرَجَ رَاسَهُ مِنْ تَحْتِ اِلْحَوَايِج وَقَالَ كَيْفَ حَالُنَا يَا سَيْدِي؟

قُلْتُ (٢١أ) لَهُ: غَطِّ رَاسِكَ مَا عِنْدَنَا إلاَ اَلْخَيْر اِنْ شَاءَ اَللَّهُ؛

وَذَهَبَ اَلنَّوْمُ عَنَّا فِي اِلّيْلَةِ كُلِّهَا .

وَيَوْم آخرُ تَبَيِّنَ لنَا انَّ اَللّهَ تَعَالَى لَطَفَ بِنَا وَبَقِيَ اَلْمَرِيضُ سَالِمًا وَنَحْنُ نُتَدَبَّرُ كَيْفَ اَلْعَمَلُ لِنَقْضِي اَلْغَرَضَ حَتَّى نَخْرُجَ مِنْ بَيْنِ اِلْكُفَّارِ • قُلْنَا لَوْ كَانَ وَاحِدٌ مِنَّا وَحْدَهُ كَانَ يُمكِنُ اَلْهُرُوب وَالْخُرُوج بِأَن يَخْتَفِي وَيَهْرُبُ وَاَلْحَالُ لِلأَثْنَيْنِ صَعْبٌ •

وَكَانَتْ سَفِينَةٌ عَازِمَةٌ عَلَى اَلرُّجُوعِ اِلَى بِلاَدِ اِلأَنْدَلُسْ؛ قُلْنَا نَرْمِي الْقُرْعَةَ مِنْ يَرْجِعَ مِنَّا فِي هَذِهِ اِلسَّفِينَةِ ؟ فَرَمَيْنَاهَا وَجَأَت فِي وَكَانَتْ اَلنَّاسُ تَتَكَلَّمُ بِنَا وَتَقُول اِنِّي كُنَّا نُرِيدُ الهُرُوب اِلَى بِلاَدِ الْمُسْلِمِينَ •

فَمَشَيْتُ اِلَى اَلْقَبطَان وَقُلْتُ لَهُ أُحِبُ اَرْجِعُ اِلَى بِلاَدِ اِلأَنْدَلُسْ فِي هَذِهِ اِلسَّفِينَةِ وَاِذَا اَستَغْرَضْتَ شَيْئًا مِنْ تِلْكَ اَلْبِلاَدِ فَأَعْطِنِي زِمَامًا بِهِ اَبْعَثُهُ اِلَيْكَ •

قَالَ وَصَاحِبُكَ يَمْشِي مَعَكَ؟

قُلْتُ لَهُ اَرَادَ اَلْقُعُودُ هُنَا وَأَنْتَ تَرُدُّ بَالَكَ عَلَيْهِ لأَنَّهُ غَرِيبٌ • فَخَرَجْتُ عَشِيَةً وَاَوْجَدْتُ مَا يُحتَاجُ مِنَ اَلطَعَامِ فِي السَّفَرِ فَوَجَدْتُ بِقُرْبِ بَابِ (٢١ ب) اِلْبَلَدِ قَارِبًا صَغِيرًا؛ فَقَالَ اَركَبْ فَاعْطَيْتُهُ الطَّعَامَ وَالْحَوَايِجَ وَقُلْتُ لَهُ اِذَا خَرَجَ اَلتَاجِر اَلَّذِى كَانَ يَمْشِي مِنَ الْبُرِيْجَةِ؛ نَركَبُ اَلْقَارِبَ اَلصَّغِير لِيُبَلِغَنَا اِلَى اَلسَّفِينَةِ اَلْكَبِيرَةِ • فَجَلَسْنَا هُنَالِكَ نَدْعُوا اللّه تَعَالَى اَن يَتَعَطَّلَ اَلتَّاجِرُ حَتَّى يَنْسَدَ اَلْبَابَ •

ثُمَّ قَالُوا لِصَاحِبِي أُدْخُلْ عِنْدَ سَدِّ اِلْبَاب.

قُلْتُ لَهُمْ دَعُوهُ مَعِي حَتَّى يَخْرُجْ اَلتَاجِر.

قَالُوا نَعَمْ يَقْعُدْ.

فَاظْلَمَ اَلِّيْلُ اِلَى أَنْ صَلِّيْنَا اَلْعِشَاء اِلاَخِرَة ثُمَّ دَعَوْنَا اَللِّهَ أَنْ يُرْشِدَنَا وَيَسْتُرْنَا مِنْ اَعْدَائِنَا ، قُلْنَا هَذَا وَقْتُ اَلْخَيْرِ فَنَذْهَبُ اِنْ شَاءَ اَللِّهُ اِلَى ازَمُور ،

قُلْتُ لِصَاحِبِي مَا ظَهَرَ لَكَ اَنْ نَّصْنَع فِي ذِهَابِنَا.

قَالَ: كَيْفَ مَا ظَهَرَ لَكَ ،'

قُلْتُ لَهُ: يَا صَاحِبِي اِلطَّرِيقُ اَلْقَرِيبُ هُوَ مِن هُنَا اِلَى أَزَمُورْ ، قُلْتُ: وَمِنْ اَلْمُمكِن اِنَّا اِذَا شَرَعْنَا فِي اِلطَّرِيقِ رُبَّمَا يَخْرُجُ اَلتَّاجِرُ اِلَّذِي هُوَ يَمْشِي فِي اِلسَّفِينَةِ وَاِذَا طَلَبُوا عَلَيْنَا لَمْ يَجِدُونَا وَيَتِّبِعُونَا كَمَا هِيَ مِنْ عَادَتِهِمْ وَيَدْرَكُونَنَا بِالْخَيْلِ ،

قَـال: كَيْفَ اَلْعَمَلُ؟

قُلْتُ: هَذا طَرِيق اَزَمُورْ هُوَ هَذَا اِلشِّمَالِي عَلَى حَاشِيَةِ اِلْبَحْرِ؟

قَالَ: نَعَمْ (١٢٢أ).

قُلْتُ: نَمْشُوا عَلَى حَاشِيَةِ اِلْبَحْرِ اِلْيُمْنَى اِلَى غَدَ اِنْ شَاءَ اَللِّهُ تَعَالَى نَمْشُوا اِلَى اَزَمُور ،

قَالَ: عَلَى بَرَكَةِ اِللِّه!

فَمَشَيْنَا وَبَعْدَ سَاعَةٍ اَوْ أَقَلّ سَمِعْنَا مَكْحُلَةً لَعَلِّي نَفِيقُ مِنَ النَّوْمِ اِنْ كُنِّا نَائِمِينَ ، فَمَشَيْنَا اَلِّيْل كُلُّهُ فِي بِلاَدِ اِلاُسُدِ اِلَى اِنْشِقَاقِ اِلْفَجْرِ أَخْلَوْا اَلْمَدْفَع اَلْكَبِير وَهِيَ عَلاَمَةٌ عِنْدَهُمْ اِذَا اَخْلَوْا ذَلِكَ أَنِّهُ لاَ يَتَخَلِّفَ اَحَدٌ عَنِ اِلْخُرُوجِ مِنَ الْبِلاَدِ وَعَلِمْنَا أَنِّهُمْ مَا خَرَجُوا اِلاًّ فِي طَلَبِنَا ، فَاتِّفَقْنَا انَ نِّدْخُلاَ فِي وَسَطِ شَجَرَةٍ كَبِيرَةٍ وَنَجْلِسُ هُنَالِكَ اِلَى اَلِّيْلِ؛ وَكُنِّا نَسْمَعُ حِسِّ اَلْبَارُودِ اِلْكَثِيرِ ، ثُمِّ يَئِسُوا مِنِّا وَوَلِّوْا خَائِبِينَ ،

وَسَبَبُ رُجُوعِهِمْ أَنَّ قَايِدَ اَزَمُورْ لَمَّا سَمِعَ حِسَّ اَلْمَدْفَعِ اَلْكَبِير عِنْدَ اَلصُبْحِ عَلِمَ أَنَّ احَدًا مِنَ اَلنَّصَارَى هَرِبَ مِنْ عِنْدَهِمْ ؛ فَأَمَرَ فِي اَلْحِينِ لِلْفَكَّاكِ أَنْ يَمْشِي اِلَى اَلْبُرَيْجَةِ لِيَتَكَلَّمْ مَعَ اَلْقَبطَانِ فِي شَانِ أَسِير كَانَ عِنْدَهُ وَيَأتِي بِالْخَبَرِ ٠ فَلَمَّا مَشَى اَلتَّقَى بِالنَّصَارَى فِي اَلْفَحْصِ وَسَأَلَهُ تُرْجُمَان اَلْقَبطَانِ عَن نِصيرانِيِيْنِ هَلْ رَآهُمَا؟ قَالَ لَهُ نَعَمْ هُمَا عِنْدنَا مِن اَلصبْحِ ٠ فَلَمَّا بَلَغَ اَلْخَبَرُ لِلْقَبطَان وَهُوَ مَع جُنْدِهِ فَكَانَ يَقْبِض (٢٢ب) بِيَدِهِ شَعْرَ لِحْيَتِهِ وَ يَنْتَفَهَا وَيَرْمِي فِي اِلاَرْضِ ٠ وَالْفَكَّاكُ قَالَ لَهُمْ ذَلِكَ لِيَيْئَسوْا وَيَرْجَعُوْا. فَقَنَطُوا وَوَلُّوا خَائِبِين وَنَحْنُ جَلَسْنَا بَيْنَ اَلاَشْجَارِ اِلَى اَللَّيْلِ.

وكَانَ اَلْحَرُّ اَلشَّدِيدُ وَنَحْنُ بِالْعَطَشِ سَائِرِينَ فَوَجَدْنَا عَيْنًا مِنْ مَاءٍ عَذْبٍ فَشَرِبْنَا وَبِتْنَا اِلَى اَلصُبْحِ. وكنَّا سِرْنَا فِي اَلَّيْلِ كَثِيرًا قَبْلَ وُجُودِ اِلْمَاءِ. وبَعْدَ ذَلِكَ بِزَمَنِ اِلْتَقَيْنَا بِمَرَاكُشْ بِرَجُلٍ مِنْ اَوْلاَدِ اِلْوَلِي سَيِّدِي عَلِي بِنْ اَبِي اِلْقَاسِمِ؛ وَسَأَلْنَا عَنْ حَالِنَا وَهُرُوبِنَا مِنَ البُرَيْجة اِلَى جِهَةِ طيطِ ؛ هُوَ بَلَدٌ خَالٍ كَانَ لِلْمُسْلِمِين؛ وَذَكرنَا لَهُ عَيْنَ اَلْمَاءِ اَلَّذِي وَجَدْنَاهُ فِي اَلِّيْلِ فَقَالَ لِلنَاسِ اَلْحَاضِرِينَ تِلْكَ اَلْبِلاَد نعْرِفَهَا كُلَّهَا وَلَيْسَ فِيهَا مَاءٌ عَلَى وَجْهِ اِلاَرْضِ الاَّ فِي اَلآبَارِ اَلْغَارِقَه٠

وَبَعْدَ أَنْ تَنَعَمْنَا بِالْمَاءِ وَصَلَّيْنَا اَلصُبْحَ مَشَيْنَا فِي طَلَبِ أَزَمُورْ؛ وَبِسَبَبِ اَلصَّحَب لَمْ نَرَ اَلشَّمْسَ حَتَّى كَانَتْ فِي وَسَطِ اِلسَّمَاءِ ثُمَّ سِرْنَا نَطْلُبُ عَلَى اَلْمَا وَنَجِدُ آبَار غَارِقَةً يَابِسَةً ؛ ثُمّ اَسْتَظَلَّيْنَا بِشَجَرَةٍ كَبِيرَةٍ بَعْدَ اَلْعَصْرِ وَسَمِعْنَا حِسَّ اَلْبَحْرِ وَوَلَّيْنَا اِلَيْهِ لَعَلَّنَا (٢٣أ) نَجِدْ مَاءً فَلَمْ نَجِدْ شَيْئًا فِي حَاشِيَةِ اِلْبَحْرِ لِلْشُرْبِ٠ ثُمّ مَشَيْنَا عَلَى طَرِيق وكُنْتُ أَظُنُّ اَنَّهُ مَاشِي اِلَى أَزَمُورْ ؛ فَبَعْدَ نِصْفِ اِلَّيْلِ بَلَغْنَا اِلَى بَسَاتِينِ

الْبُرَيْجَةِ ثُمَّ جُزْنَا وَتَرَكْنَاهَا مِنْ وَرَائِنَا وَسِرْنَا عَلَى حَاشِيَةِ الْبَحْرِ اِلَى اَنْ أَصْبَحَ عَلَيْنَا وَنَحْنُ فِي الامَانِ مِنْ اَلْبُرَيْجَة.

ثُمَّ صَعَدْنَا عَلَى جَبَلٍ وَرَأَيْنَا اَلْمُسْلِمِينَ يَحْصُدُونَ اَلزَّرْعَ؛ وَلَمَّا قَرُبْنَا مِنْهُمْ جَاءُوا اِلَيْنَا بِأَسْلِحَتِهِم وَخَيْلِهِمْ؛ فَلَمَّا وَصَلُوا اِلَيْنَا قُلْنَا لَهُمْ نَحْنُ مُسْلِمُون فَامْسَكُوا عَنِ اَلْحَرْب وَفَرِحُوا بِنَا فَرْحًا عَظِيمًا وَاَعْطَوْنَا اَلْخُبْز وَالطَّعَامَ اَلَّذِي لَمْ نَرَهُ مِنْ يَوْمِ اَلْجُمُعَةِ قَبْلَ اَلزَّوَالِ اِلَى يَوْمِ اِلاثْنَيْنِ عِنْدَ الضُّحَى. ثُمَّ بَلَغْنَا اِلَى أَزْمُورَ فَأَقْبَلَ عَلَيْنَا قَائِدُهَا وَبَحَثْنَا كَثِيرًا فِي أُمُورِ دِين اَلْمُسْلِمِينَ وَقَالَ لِي اتَكْتُب بِالْعَرَبِيَةِ قُلْتَ لَهُ نَعَم قَالَ اكْتُب فِي هَذِهِ اَلْوَرَقَةِ؛ قُلْتَ لَهُ مَاذَا أَكْتُبُ قَالَ اَلَّذِي تُحِبُّ؛ فَكَتَبْتُ مَا اَلْهَمَنِي اللَّهُ تَعَالَى وَشَكَرْتَهُ عَلَى قَضَاءِ اَلْحَاجَةِ وَخَلاَصِنَا مِنَ اَلْكُفَّارِ وَدَعَوْتُ بِالْخَيْرِ لِلْقَائِد مُحَمَّد اِبْن اِبْرَاهِيم اَلسُّفْيَانِي عَلَى مَا اَحْسَنَ اِلَيْنَا؛ وَقَبَضَ (٢٣ب) اَلْوَرَقَةَ؛ وَاظُنُ اَنَّهُ بَعَثَهَا لِلْسُلْطَان مَوْلاَيْ أَحْمَد رَحِمَهُ اَللَّهُ. وَكَتَبَ لَهُ وَأَمَرَهُ أَنْ يَمْشِي لِحَضَرَتِهِ فِي عِيدِ اَلاضْحَى وَاَنْ يَحْمِلْنَا مَعَهُ.

فَلَمَّا أَنْ بَلَغْنَا فِي دُكَالَة اِلَى سُوقٍ كَبِيرٍ أَمَرَ اَلْقَائِد لِخَدِيمِهِ أَنْ يَرْكَبَ مَعِي اِلَى اَلسُّوق؛ فَلَمَّا أَنْ دَخَلْنَا فِيه جَاءَ اَلْمُسْلِمُونَ يَسْئَلُونَ اَلْخَدِيم عَنِّي قَالَ لَهُمْ هُوَ مُسْلِمٌ فَجَاؤُنِي مِنْ كُلِّ جَانِبٍ وَهُمْ يَقُولُونَ لِي شَهِّدْ شَهِّدْ وَأَنَا سَاكِت؛ حَتَّى اَلَحُّوا عَلَيَّ وَكَثَّرُوا فِي ذَلِكَ؛ قُلْتُ اَشْهَدُ أَنْ لاَ اِلَهَ اِلاَّ اَللَّهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ؛ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدَهُ وَرَسُولَهُ. قَالُوا وَاللَّهِ اَنَّهُ قَالَهَا خَيْرٌ مِنَّا. ثُمَّ مَشَوْا وَأَتَوْنِي بِتَمَر وَغَيْر ذَلِكَ مِمَا كَانُوا يَبِيعُونَهُ وَفِضَّة دَرَاهِمِ. قُلْتُ لَهُمْ لاَ أَطْلُبُ مِنْكُمْ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ.

فَلَمَّا وَلَيْنَا عِنْدَ اَلْقَائِد قَالَ لِي مَا ظَهَرَ لَكَ قُلْتُ اَلْحَمْدُ لِلَّهِ إذْ لَمْ نَـرَ عَدُوًا فِي هَذِهِ النَّاسِ لأَنَّ فِي بِلاَدِ النَّصَارَى لَمْ نَرَ فِيهَا فِي الاَسْوَاقِ الاَّ اَعْدَاءَ لَنَا يَمْنَعُونَا مِن اَلشَّهَادَتَيْنِ جَهْرًا وَالْمُسْلِمُونَ يُحَرِّضُونَنِـي عَلَيْهَا وَفَرَحُوا (٢٤أ) جَمِيعًا حِينَ سَمِعُوا مِنِّي ذَلِكَ٠ وَقَدْ شَـبَّهْتُ مَـا أَصَابَنَا مِنْ خَوْفِ النَّصَارَى وَمَا رَأَيْنَا مِـنَ اَلتَّعَـبِ فِي الطَّرِيـقِ اِلَـى أَهْوَالِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَوُصُولِنَا اِلَى اَلْمُسْلِمِين لِلدُخُولِ فِي الْجَنَّةِ٠

نَسْئَلُ اللَّهَ اَلْعَظِيم أَنْ لاَ يَحْرِمَنَا مِنْهَا وَجَمِيـعِ الْمُسْلِمِينَ اَجْمَعِيـن بِبَرَكَةِ سَيِّدنَا مُحَمَّد عَلَيْهِ اَفْضَلِ اَلصَّلاَةِ وَالتَّسْلِيم٠

اَلْبَـــابُ اَلثَّـــالِثُ

فِي بُلُوغِنَا اِلَى مَدِينَةِ مَرَّاكُشْ وَمَا كَانَ اَلسَبَبُ حَتَّى مَشَيْتُ اِلَى بِلَادِ اَلفِرِنْجِ

وَلَمَّا اَنْ بَلَغْنَا اِلَى مَحَلَّـةِ اِلسُّلْطَانِ مَوْلَانَـا أَحْمَد اِبْـن مَـوْلَايْ مُحَمَّدْ اَلشَيْخ اَلشَّرِيف اَلْحَسَنِي ؛ وَكَانَ بِقُـرْبِ اِلْمَدِينَـةِ بِنَحْـوَ اَلسّتَت اَمْيَـال بِسَبَبِ اِلْوَبَاء اَلْعَظِيم اَلذِّي نَزَلَ بِتِلْكَ اَلْبِلَادِ ؛ وَكَانَ عِيد اَلاضْحَى فِي اِلْيَوْمِ اِلآتِي مِنْ بُلُوغِنَا • وَخَرَجَ اَلسُّلْطَان فِي جُنُودٍ لَـمْ نَظُـنُ ذَلِـكَ ؛ وَعَجَبَنِي حَالَ اَلرُّمَاة فَحِزَامَهُمْ هُوَ أَفْضَلْ وَأَحْسَنُ وَأَزْيَـنُ مِـنْ حِـزَامِ اِلنِّصَارَى بِكَثِيرٍ ؛ وَأَمَّـا اَلْعَـرَب اَلذِّيـن جَـاؤُا وَحَضَـرُوا مَـعَ قُوَّادِهِـمْ فَكَانُوا تِسْـعًا وَعِشْرُونَ اَلْـفَ فَـارِسٍ وَكَـذَا مِائَـةٍ مَـا عَـدَا السُبِيْحِيَة[1] وَفُرْسَـــانِ اِلْمَدِينةِ وَالْقَرَادَة (٢٤ب) وَالْجُنْدُ كَثِيرٌ •

وَبَعْدَ ذَلِكَ دَخَلْنَـا مَرَّاكُشْ هِـيَ مَدِينَـةٌ كَبِيرَةٌ وَ فَوَاكِهُهَـا كَثِيرَةٌ وَعِنبُها لَيْس فِي اِلدُنيَا مِثْلَهُ؛ عَرْضُهَا اِحْدَى وَثَلَاثُون دَرَجَةٌ وَنِصْـف وَطُولُهَا تِسْعَ دَرَاج لأَنِّهَا قَرِيبَة مِنْ اَلْجُزُرْ اَلخَـالِدَات اَلْمُسَمَات الاَن بِقَنَارِيَة وَمِنْهَا اِبْتِدأُ اَلطُول وَبَعْدَ أَنْ دَخَلَ السطان مِنَ اَلمُحلَةِ وَكَـانَ ذَلِكَ عَام سَبْعَ وَأَلْف وَأَنْعَمَ عَلَيْنَا وَأَذَنَ لَنَا فِي اِلدُّخُول اِلَى حَضْرَتِـهِ فِـي يَـوْمِ اِلدِّيـوَان؛ وَلَمَـا اَبْتَـدَأْتُ بِـالكَلَامِ اِلَّـذِى اَخْتَرْتُـهُ أَن أَقُولَـهُ بِحَضْرَتِهِ اَلْعَلِيةِ بِصَوْتٍ جَهِير؛ سَكَتَ جَمِيعُ النَّاسِ اِلْحَاضِرُون كَأَنِّهَا خُطْبَةٌ؛ فَفَرِحَ اَلسُّلْطَان وَقَـالَ كَيْـفَ يَكُـونُ بِبِـلَادِ اِلاَنْدَلُس مَـنْ يَقُـول

---

[1] يعني: السباهية، وهي كلمة تركية تعني: فرقة الفرسان الرسمية.

بِالْعَرَبِيَـةِ مِثْل هَذَا الْكَـلاَم لأَنَّـهُ كَـلاَمُ اَلْفُقَهَـاءِ؛ وَفَـرِحَ بِذَلِـكَ كَافَّـةُ اَلأَنْدَلُس اِلْقُدَمَاء.

وَرَأَيْنَا اَلْعَافِيَةَ وَالرَخَا فِي تِلْكَ اَلْبِلاَدِ اِلَـى اَنْ مَـاتَ مَـوْلاَيْ اَحْمَد رَحِمَه اَللَّهُ فِي مَوْلد اَلنَّبِـي صَلَّـى اَللَّـهُ عَلَيْـهِ وَسَلَّمَ مِـنْ سَـنَةِ اِثْنَتَـي عَشْرَةَ وَاَلْف؛ وَقَامَتْ اَلْقُوّامْ وَاَلْهَرَج فِي اِلْمَغْرِب كُلِّـهِ، ثُـمَّ ثَبَـتَ فِـي اَلْمَمْلَكَةِ مَوْلاَنَا زَيْدَان ابْنُ اَلسُّلْطَان مَوْلاَيْ اَحْمَد رَحِمَهُمَا اَللَّهُ تَعَالَى. وَفِي (٢٥أ) اَيَامِه اَمَرَ السُّلْطَان اَلنَّصْرَانِي بِبِلاَدِ اِشْبَّانيَةِ؛ اَعْنِـي بِـلاَد الاَنْدَلُس اَلْمُسَمَّى بِـ فلِبٌ اِلثَّالِث مِـنْ اِسْمِهِ بِـإِخْرَاجِ جَمِيـعِ اِلْمُسْلِمِينَ مِنْ بِلاَدِهِ. وَابْتِدَاءُ ذَلِكَ كَـانَ لِسَنَةِ ثَمَـانِ عَشْـرَةَ وَأَلْـف؛ وَآخِـرَ مَـنْ خَرَجَ مِنْهُمْ كَانَ عَام عِشْرِينَ وَاَلْف.

وَكَانَ الاَنْدَلُسْ يَقْطَعونَ اَلْبَحْرَ فِي سُفُنِ اَلنَّصَارَى بِالْكِرَاء؛ وَدَخَلَ كَثِيرٌ مِنْهُم فِي سُفُن اَلْفَرَنْجِ وَنَهَبُوهُمْ فِي اَلْبَحْرِ؛ وَجَـاءَ اِلَـى مَرّاكُشْ اَنْدَلُس مَنْهُوبُونَ مِنَ اَلْفَرَنْج مِنْ اَرْبَع سُفُن وَبَعَثَ رَجُلٌ اَنْدلُسِـي مِـنْ بِلاَد فرَنْجَة يَطْلُبُ مِنْهُمُ وكَالَةً لِيَطْلُب بِالشَّـرْعِ عَنْهُم بِبِـلاَدِ اَلْفَرَنْـجِ؛ وَاتَّفَقَ نَظَرَهُمْ اَنهُمْ يَبْعَثُونَ خَمْسَةَ رِجَالاً مِن اَلْمَنْهُوبِينَ وَيَمْشِـي بِهِـمْ وَاحِدٌ مِنَ اَلأَنْدَلُس الَّذِينَ سَبَقُوهُم بِالْخُرُوجِ ؛ وَاتَّفَقُوا اَنَّنِي نَمْشِي بِهِـمْ وَاَعْطَانِي اَلسُّلْطَان كِتَابَهُ وَ رَكِبْنَا اَلْبَحْرَ اَلْمُحِيط بِمَدِينَةِ أَسْفِي.

اَلْبَـــابُ الرَّابِــــعُ

فِي قُدُومِنَا اِلَى بِلَادِ اِلْفَرَنْجِ

وَلَمَّا اَنْ دَخَلْنَا اَلْبَحْرَ سَافَرْنَا ؛ اِلَى اَنْ تَرَكْنَا بِلَادِ اِلْمَغْرِب عَنْ يَمِينَنَا ثُمَّ عَبَرْنَا فِي اَلْبَحْرَ اِلْمُحِيطِ اِلَى جِهَةِ اِلْقُطْبِ اَلشِّمَالِي؛ وَتَرَكْنَـا اَيْضًـا بِلَادِ اَلاَنْدَلُسْ عَنْ يَمِينِنَا وَبَلَغْنَا (٢٥ب) اِلَى بِلَادِ اِلْفَرَنْجِ اِلَـى مَرْسَـي هَبْرِذَاغَرَسِي؛ وَمَعْنَى ذَلِكَ اَلاِسْمِ مَرْسَى اَلْبَرَكَة؛ بَعْدَ ثَلاَثِينَ يَومًا مِنْ خُرُوجِنَا ؛ وَبِتْنَا فِي اِلسَّفِينَةِ بِنِيّةِ اِلْخُـرُوجِ فِـي اَلْـبَرِّ فِـي غَـدٍ. وَتِلْـكَ اَللَّيْلَةُ عَلَى طُولِهَا نَرَى فِي اِلنَّوْمِ اِنِّي كُنْـتُ نَتْلُـوا سُـورَةَ اَلاِخْـلَاصِ؛ وَبَعْدَ أَنْ نَزَلْنَا فِي اِلْبَرِّ بَانَ لِي أَنَّ قِرَاَةَ قُلْ هُوَ اَللَّهُ اَحَدٌ كَانَ لِي تَثْبِيتًا عَلَى اَلتَّوْحِيدِ وَالاَمْرُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى بِهِ اِذْ كُنَّا نَازِلِينَ بِبِلَادِ اِلشِّرْكِ.

ثُمَّ مَشَـيْنَا اِلَـى مَدِينَـةِ رُوَانْ وَجَـاءَ اِلَيْنَـا تَـاجِرٌ كُنْـتُ عَرَفْتُـهُ فِـي مَرَّاكُشْ اَسْمُهُ قَـرْطْ ؛ وَلِطُـول مُكْثِهِ بِبِـلَادِ اِلْمُسْلِمِينَ كَـانَ يَعْـرِفُ اَلْعَرَبِيَـة غَايَـةً؛ وَبَـدَا يَتَكَلَّمُ فِـي دِيـنِ اِلْمُسْلِمِينَ وَيَشْكُرُ دِينَـهُ؛ وَقَـالَ اَلْمُسْلِمُونَ فِي دِينِهِمْ مُبَاحُ اَلزِّنَا وَالسَّرِقَة.

قُلْـتُ هَذَا بَاطِلٌ.

قَالَ بَلْ صَحِيحٌ لأَنِّي سَمِعْتُ عُلَمَاءكُمْ يَقُولُونَ اَنَّ بَعْضَـا سَـأَلَ نَبِيِّكُم قَالَ : اَلْمُومِن يَزْنِي؟ قَالَ لَه:ُ يَزْنِي. قَـالَ: وَاَلْمُومِـنُ يَسْرَقُ؟ قَـالَ: يَسْرَقُ. قَالَ اَيْضًا: اَلْمُومِنُ يَكْذِبُ؟ قَالَ لَهُ: اَلْمُومِنُ مَا يَكْذِب.

قُلْتُ لَهُ: اَلْمُومِنُ الَّذِي مَا يَكْذِبُ فَلاَ يَسْرِقُ وَلاَ يَزْنِي ؛ وَكَيْفَ تَقُولُ ذَلِكَ وَعِنْدَنَا اَنَّ مَنْ سَرَقَ مَا يُسَاوِي رُبْع (٢٦أ) دِينَارٍ تُقْطَعُ يَدَهُ شَرْعًا؛ وَاِذَا زَنَا اَلْمُحْصِنُ يُرْجَم اِلَى اَنْ يَمُوتَ!

ثُمَّ زَادَ فِي مِدْحِ دِينِهِ اِلَى اَنْ قَالَ سَيِّدُنَا عِيسَى - عَلَيْهِ اِلسَلاَم - كَانَ اِبْنُ اَللَّهِ وَاِبْنُ اِنْسَانٍ؛ وَاَنَّهُ مَاتَ لِيُخَلِّصَ اَلذَّنْبَ اَلاَوَّلُ عَنْ سَيِّدُنَا آدَمْ - عَلَيْهِ اِلسَّلاَم.

قُلْتُ: اَقُولُ لَكَ فِي الْجَوَابِ شِعْرًا نَسَبَهُ بَعْضٌ لِلْقَاضِي عِيَاض وَهُوَ هَذَا:

عجبًا لِلنصَارَى فِي نَبِيِّهِمُ	وَاِلَى أَيٍّ وَالِدٍ نَسَبُوهُ
أَسْلَمُوهُ اِلَى اَلْيَهُودَ وَقَالُوا	اَنَّهُمْ بَعْدَ صَلْبِهِ قَتَلُوهُ
فَإِنْ كَانَ مَا يَقُولُونَ حَقًّا	فَاسْئَلُوهُمْ أَيْنَ كَانَ اَبُوهُ
فَاِنْ كَانَ رَاضِيًا لاِذَاهُم	فَاشْكُرُوهُمْ لأَجْلِ مَا عَذَّبُوهُ
وَاِنْ كَانَ سَاخِطًا لأَذَاهُمْ	فَاعْبُدُوهُم لأَنَّهُمْ غَلَبُوهُ

فَبُهِت التَّاجِر وَلَمْ يَعْرِفْ مَا يَقُولَهُ!

وَكَانَ قَدْ ذَكَرَ لِي رَجُلٌ مِنْ عُلَمَاءِ اِلنَّصَارَى فِي مَدِينَةِ مرّاكُش؛ وَكَانَ رَاهِبًا ثُمَّ اَسْلَمَ وَسُمِّيَ بِرَمَضَان؛ ثُمَّ مَشَى اِلَى بِلاَد اِلسُّوْدَان وَمَاتَ بِهَا وَاللَّهُ اَعْلَمْ. وَقَالَ لي إِنَّ اَلسُّلْطَان مَوْلاَيْ اَحْمَد رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى اَمَر بِإِحْضَارِهِ بَيْنَ يَدَيْهِ بَعْدَ اَنْ عَلِمَ اَنَّهُ مِنْ عُلَمَاءِ اِلنَّصَارَى وَقَالَ لَهُ (٢٦ب): مَاذَا تَقُولُونَ فِي سَيِّدِنَا عِيسَى عَلَيْهِ اِلسَّلاَم؟

قَالَ اَنَّهُ اَحَدُ الثَّلاَثَة فِي اِلاُلُوهِيَةِ اَوْ كَمَا قَالَ وَاَنَّهُ مَاتَ لِيُخَلِّصَ اَلْعَالَم مِنْ الذَّنْبِ الاَوَّلِ الَّذِي عَمَلَهُ اَبُونَا آدَمُ.

قَالَ لَهُ اَلسُّلْطَانُ: اَنَا اَضْرِبُ لَكَ مَثَـلاً حَتَّـى تَـرَى اَلْغَلَـطَ اَلَّـذِي اَنْتُـمْ عَلَيْهِ فَقَدِّرْ اَنَّنِي اَمَرْتُ اَنَّ مَنْ يَدْخُلِ فِـي هَـذَا اَلْبُسْـتَانِ اَلَّـذِي بِدَارِنَـا اَلسَّـعِيدَة نَقْتُلُـهُ؛ وَاتَّفَـقَ اَنَّ وَاحِـدًا مِمَّـنْ عَلِمَ بِـالْمَنْعِ دَخَـلَ اَلْبُسْـتَانِ وَعَصَانِي؛ فَلَمَّا صَـحَّ ذَلِـكَ عِنْـدِي اَمَـرْتُ اَلْخَـدَّام أَنْ يَـأْتُونِي بِـاَبْنِي فَلَمَّا اَحْضَرُوهُ قُلْتُ لَهُمْ اَقْتُلُوه لأَجْلِ دُخُـولِ فُـلاَنٌ فِـي اَلْجِنَـان اَلَّـذِي نَهَيْتُ اَلنَّـاسَ عَـن اَلدُّخُـولِ فِيـهِ٠ قَـالَ لِـلرَّاهِبِ هَـذِهِ مَسْـئَلَتِكُمْ عَلَـى زَعْمِكُمْ اَنَّ عِيسَى هُوَ اِبْنُ اللَّـهِ وَقُتِـلَ؛ وَهَـلْ يَقُـولُ عَـاقِلٌ بِمِثْـلِ هَـذَا اَلْقَولِ؟ فَخَرَسَ اَلرَّاهِب وَبُهِتَ وَلَمْ يَجِدْ مَا يُجَاوِّبُ بِهِ٠

قُلْتُ لِلرَّاهِبِ: هَذَا اَلْكَلاَمُ لَمْ يَبْقَ لَكُمْ مَا تُجَاوِبُونَ.

قَالَ لِي اَلرَّاهِبُ: بَقِيَ لِي جَوَابٌ؛

قُلْتُ لَه:ُ مَاذَا هُوَ؟

قَالَ: بَعْدَ اَن مَشَيْتُ اِلَى اَلدَّارِ اصَبْتُهُ؛ وَذَكَرَهُ لِي؛ وَكَانَ كَلاَمًـا لَيْـسَ فِيهِ مَا يُقَالُ وَلاَ مَا يُكْتَبُ (٢٧أ) فَمَا بَعْدَ اَلْحَقّ اِلاَ اَلضَّلاَلُ.

وَقَدْ وَقَعَ لِي كَـلاَمٌ فِـي مَدِينَـةِ رُوَان مَـعَ قَـاضِي اِلْقُضَـاة بَعْـدَ اَنْ زُرْتُهُ وَكَانَ يَعْرِفُ اَللِّسَانُ اَلْعَجَمِي اَلاَنْدَلُسِي فَسَأَلَنِي عَن مَسْـئَلَةٍ فِـي دِينِنَـا لأَنَّـهُمْ كَـانُوا مُخْتَلِفُـون فِيهَـا؛ اَعْنِـي اَصْحَـابُ اَلبَّـابِّ؛ وَكَـانَ اَلْقَاضِي عَلَى مَذْهَبِهِ وَبَيْـنَ اَلنَّصَـارَى اَلَّذِيـنَ يَكْفُـرُونَ بِـهِ وَبِكُـلِّ مَـا يَقُولُ مَا عَدَا اَلتَّثْلِيثِ لأَنَّهُمْ مُتَفِقُونَ فِيهِ وَذَلِكَ اَنَّهُ قَـالَ لِـي: اِذَا مَـاتَ اَلْمَرْءُ هَلْ تَصِلُ اِلَيْه حَسَنَةٌ مِنْ عِنْدِ غَيْرِهِ؟

قُلْتُ لَه:ُ قَالَ نَبِيُنَا صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اِذَا مَاتَ اَلْمَرْءُ اَنْقَطَعَ عَمَلَهُ اِلاَّ مِنْ ثَلاَثِ صَدَقَةٌ جَارِيَـةٌ اَوْ عِلْـمٌ يَنْتَفِـعُ بِـهِ اِلنَّـاسُ اَوْ وَلَـدٌ صَـالِحٌ يَدْعُو لَهُ٠ فَفَرِحَ وَانْشَرَحَ لأَنَّهُ مُوَافِقًـا لإِعْتِقَـادِهِمْ٠ وَالَّذِيـنَ يَكْفُـرُونَ

بالبّابٌ مِنَ اَلنّصَارَى يقُولُونَ اَنّهُ لاَ يَصِلُ لِلْمَيِّت دُعَا وَلاَ صَدَقَـةٌ وَلاَ شَيْء مِنَ الدُّنْيَا بَعْدَ موتِهِ.

ثُمّ قَالَ لِي اِلْقَاضِي: اَنْتُمْ التُرْكِيُون تَصنَعُونَ فَعْلاً قَبِيحًا بِقَتْلِكُمْ جَمِيـعَ اَوْلاَدَ اَلسّلاَطِين اِلاّ وَاحِدًا اَوْ اِثْنَيْن.

قُلْتُ: ذَلِكَ:لِصَلاَحِ اِلْمُسْلِمِين لأَنّ كُـلّ مَـنْ هُـوَ اِبْـنُ سُـلْطَان (٢٧ب) يُحِبُّ مَمْلَكَةَ اَبِيهِ؛ فَإِذَا اَصَابَ اَلْهُرُوب وَالْمَمْلَكَـةُ عَظِيمَـةٌ وَمُتَسِـعَةٌ، فَيَقُومُ مَعَهُ كَثِيرٌ وَتَكُونُ بِسَبَبِ ذَلِكَ تَفْرِيقُ اَلْكَلِمَةُ وَتَكُـونُ اَلْفِتْنَـةُ وَقَـدْ يُشَاهِدُ فِي النّحْلِ اَمْرٌ عَجِيبٌ وَهُـوَ اَنّهُ اِذَا اَفْرَخَ وَكَثُرَ فَتَخْرُجُ اَلنّحَـلُ مِنَ اَلْجُبْحِ وَتَدْخُـلُ فِـي جُبْحٍ آخَـرُ فَارِغًـا وَعِنْدَهُـمْ فِيمَـا بَيْـنَ اَلنّحْـلِ سُلاَلَة سَلاَطِينِ مِنْهَا؛ وَهُمْ نَحْلٌ اَطْوَلُ جِرْمًا مِنْ سَائِرِ اِلنّحَل وَتَـتْرُكُ اِلنّحَلُ وَاحِدًا مِـنْ جِنْسِ اِلْسّلاَطِينِ لِيَكُونَ سُلْطَانَهَا وَتَقْتُـلُ جَمِيـعَ مَـنْ هُوَ مِنْ ذَلِكَ الْجِنْسِ. وَهَذَا مُشَاهَدٌ يَعْلَمُ ذَلِكَ كُلٌّ مَـنْ يُخَـالِطَ اَلنّحْـل؛ وَهَذَا اِلْهَامٌ رَبّانِي. فَفَرِحَ اَلْقَاضِي وَأَظْهَرَ لِي صُحْبَةً وَمَوَدّةً وَنَفَعَنِـي نَفْعًا جَيّدًا فِي الأَحْكَامِ.

اَلْبَــــابُ اَلْخَــــامِــسُ

فِي قُدُومِنَا اِلَى بْرِيش

هِيَ دَارُ سَلْطَنَةِ اِلْفَرَنْجِ وَبَيْنَهَا وَبَيْـنَ مَدِينَـةِ رُوَانْ نَحْـوَ اَلثَّلاَثَـةِ أَيّـامِ؛ وَطُولُهَـا خَمْسَـةُ آلاَفِ وَخَمْسُمِائَةِ خَطْـوَةٍ؛ وَعَرْضُهَـا اَرْبَعَـتُ آلاَفِ وَخُمْسُمِائَةِ خَطْوَةٍ؛ وَبُيُوتهَا عَالِيَةٌ اَكْثَرُهَـا مِـنَ اَرْبَـع طَبَقَـاتٍ وَاَكْثَرُ وَأَقَلْ (٢٨ أ) وَكُلُّهَا عَامِرَةٌ بِالنَّـاسِ؛ وَدِيـار اَلأَكَـابِرُ مبْنِيَـةٌ بِـالْحَجَرِ اِلْمَنْجُورِ اِلاّ اَنَّهُ بِطُولِ الزَّمَنِ يَسْوَدُّ لَـوْنَ اَلْحَجَـرِ ، تَقُولُ اَلنَّصَـارَى اَنّ اَعْظَم مُدُن اَلدُّنْيَا اَلْقُسْطَنْطِينِيَة ثُمّ هَـذِهِ مَدِينَـةُ بْرِيْـش ثُمّ مَدِينَـةِ اِشْبُونَةْ بِبِلاَدِ اِلأَنْدَلُس. وَكَانَ مِنْ حَقِّهِـم اَنْ يَذْكُـرُوا مِصْـرَ اِلاّ اَنَّهُمْ يَقُولُونَ لَهَا اَلْقَاهِرَةَ اَلْكَبِيـرَة؛ وَاِذَا جَمَعْنَـا مَـعَ مِصْـرَ مَصْـرَ الْعَتِيـق وَبُولاَق وَقَايِةْ بَايِّ لَـمْ نَـدْرِ مَـن هِـيَ اَعْظَـمُ بَرِيـش اَوْ مِصْـرَ بِمَـا ذَكَرْنَا ،

وَقَدْ رَفَعْنَا امْرِنَا الَّذِي جِئْنَا بِسَبَبِهِ اِلَى تِلْكَ اَلْبِـلاَدِ اِلَـى اِلدِّيـوَان اَلسلْطَانِي وَأَعْطَوْا كُتُب اَلسُّلْطَان لِلْقُضَـاةِ الَّذِيـنَ ذَكَرْنَـا لَهُـمْ وَاَيْضـًا لِقَاضِي اِلاَنْدَلُس؛ وَذَلِكَ أَنّ فِي دِيوَانِهِمْ وَجَّهُوا قَاضِيًا نَصْرَانِي مِنْهُـمْ اِلَيْهم وَيَقْضِي بَيْنَهُمْ وَيَاخُذْ خُمُس اَلْمَالُ لِلاَغْنِيَاء مِنَ الْوَارِدِيـنَ عَلَـى بِلاَدِ اِلْفَرَنْجِ وَيَقِيمُ بِذَلِكَ فُقَرَاوُهُمْ.

وَلَمّا صَـحّ عِنْـدَ سُلْطَانِ اِسْــطَنْبُول بِخُـرُوجِ اِلاَنْدَلُـس اِلَّذِيـنَ يُسَمُّونَهُمْ بِبِـلاَدِ اِلتُّرْكِ بِمُدَجِّلِيـنَ كَتَـبَ كِتَابَـهُ اَلسَّنِي اِلَـى سُـلْطَانِ فَرَانْجَـة بِالْوَصِيَـة عَلَيْهِـمْ وَنَفَـعَ ذَلِـكَ اَلْكِتَـابُ اَلاَنْدَلُسْ (٢٨ب) نَفْعًـا

عَظيمًا؛ تَقَبَّلَ اَللّهُ مِنْهُ وَجعَلَهُ فِي اَعْلاَ عِلِّيين بِبَرَكَةِ سَيِّدِنَا مُحَمَّد سَيِّدُ الاوَّلِينَ وَاَلآخِرِينَ.

ولَمَّا اَعْطَوْنِي كُتُب اَلسُّلْطَان قُلْتُ لِبَعْضِ مَنْ كَانَ يَعْتَقِدُنِي مِنْهُمْ اَنْ يُتَرْجِمْ لِي اِلْكُتُب. وبَعْدَ اَلْكَلاَم اَلَّذِي مِنْ عَادَتِهِمْ يُصَدِّرُونَهُ؛ قَالُوا لِلْقَضَاة نَامُرُكُم اَنْ تَقِفُوا مَعَ حَامِلِ هَذَا؛ اَلَّذِي يَتَكَلَّمْ عَلَى اَلأَنْدَلُس لأَنَّ اَلسَّيِّد اَلْكَبِيرُ كَتَبَ لَنَا فِي شَأْنِهِمْ. وَهَذَا اَلاِسْمُ لاَ يُسَمُّونَ بِهِ أَحَدًا مِنْ مُلُوكِ اِلدُّنْيَا وَذَلِكَ بِبَرَكَةِ اِلاِسْلاَمِ؛ اِذْ هُوَ اَعْظَمُ سَلاَطِينِهَا.

وَاَلْتَقَيْتُ فِي تِلْكَ اَلْمَدِينَةِ بِرَجُلٍ مِنْ عُلَمَائِهِمْ كَانَ يَقْرَأُ بِالْعَرَبِيَةِ؛ وَبعْضَ اَلنِّصَارَى يَقْرَءُونَ عَلَيْهِ. وكَانَ يُسَمَّى بِأُبِرْتْ. وقَالَ لِي اَنَا اَخْدِمُكَ فِيمَا تَحْتَاجنِي لأُكَلِّمُ لَكَ مِنْ كُبَرَاءِ اِلنَّاسِ وَغَيْرُ ذَلِكَ؛ وَمَا نُحِبُّ مِنْكَ اِلاَّ نَقْرَا عَلَيْكَ فِي اِلْكُتُبِ اِلَّتِي عِنْدِي بِالْعَرَبِيَة وتُبَيِّنْ لِي فِيهَا شَيْئًا مِمَّا فِيهَا. قُلْتُ لَهُ آتِنِي بِهَا؛ وَمِن جُمْلَةِ اِلْكُتُبِ جَاءَ بِالْكِتَابِ اِلْعَزِيزِ.

فَسَأَلْتَه: اَيْنَ اِتَصَلْتَ بِهَذَا اَلْقُرْءَان؟

قَالَ: كُنْتُ بِمَدِينَةِ مَرَّاكُشْ وَهُنَالِكَ تَعَلَّمْتُ نَقْرَا بِالْعَرَبِيَةِ وكَانَ جُلُوسِي هُنَالِكَ عَلَى امْرِ سُلْطَانِ (٢٩أ) فَرَنْجَةْ لِنُعَلِّمَهُ بِحُرُوفِ اِلرَّمْزِ كُلَّمَا نَعْلَمُ اَنَّهُ يَقَعُ لِسُلْطَانِ مُرَّاكُشْ فِي دِيوَانِهِ وَحَرَكَاتِهِ.

فَتَغَيَّرْتُ حِينَ رَأَيْتُ كِتَابَ اَللّهِ تَعَالَى بِيَدِ كَافِرٍ نَجِسٍ؛ ثُمَّ سَاقَ قَانُون اِبْنُ سِينَا فِي الطِّبِ وَكِتَاب اَقْلِيدِسْ فِي اَلْهَنْدَسَةِ وَكُتُبًا فِي النَّحْوِ مِثْلُ الأَجْرُومِيَة وَاَلْكَافِيَةِ وكِتَاب بِالْعَرَبِيَةِ فِيهِ مُنَاظَرَات بَيْنَ

مُسْلِمٍ وَنِصْرَانِي فِي الاَدْيَانِ وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنَ الْكُتُبِ ٠ وَكُنَّا نَبْتَدِيء بِالْكَلاَمِ فِي الْعِلْمِ ثُمَّ تَقَعُ الْمُنَازَعَة بَيْنَنَا عَلَى الاَدْيَان٠

وَقَرأتُ يَوْمًا فِي الْقُرءَانِ اَلَّذِي كَانَ لَهُ وَوَجَدْتُ بِالْفَرَنْج مَكْتُوبًا بِطُرَّةِ اِلْكِتَابِ مِنْ هُنَا اَخَذَ اَلْمُسْلِمُونَ اِبَاحَةَ اَللِّوَاط!

قُلْتُ لَه: مَنْ قَالَ لَكَ أَنَّهُ مُبَاحٌ عِنْدَنَا؟

قَالَ: ظَاهِرٌ مِنْ هَذِهِ اِلآيَةِ ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ﴾.

قُلْتُ: نَحْنُ عِنْدَنَا أَنَّ اللِّوَاطَ اَشَدُّ ذَنْبًا مِنَ اَلزِّنَا لأَنَّهُ اِذَا زَنَا مُحْصِنٌ يُرْجَمُ اِلَى اَنْ يَمُوتَ وَاِذَا كَانَ غَيْر مُحْصِنٍ يُجْلَدُ مَائة جَلْدَةٍ وَيُغَرَّبُ عَنْ بَلَدِهِ وَيُسْجَنُ فِيهِ عَامًا؛ وَاذَا فَعَلَ فِعْلَ قَوْمِ لُوطٍ كَانَ مُحْصِنًا اَوْ غَيْرَ مُحْصِنٍ (٢٩ب) يَمُوتُ مَرْجُومًا شَرْعًا٠ وَكَيْفَ تُفَسِّرُ أَنْتَ فِي الْقُرآنِ وَالْمُفَسِّرُونَ لَهُ يَحْتَاجُونَ عُلُومًا شَتَّى وَاَنْتَ لاَ تَعْلَمُ لُغَتَ اَلْعَرَبِيَة وَلاَ اَلنَّحْوَ فَضْلاً عَنْ غَيْرَ ذَلِكَ!

قُلْتُ لَهُ: اَمْحِ اِلَّذِي كَتَبْتَ! وَاَبَى أَنْ يَمْحُو مَا فِي الطُّرَّةِ.

وَكَانَ هُوَ ذَكَرَ لِي اَنَّ فِي كَنِيسَةِ كَذَا فِيهَا كُتُب بِالْعَرَبِيَة؛ قُلْتُ لَهُ اُحِبُ أُطَالِعُهَا؛ وَمَشَيْنَا فَوَجَدْنَا قُبَّةً كَبِيرَةً وَالْكُتُب صُفُوفًا عَلَى اَلْوَاحٍ وَكَرَاسِي؛ وَكُلٌّ كِتَاب فِي اَسْفَلِهِ حَلَقَتَيْن حَدِيدٍ وَسِلْسِلَةٍ حَدِيدٍ تَجُوزُ عَلَى جَمِيعِ اِلْكُتُبِ؛ كُلُّ ذَلِكَ لِئَلاَ تَذْهَب وَتَسْرَق؛ وَكَانَتْ فِي كُلِّ لُغَةٍ. فَفَتَشْنَا حَتَّى وَجَدْنَا كِتَابًا عَرَبِيًا وَفَتَحْنَاهُ لِنَقْرَا فِيهِ وَالْمَوْضِعُ الَّذِي وَجَدْتُ كَانَ تَفْسِيرُ اَلآيَةِ اَلَّتِي ذَكَرْتُ اَنَّهُ كَتَبَ فِي اِلطُّرَّةِ عَلَيْهَا وَهِيَ نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ وَذَلِكَ مِنْ غَيْرِ قَصْدٍ مِنّي لِلآيَةِ اِلاَّ هِدَايَة مِن اَللَّهِ سُبْحَانَه وَبُرْهَانٌ لِمَا قُلْتُ لِلنِصْرَانِي٠ وَمِنْ جُمْلَتِ مَا ذَكَرَ فِي تَفْسِيرِ اِلآيَةِ أَبْيَاتِ شِعْرٍ؛ فَاخَذْتُ اَلْقَلَمَ وَكَتَبْتَهَا وَالنِّصْرَانِي حَاضِرٌ؛ وَهَذَا

اَلَّذِي كَتَبْتُ مِنَ اَلْكِتَابِ (٣٠أ) وَنَظَرْتُ أَوَّلَهُ لِنَذْكُر مُؤَلِّفَهُ وَخَصَّتْ وَرَقٌ فِي أَوَّلِهِ؛ وَهَذَا هُوَ اَلشِّعْرُ وَلَاكِنْ اَصْلَاحَ فِيهِ اَلشَّيْخُ اَلْعَلَامَةُ اَلاَجْهُورِي عِنْدَ قِرَاءَتِي اَلْكِتَابِ عَلَيْهِ:

حَبَّذَا مَن وُهِبَ اَلنِّسَاء اَلصَّالِحَاتْ

هُنَّ لِلْنَسلِ وَهُنَّ لِلْدِينِ ثَبَاتْ

يَهَبُ اَللَّهُ لِمَن يَّشَاءُ اَلنِّسَا اَلخَيِّرَاتْ

اِنَّمَا اَلاَرْحَامُ لَنَا مُحْتَرَثَاتْ

فَعَلَيْنَا بِالزَّرْعِ فِيهَا وَعَلَى اللَّهِ اِلنَبَاتْ

وَلَمْ يَسَعْنِي اِلْحَالُ اَن نُتِمَّ اَلْقِرَاةَ عَلَى مَعْنَى مَا بَقِيَ؛ وَقَالَ: اَلنِّصْرَانِي مَا هَذَا اَلَّذِي كَتَبْتَ؟

قُلْتَ: شَيْءٌ مِن تَفْسِيرِ اِلآيَةِ اِلَّتِي كَتَبْتَ اَنْتَ عَلَيْهَا فِي الطُرَّةِ بِإِبَاحَةِ اَلنِّكَاحِ فِي الدُبُرِ؛ وَقُلْتُ لَهُ مَعْنَى اَلشِعْرِ بِالاعْجَمِيَةِ.

قُلْتُ لَه: قَوْلُ اَللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ؟

قَالَ: نَعَمْ!

قُلْتُ: مَعْنَى اَلشِّعْرِ اِنَّ اَلاَرْحَامَ مَوْضِعِ اَلْحَرْثِ وَعَلَى اَللَّهِ اِلنِّبَات.

قُلْتُ لَه: هَلْ رَأَيْتَ أَوْ سَمِعْتَ أَنَّ اَحَدًا يَحْرُثُ فِي حَجَرٍ؟

قَال: لاَ!

قُلْتُ: لَمْ يَحْرَثْ اَحَدٌ اِلاَّ فِي مَوْضِعِ اِلنِّبَاتِ اَوِ اِلزَّرْعِ وَالنِسَاء هُنَّ حَرْثٌ اَلْرِجَالِ (٣٠ب) فِي مَحَلِّ اِلنِّبَاتِ كَانَتْ بِوَجْهِهَا اِلَيْهِ اَوْ بِظَهْرِهَا وَحِينَئِذٍ اَخَذَ اَلْقَلَمْ وَمَحَا مَا كَانَ كَتَبَهُ فِي مَعْنَى اَلآيَةِ.

وقَالَ اَلشَّيْخُ الاَجْهُورِي عَنْ سَيِّدِنَا مَالِك اَنَّ بَعْضًا نَسَبَ اِلَيْـهِ اَنَّـهُ قَالَ بِجَوَازِ اَلنِّكَاحِ فِي اِلدُبُر فقَالَ لَهُمْ أَمَ اَنتُـمْ قَـوْمٌ عُـرْبٌ هَـلْ يَكُـونُ اَلْحَرْثُ فِي غَيْرِ مَوْضِعِ اِلزَّرْعِ.

وَأَمَّـا هَـذَا اَلْفِعْلُ اَلْقَبِيـحُ فَقَدْ اشْـتَهَرَ عِنـدَ اَلْمُسْلِمِينَ حَتَّـى تَوهَّـمَ اَلنِّصْرَانِي اَنَّ ذَلِكَ مُبَاحٌ فِي دِينِنَا وَذَلِكَ لِشُهْرَتِهِ وَلِعَدَمِ اِلْعُقُوبَةِ عَلَيْـهِ حَتَّى اَنَّهُ ذُكِرَ اَنَّ بَعْضًا يَكُونُ عِنْدَهُ اَوْلاَدٌ مَحْجُبُـونَ لِلْفِعْلِ بِهِـمْ وَلَـمْ يَتَذَكَّرُوا انَّهُ مَمْنُوعٌ فِي دِينِ اِلاَسْلاَمِ؛ وَاَنَّ اَللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى غَضِبَ غَضَبًا شَدِيدًا عَلَى ذَلِكَ الْفِعْلِ حَتَّى خَسَفَ بِأَرْبَعَـةِ بُلْدَان بِجَمِيـعِ مَـنْ كَانَ فِيهَا. وَهَذَا اِلذِّي يَتْرُكُ مَا اَحَلَّ اللَّهُ لَهُ مِنَ اَلنِسَاء وَفِي جِمَاعِهِنَّ تَفْرِيحٌ لَهُنَّ اَلذِّي يَحْصَلُ لَهُ مِنْ ذَلِكَ اَجْرٌ وَحَسَنَةٌ.

وَيَظْهَرُ أَنَّ مَن يُجَامِعِ اَلذُكْرَانَ يَحْصَلَ لَهُ ذَنْبٌ مِنَ اَرْبَعَـةِ وُجُـوه اَلاوَّل تَضْيِيعُ حَقِّ النِّسَا اللاَّتِي تَحْتَ حُكْمَـهُ؛ وَمَعْصِيَـةِ اِللَّـهِ اِلَّذِي حَرَّمَ عَلَيْهِ ذَلِكَ وَإِفْسَادِ (٣١أ) الْذَكَر الَّذِي فَعَل؛ لأَنَهُ يَتْرُكَهُ نَاقِصـاً عَنْ دَرَجَةِ اِلذُّكُورِ لِلْشَـجَاعَةِ وَغَيْرُ ذَلِكَ مِـنْ قُـوَّةِ الرِّجَـالِ؛ وأَيْضـاً وَضْعُ مِنِيّه فِي مَحَـلٍ لاَ يُرْجَى مِنْـهُ نَسْـلٌ؛ وَمَـنْ يَرْضَـى لِنَفْسِـهِ مِنَ اَلْمَفْعُولِينَ بِذَلِكَ؛ لَمْ يَتَوَقَّفْ عَنْ ذَنْبٍ مِنْ أَنْوَاعِ اِلذِنُوبِ؛ وَلِلنَـاكِحِ فِي الْحَلاَل حَسَنَةٌ عَلَـى الْفِعْلِ وَحَسَـنَةٌ عَلَـى تَفْرِيـحِ مَـنْ هِـيَ تَحْـتَ حُكْمِهِ مُنْتَظِرَةٌ مَنِيَّـهِ، وَحَسَنَةٌ عَظِيمَةٌ عَلَى قَصْدِهِ: أَنْ يَرْزُقَهُ اَللَّهُ مَنْ يَذْكُرُهُ وَيَعْبُدُهُ.

وَالَّذِي رَأَيْتُهُ فِي مُنَاظَرَةِ النَّصَارَى اَنّي اذَا قَوَّيْتُ نَفْسِي فِي الـرَّدِ عَلَيْهِمْ كَانَ يَنْزِلُ عَلَيَّ مِنْ عِنْدِ اَللَّهِ اِجْلاَلٌ وَتَعْظِيمٌ وَنَعْظُمُ فِي أَعْيُنِهِمْ بِذِكْرِ تَوْحِيدِ اِللَّهِ تَعَالَى وَذِكْرِ فَضْلِ اَلنَّبِي – صَلَّىَ اَللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ –

وَبُطْلاَنِ تَثْلِيثِهِمْ. وَقَدْ قَالَ اَللَّهُ تَعَالَى: ﴿ لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة﴾. وَمَهْمى قَصَّرْتُ مِنْ اَلْخَوْفِ اَوِالْجَزَعِ فَكَانَ يَنزِلُ عَلَيَّ اَلذُلّ عِنْدَهُمْ ؛ وَلَمَّا رَأَيْتُ ذَلِكَ وَتَحَقَّقْتُ وَفَهِمْتُ اِنَّ اَللَّهَ سُبْحَانَهُ أَرَادَ مِنِّي أَن نُجَاهِد مَعَهُمْ بِقُوَّةٍ. فَكُنْتُ أَقُولُ لَهُمْ مَا لاَ سَمِعُوهُ مِنْ مُسْلِم قَطّ؛ وَيَنْصُرَنِي اَللَّه عَلَيْهِمْ وَيَقُولُونَ لِي: اِنْ اَحتَجْتَ مِنَّا شَيْئاً نَقْضِيهِ لَكَ؛ حَتَّى اَنَّ بَعْضَهُمْ يَقُولُ لِي عِنْدَ مِدْحِ رَسُولِ اَللَّه – صَلَّى اَللّه عَلَيْهِ وَسَلَّم –: وَهَذَاكَ اَلْسَيِّد مُحَمَّد نَبِيكُمْ عَمِلَ كَذَا أَوْ قَالَ كَذَا وَأُجَاوِبَهُمْ (٣١ب) بِمَا يُلْهِمَنِي اَللَّهُ الْمُعِين الْعَلِيم الْحَكِيم.

وَقَدْ ذَكَرْتُ يَوْماً لأُبرْت اَلَّذِي كَانَ يَقْرَأُ بِالْعَرَبِيَةِ أَنْ يَرِيَنِي اَلْمَوْضِع اَلَّذِي فِيهِ الْحِيَالُ حَيْثُ يَجْذَبُونَ بِهِ اَلْمَاءَ مِنْ تَحْتِ الاَرْضِ المُسَمَّى عِنْدَهُمْ بِيِنْبَهْ؛ قَالَ: هُوَ فِي دَارِ المُتَرَهِبِينَ .

وَمَشَيْنَا وَبَلَغْنَا اِلَى اَلْبَابِ؛ وَكَانَ مَغْلُوقاً؛ وَيَدُ مِنْ عُودٍ مُعَلَّقٌ مِنْ حَبْلٍ؛ فَجَذَبَهُ وَحَرَّكَ الْحَبَلُ دَاخِلاً نَاقُوصاً صَغِيراً فَسَمِعَ ضَرْبَهُ اَلْمُوكَلُ بِالْبَابِ؛ وَجَاءَ رَاهِبٌ اِلَى اَلْبَابِ وَتَكَلَّمَ مِنْ طَاقَةٍ صَغِيرَةٍ فِي دُفَّةِ الْبَابِ بَعْدَ أَنْ أَزَاحَ مِنْهَا لُوحاً صَغِيراً؛ وَطَلَبَ مِنْهُ أُبِرْتُ اَلدُخُول. وَلَمَّا دَخَلْنَا رَأَيْنَا اَلْحِيَالَ وَالْمُتَرَهِبِين يَجْذَبُونَ اَلْمَاء بِهِ.

وَرَأَيْتُ اَلرُهْبَانِ بِاللِّحَا غَيْرَ مَقْصُوصَةً مَا لَيْسَ مِنْ عَادَةِ الْمُتَرَهِبِينَ. قُلْتُ لأُبِرْتَ: هَذَا اَلرُهْبَان عِنْدَهُمْ أَوْلاَدُ؟

قَالَ – وَهُوَ مُتَعَجِّب – : كَيْفَ تَسْئَلْ عَنْ أَوْلاَدِهِم؟ أَمَّا عَلِمْتَ أَنَّ الرُهْبَان لاَ يَتَزَوَّجُونَ!

قُلْتُ: رَأَيْتُهُمْ بِلِحَا طُوَال فَاسْتَدَلَّيْتُ أَنَّهُ يَكُونُ لَهُمْ أَوْلاَدٌ؛ وَأَنَا عَارِفٌ بِأَمْرِهِمْ.

قَالَ لِي: الْدَرَاوِش عَلَى أَنْوَاعٍ٠
وَسِأَلَهُ اَلْرّاهِبُ عَنِّي؛ قَالَ لَهُ: مُسْلِمٌ مَنْ مَرّاكُشْ؛
فَتَعَجَب وَقَالَ: بَلَغَنِي أَنَّ أَخِي فَلاَنَاً شَقِيقِي كَانَ بِإِصنْطَنْبُول وَدَخَلَ فِي دِينِ (٣٢أ) اَلتُرْكِيين، وَنَفْسِي تُحَدِّثُنِي أَنْ أَمْشِي اِلَى تِلْكَ اَلْبِلاَدِ نَلْتَقِي بِأَخِي٠
قَالَ لَهُ اَبرْتُ: مَاذَا تُرِيدُ بِبِلاَدِ الْمُسْلِمينَ؟
قُلْتُ لِلرّاهِب: هَلْ هُوَ أَفْضَلُ عِنْدَ اَللّهِ تَعَالَى وَعِنْدَكُمْ تَرْكُ اَلزّوَاجِ؟
قَالَ اَلرّاهِبُ: كَثِيرٌ يَتَزَوّجُونَ!
قُلْتُ لَهُ: قَدِّرْ اِنَّ اَلسُّلْطَان نَادَى رَجُلَيْنِ وَأَنْعَمَ عَلَيْهِمَا فَالْوَاحِدُ قَبَلَ نِعْمَتَ اَلسُّلْطَان وَشَكَرَهُ عَلَيْهَا شُكْرَاً دَايِماً وَالثّانِي لَمْ يَقْبِلْهَا وَذَلِكَ اِنَّ اَللّه عَزَّ وَجَلَّ زَيّنَ هَذَا اَلْعَالَم مِنْ أَجْلِ بَنِي آدَم فَالّذِي يَعْمِلَ قَدْرَ جُهْدِهِ لِيَكُونَ لَهُ أَوْلاَدٌ لِيَشْكُرُوا اَللّه تَعَالَى بَعْدَهُ عَلَى مَا أَنْعَمَ عَلَيْهِ فَهُوَ شَاكِرٌ وَالّذِي لَمْ يَقْصُدهُمْ وَلاَ يُرِيدُهُمْ فَلَيْسَ بِشَاكِرٍ.
قَالَ: كَثِيرٌ مَنْ يَتَزَوّجُ!
قُلْتُ: اَلزّوَاجُ سَبَبٌ فِي الأَوْلاَدِ لِعِمَارَةِ الْعَالَم وَعِبَادَةِ اللّه وَالشُّكْرُ عَلَيْهَا لأَنَّ اَلانْسَانَ فَانٍ٠ ثُمَّ قُلْتُ لَهُ: هَلْ فِي دِينِكُمْ أَنَّ يَوْمَ اَلْحِسَابُ اِذَا سُئِلَ اِنْسَانٌ عَنْ عَمَلٍ صَالِحٍ تَرَكَهُ وَلاَ عَمَلَهُ هَلْ يَنْجُوا بِقَولِه: أَنَا مَا عَمِلْتُهُ وَلاَكِن عَمَلَهُ غَيرِي؟
فَتَوَقَفَ اَلرّاهِبُ عَنِ الْجَوَاب؛ وَقَالَ لَنَا: اَدْخُلُوا مَعِي فَدَخَلْنَا بُسْتَانَاً٠
وَبَيْنَمَا كُنّا سَائِرِينَ فِي الطّرِيقِ بَيْنَ الاَشْجَارِ رَأَيْتُ شَجَرَةً لَمْ تُثْمَر؛
قُلْتُ لَهُ: لِمَاذَا غَرَسْتُمْ (٣٢ ب) هَذِهِ الشّجَرَةَ ؟

قَالَ: لِتثْمِر وتَعْمَلْ فاكِهةَ.

قُلْتُ: وَاِذَا لَمْ تَعْمَلْ فَاكِهةً مَا يُصنَعُ بِهَا؟ فتَبَسّم وعَلِمَ أنّ الْمِثَالَ كَانَ عَلَيْهِ.

ثُمّ جُزْنَا اِلَى قُدّام اِلَى بَيْنَ اَشْجَارٍ غِلاَظٍ وَطِوَالٍ جِدا وَظَهرَ لِي أَنّ مِنْ مِثْلِهَا يَعْمَلُونَ صَوَارِي السُّفُن؛ وَلَمّا كُنّا فِي الْمَوْضِعِ بَيْنَ الاَشْجَارِ الْكِبَار وَلَمْ يَظْهَرْ أَحَدٌ قَالاَ لِي: تَعَجبْنَا مِنْكَ! تَحْفَظُ الأَلْسُنْ وَتَقْرَا اَلْكُتُب وَسِرْتَ فِي الْمُدُن وَأَقْطَارِ الدُّنْيَا وَمَعَ هَذَا تَكُونُ مُسْلِماً!

قُلْتُ لَهُمْ: اَلْعَجَبُ هُوَ مِنْكُمْ: تَقْرَءُونَ اَلْكُتُب وَالْعُلُومْ وَأَنْتُمْ مِنْ أَهْلِ هَذِهِ الْمَدِينَةِ الْكُبْرَى وَمَعَ ذَلِكَ تَقُولُونَ عَلَى اَللّهِ تَعَالَى اَلّذِي خَلَقَ كَلّ شَيْءٍ وَهُوَ وَاحِدٌ قَبْلَ كُلّ شَيْءٍ وَبَعْدَهُ أَنّهُ ثَالِثُ ثَلاَثْ؛ مَا لاَ يَقْبَل اَلْعَقْلُ اَبَداً؛ وَذَلِكَ نُقْصَانٌ فِي حَقِهِ تَعَالَى.

قَالَ ابرتُ: هَذَا اَلتّثْلِيثُ فِي الإِلَهِ لاَ يَعْرِفُهُ وَلاَ يَفْهَمُهُ اِلاّ مَنْ قَرَا عِلْمَ اَلْمَنْطِقْ!

قُلْتُ: وَأَنْتَ قَرأْتَهُ؟

قَالَ: نَعَمْ !

قُلْتُ لَهُ: بَيّنْ لِي كَيْفَ هُمْ ثَلاَثَةٌ وَوَاحِدٌ؟ لأَنّ أَهْل دِينَنَا لاَ يَقْبَلُونَ إِلاّ وَاحِداً وَلاَ عَبَدُوا اِلاّ اِلَهاً وَاحِداً؛ وَفِي الْحِسَاب أَمّا وَاحِدٌ أَوْ ثَلاَثَةٌ وَأَمّا ثَلاَثَةٌ وَهُمْ وَاحِدٌ فَضِدّانِ لاَ يَجْتَمِعَانِ.

قَالَ الرّاهِبُ: جَاءَنِي اَلْيَوْمُ الآخَرُ الْهَامّ وَبَيَانٌ مَقْبُولٌ وَبَرْهَانٌ رَبّانِي (٣٣أ) يَدُلُّ عَلَى أَنّ سَيّدِنَا عِيسَى - عَلَيْهِ السّلاَمُ - كَانَ اِبْنَ اَللّه حَقِيقَة وَكَانَ هُوَ أَيْضاً اِلاَهاً؛ وَكَتَبْتُهُ اَتحِبُّ أَنْ آتِيَكَ بِهِ تَسْمِعهُ ؟

قَالَ لَهُ ابرْتُ: اِيتِنِي بِهِ! فَمَشَى سَرِيعاً لِبَيْتِهِ وَأَتَى بِـهِ وقَرَاهُ بِالْفَرَنْجِ وَعَجَبَهُمَا وقَالاَ: هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ!

قُلْتُ لَهُ: مَاذَا قَالَ فِي ورَقَتَهُ؟

قَالَ الرّاهِب: اَللّهُ تَبَارَكَ وتَعَالَى حِين خَلَقَ اَلدُّنْيَا أَمَرَ كُـلّ شَـيْءٍ مِـنَ اَلْمَخْلُوقَاتِ فِي الدُّنْيَا انْ يَخْرِجَ وَيُنْبِتَ وَيَلِدَ عَلَى طَبْعِهِ ونَوْعِهِ ومِثْلِـهِ وَرَأَ اَللّه تَعَالَى أَنّ ذَلِكَ صَـلاَحٌ. فَعَرَفْتُ أَنّ هَذَا اَلْقَوْلُ اَخَذَهُ مِنْ اَلْبَاب الاَولِ مِنَ اَلتَوْرَيةِ.

قَالَ لِي: مَاذَا تَقُولُ؟ أَفَعَلْ ذَلِكَ صَلاَحٌ؟

قُلْتُ: نَعَمْ كُلَّمَا أَمَرَ اَللّهُ تَعَالَى بِهِ فَهُوَ صَلاَحٌ.

قَالَ: حِينَ رَأَ اَللّهُ تَبَارَكَ وتَعَالَى انَهُ صَلاَحٌ اِنّ كُلّ شَيْءٍ يَخْرِجُ وَيَلِدُ عَلَى طَبْعِهِ وَمِثْلِهِ؛ أَرادَ هُوَ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ مِثْلُهُ. قَالَ: مَاذَا تَقُولُ؟

قُلْتُ لَهُ: عَلَى هَذَا اَلْقِيَاس كَانَ سَيِّدْنَا عِيسَى يَحتَاجُ اَنْ يَكُوْنَ لَـهُ وَلَـدٌ مِثْلُهُ وَاِبْنُهُ يَكَونَ لَهُ اِبنٌ آخرُ فَتَكْثُرَ الاَلْهَات اِلَى مَا لاَ نِهَايَـةَ لَهَـا.

قُلْتُ لَهُ: مَاذَا تَقُولُ ؟

فَبهِتَ وَبقِيَ بِورَقَتِهِ مُبَطِّلَةً غَيْرَ مَقْبولَـةٌ وَكَذْبُـهُ ظَـاهِرٌ. قَـالَ اَللّـهُ تَعَالَى: ﴿وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا (٣٣ ب) مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾، وَذَهَبْنَا عَنْ اَلْرَاهِبِ.

الباب السادس

في قدومنا إلى قاضي الأندلس بفرنجة بكتاب السلطان

وَلَمّا خرَجْنَا مِنْ بُرِيشْ إلَى مَدينَةِ بُرْضيُوشْ إلَى قَاضِي الأَنْدَلُسْ قَالُوا لَنَا: هُوَ فِي اَلْبَلِدِ الِّذِي تَخْرُجُ إلَيْهِ الأَنْدَلُسْ - وَهُوَ الْبَلَدُ اَلأَوّلْ مِنْ بِلاَدِ فَرَنْجَهْ اَلْقَرِيبِ لِلْحُدُودِ بَيْنَ فَرَنْجَهْ وَبِلاَدِ اَلأَنْدَلُسْ؛ وَيُسَمّى بِشَانْ جِوَانْ دُلُزْ- فَمَشَيْنَا إلِيهِ وَذَلِكَ عَامْ عِشْرِينَ وَأَلِف؛ وَكَانُوا فِيهِ آخِرُ مَنْ خَرَجَ مِنَ اَلأَنْدَلُسْ.

وَذَكَرَ لِي مَنْ جَاءَ بَعْدَهُمْ رَجُلٌ أَنْدَلُسِي مِنْ بِلاَدِ الثّغَر اَسْمُه قَلِشْ بِأَنّ كُتّابَ اَلْدِيْوَان اَلسّلْطَاني بِمَذْرِيلْ قَالُوا: بَلَغَ نِهَايَةُ جَمِيع الاَنْدَلُسْ بِصَغَارِهِمْ لِثَمَان مِائَة اَلْفِ مَخْلُوقِ وَأَكْثَرُهُمْ خَرَجُوا بِتُونُس. وَكَانَ عُثْمَان دَاي أَمِيراً فِيهَا؛ وَتَكَفّلَ أُمُورَهُمْ بِالْسُكْنَى فِي اَلْمَدِينَةِ وَغَيْرِهَا فِي الْقُرَى وَأَحْسَنَ اِلَيْهِمْ غَايَةَ الاحْسَان؛ أَحْسَنَ اَللّهُ اِلَيْهِ؛ وَمَاتَ - رَحِمَهُ اَللّهُ - عَامْ تِسْعَةَ عَشَر وَالْف؛ وَكَذَلِكَ اَلْوَلِي اِلشّهِير سَيِّدِي اَبُو الْغَيْث اَلْقَشّاشْ كَانَ (٣٤أ) يَعْطِيهِمْ فِي كُلّ يَوْم نَحْوَ أَلْف وَخَمْسُمِائَةِ قُرْصَةْ مِنْ الْخُبْزِ صَدَقَةً - جَزَاهمَا اَللّهُ خَيْراً كَثِيراً.

وَلَمّا اَلْتَقَيْتُ بِالْقَاضِي؛ كَانَ يَشْكُرْ لِي دِينَهُ حَتّى قَالَ لِي مِرَاراً: يَا فُلاَنْ رَأَيْتُ أَنّهُ يَلِيقُ بِكَ أَنْ تَرْجِعَ نَصْرَانِيّاً!

قُلْتُ لَهُ: عَلَى أَيّ مَذْهَبِ مِنْ مَذَاهِبِ اِلنّصَارَى؟

قَالَ: لَيْسَ لَنَا اِلاّ مَذْهَباً وَاحِداً.

قُلْتُ لَهُ: لَوْ كَانَ اَللّهُ تَعَالَى يَحْيِي نصرانياً مِنْ زَمَن سَيِّدِنَا عِيسَى – عَلَيْهِ السَّلاَمُ – ثُمَّ يَحْيِي نَصْرَانِيّاً مِنْ كُلِّ قِرْنٍ مِنْ اَلْقُرُون اَلْمَاضِيَةِ؛ وَجَمِيعَهَا سِتَةَ عَشَرَ قِرْنَاً؛ فَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ يَقُولُ لِغَيْرِهِ: أَنَّهُمْ كُفَّارٌ لِمَا يَرَى مِنْ اَلزِّيَادَةِ وَالنُّقْصَان عِنْدَ غَيْرِهِ فِي الدِّينِ. وَالْعَقْلُ اَلسَالِمُ يَحْكُمُ بِحُكْمٍ قَطْعِي أَنَّ دِينَ اَللّهِ تَعَالَى لاَ فِيهِ زِيَادَة وَلاَ نُقْصَان كَمَا هُوَ دِينَنَا.

قَالَ اَلْقَاضِي: دِينَنَا كَذَلِكَ!

قُلْتُ: دِينكُم مَفْتُوحٌ لِلْزِيَادَة وَالنُّقْصَان لأَنَّ كُلَّ بَابٍ لَهُ أَمْرٌ عِنْدَكُمْ لِيَزِيدَ وَيَنْقُصُ مَا يَظْهَرَ لَهُ فِي الدِّينِ.

قَالَ: هَذَا سَيِّدِنَا عِيسَىَ – أَوْ كَمَا قَالَ – ذَكَرَهُ اَلأَوائِل مِنَ اَلأَنْبِيَاء حَتَّى قَالُوا: اَنَّهُ لاَ يَكُونُ قَبْرَ أَحَدٍ مِنَ اَلأَنْبِيَاء مَعْرُوفَاً حَقِيقَةً إِلاَّ قَبْرِه.

قُلْتُ لَهُ: ذَلِكَ قَبْرُ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٌ – صَلَّى اَللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قَالَ: كَيْفَ ذَلِكَ؟

قُلْتُ: لَيْسَ هُوَ كَمَا تَقُولُ اَلنِّصارَى اَنَّهُ فِي (٣٤ب) حَلْقَةٍ مِنْ حَدِيدٍ فِي اَلْهَوَى فِي وَسَطِ قُبَّةٍ مُبْنِيَةٍ بِحَجَرِ اَلْمُغْنَاطِيس اَلَّذِي مِنْ خَاصِيَتِهِ يَجْذِبُ اَلْحَدِيد إِلَيْهِ؛ لأَنَّه مَدْفُونٌ فِي الأَرْضِ فِي مَدِينَتِهِ – صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم – بَيْنَهَا وَبَيْنَ مَكَّةَ عَشْرَةَ أَيَامٍ.

قَالَ لِي: اَنْظُرْ هَذِهِ اَلْعَافِيَةِ اَلتِّي عِنْدَنَا فِي بِلاَدِنَا بِخِلاَفِ بِلاَدِكُمْ لأَنَّ اَلاَحْكَام تَدُلُ عَلَى صِحَةِ دِينَنَا.

قُلْتُ: لَيْسَ أَحْكَامِكُمْ وَشَرِيعَةِ دِينِكُمْ مَأْخُوذَةٌ مِنَ الانْجِيلِ؛ اِنَّمَا شَرْعِكُمْ عَلَى مَذْهَبِ المَجُوسِ الَّذِينَ كَانُوا بِرُومَةَ؛ وَكُتُبُ شَرِيعَتِكُمْ مُتَرْجَمَةٌ مِن كُتُبِهِمْ مِثْلُ الْكِتَابِ الْكَبِيرِ الْمُسَمّى بِبَلْضِ وَغَيْرِه.

قَالَ: صَدَقْتَ!

وَجَلَسْنَا هُنَالِكَ زمَناً طَوِيلاً وَهُوَ مَشْغُولٌ بِالأَنْدَلُسْ؛ وَاحْتَجْتُ الرُّجُوع اِلَى بَرِيش.

وَأَمَا مَا قُلْتُهُ لِلْقَاضِي أَنَّ فِي دِينِ النِّصَارَى الزِّيَادَةُ وَالنُّقْصَانِ فِي كُلِّ زَمَانٍ؛ فَهَذَا بُرْهَانُ ذَلِكَ - كَمَا اشْتَرَطْتُ فِي أَوَّلِ الْكِتَابِ -: الْبُرْهَانِ وَالنُّصُوصِ مِمَّا نَذْكُرُهُ؛ فَامَّا مَا يَكُونُ مِنْ كُتُبِهِم فَمِنَ الْمَكْتُوبِينَ بِالْقَالِبِ؛ وَلاَ يُمْكِن لأَحَدٍ مِنَ الْمُعَلِّمِينَ أَصْحَابُ الْقَالِبِ أَنْ يَطْبَعَ كِتَابَاً اِلاَّ بِالأَمْرِ مِنْ أَصْحَابِ الدِيوَانِ بَالاجَازَةِ (٣٥أ) اِلَى صَاحِبِ التَّالِيفِ.

قَال كُرتِشْ الْمُنَجِّم فِي كِتَابِهِ وَأَيضاً سَمُرَانُ الاشْبِيلِي - وَقَدْ عَرَفْتُهُ فِي مَدِينَةِ اِشْبِيلِيَهْ اِسْمَاً وَعَيْناً - وَأَيضَا جُبِشْ؛ ذَكَرَ كُلُّ وَاحِدٍ فِي كِتَابِهِ مَا زَادَهُ وَمَا نَقَصَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَ البَابَسْ.

فَأَمَّا البَّابٌ لِيُونْ : أَمَرَ بِانَّ النِسَا يَدْخُلْنَ مُغَطِيَاتِ الرُءُوسِ فِي كَنَايِسِهِم.

البَّابٌ الْبِرْتُ أُنَانِي: أَمَرَ اَنَّ كُلَّ نِكَاحٍ يَكُونُ بِحَضْرَةِ قَسِيس وَاِنْ لَمْ يَكُنْ بِحَضْرَتِهِ فَهُوَ زِناً مَا لاَ كَانَ قَبْلُ.

الْبَابٌ اِسْكَنْدَر: أَمَرَ أَنَّ الْقَسِيس لاَ يُصَلِّي اِلاَّ صَلاَةً وَاحِدَةً فِي الْيَوْم وَزَادَ فِي فَرَايِضِ الصَّلاَةِ؛ وأَمَرَ أَنَّ الْخَمْرَ الَّذِي يَشْرُبُ

اَلْقَسِيسُ فِي اِثْنَاءِ الصَّلَوة أَنْ يَزِيدَهُ لَهُ مَـاءً وَاَنْ يَجْعَلُوا مَـاءً مُبَارَكـاً عَلَى اَبْوَابِ اِلْكَنَائِسِ؛ اَنْتَهى كَلاَمَهُ.

وَأَقُولُ أَنَّ مِنْ فَرَائِضِ اِلصَّلاَة؛ اِلْقَسِيس اِلَّذِي يَؤُمُ اَلنِّصَارَى أَنَّـهُ يُوَحِّدُ رَغِيفاً رَقِيقـاً قَدْر كَـفٍّ اَلانْسَـانِ فِـي اِلانْشِـرَاحِ مُسْتَدِرَةٌ فِيهَـا صُوْرَةُ سَيِّدُنَا عِيسَى – عَلَيْهِ اِلسَّـلاَم – وَاِذَا كَـانَ فِـي حَـالِ اِلصَّـلاَةِ اِلَّتِي هِي فَرْضٌ عَلَى كُلِّ مُكَلِّفٍ مَرَّةً فِي كُلِّ يَوْم اَلاحَدِ وَبَعْضِ أَيَـامِ اِلْمَوَاسِمْ؛ وَبَعْدَ أَنْ يَقْرَا اَلانْجِيلَ مَا يناسِبُ لِذَلِكَ اَلْيَـوم؛ لأَنَّ كُـلَّ يَـوْمٍ لَهُ جُزْءٌ مَعْـرُوفٌ مِـنَ اَلانْجِيلِ لانِّهُـمْ (٣٥ب) قَسَمُوا اَلانْجِيـل كُلِّـهُ ثَلاَثُمِائَةْ وَخَمْسَ وَسِتِين جُزْءَاً لِكُلِّ يَوْمٍ مِنَ السِّنَةِ جُزْءٌ وَبَعْدَ اَنْ يَقْرَا اَلإِمَامُ اَلْجُزْءَ لِذَلِكَ اَلْيَوْم – وَعِنْـدَ قِرَاءَتِـهِ مِـنَ اَلْكِتَّـابِ تَكُـونُ جَمِيـعُ اَلنِّـاسِ قَـاعِيمِينَ عَرْيَـانِين اَلـرُّءُوسِ – ثُـمَّ يَـاخَذُ اَلْقَسِـيسُ اَلْقُرْصَـةَ وَيرْفَعهَا فَوْقَ رَاسِهِ لِيَرَاهَا اَلْمَامُومُونَ وَيَقُولُ كَلاَمَاً مَعْنَـاهُ: هَـذَا هُـوَ جَسَـدِي – وَهِـي كَلِمَـةٌ مَـأخُوذَةٌ مِـنَ اَلانْجِيـلِ؛ لأَنَّ فِيـهِ أَنَّ سَـيِّدُنَا عِيسَى– عَلَيهِ اِلسَّلاَمُ – قَالَ لِلْحَوَارِيين؛ وَهُوَ بِخُبْزٍ فِي يَدِهِ: هَذَا هُـوَ جَسَدِي. وَقَالَ لَهُمْ عَلَى اَلْخَمْرِ: هَذَا هُوَ دَمِي. وَاِذَا رَفَعَ اَلْخَمْـرَ فِـي كَأْسٍ فَوْقَ رَاسِهِ فَيَقُولُ: هَذَا هُوَ دَمِي؛ وَيَجْعَـل اَلْقُرْصَـةَ فِـي اِلْخَمْـرِ لِتَرْطُب قَلِيلاً ثُمَّ يَأكُلَهَا ثُمَّ يَشْرُبُ اِلْخَمْرَ كُلَّـهُ ثُـمَّ يَرْجِـعُ بِوَجْهِـهِ اِلَـى اَلنَّاسِ وَيَقُولُ لَهُمْ: اَنْصَرِفُوا فَقَد اُتِمَّت اِلصَّلاَةُ؛ وَلاَ يَتَوَّضَـا اَحَـدٌ وَلاَ يَغْتَسِـلُ ابدَّاً؛ بَـلْ هُـمْ مُتَنَجِسُـون ظَـاهِراً وَبَاطِنَـا. امَّـا فِـي اِلْبَـاطِنِ فَبِاعْتِقَادِهِمْ اَلشِّرْك وَالْبَاطِل فِي اِلْجَانِبِ اِلاَعْلَـى وَفِـي اَجْسَـادِهِمْ وَمَـا يَلْبِسُونَهُ كَذَلِكَ. وَاِذَا كَـانَ لِلْمُصَلِّي كَلْبٌ اَوْ كِلاَبٌ فَيَسْـبِقُونَهُ لِلْكَنِيسَـةِ (٣٦أ) وَلاَ يَرُدِّهَا اَحَدٌ.

وَفِيهَا اَصنَامٌ مَصنُوعَةٌ مِنَ اَلْخَشَبِ وَالْحِيطَانِ بِالصُّوَرِ؛ وَلاَ يَدْفَنُونَ اَلْمَوتَى اِلاَّ فِي اِلْكَنَايِسْ. وَاِذَا كَانَ اَلاِمَامُ فِي اِثْنَاءِ اِلصَّلاَةِ فَيَضْرِبُونْ اَلاَتَ اَلزَّمْرِ المُسَمَّى بِأَرْغَنسْ؛ يَشْتَمِلُ عَلَى خَمْسَ وَعِشْرِينَ زُمَّرَةً مِن نَحَاسٍ اَوْ مَعْدَنْ غَيْرِهُ؛ وَبَعْضاً مِنْهَا قَدْرَ اَلْخَشَبِ وَمُعَلِّمٌ يَضْرِبُهَا وَلَهَا حِسٌّ قَوِي وَلَذِيذٌ لِلسَّمْعِ؛ وَوَاحِدٌ يَصُوط كِيراً لِكِثْرَةِ رِيحٍ لِلْمَزَامِرِ.

وَقَبْلَ أَن يُتِمّ اَلصَّلاَةَ يَنْزِلُ اَلاِمَامِ مِنَ اَلْمِحْرَابِ لأَنَّهُ مُرْتَفِعٌ بِدُرُوجٍ وَبِيَدِهِ طَرْفُ حَرِيرٍ عَلَى طُولِ ذِرَاعٍ وَيَمْشِي بَيْنَ اَلرِّجَالِ وَيَمُدُّ لَهُمْ اَلشُّقَّةَ يُقَبِّلُونَهَا وَصَبِيٌّ وَرَاءَهُ بِكَاسٍ يَقْبِضُ اَلدَّرَاهِمَ اَلَّتِي يَعْطُونَهُ؛ وَاِذَا فَرَغَ مِنَ الرِّجَالِ يَدْخُلُ بَيْنَ النَسَاءِ وَهُنَّ فِي غَايَةِ اِلزِّينَةِ وَكُلْ وَاحِدَةٍ تَاخُذُ اَلشُّقَّةَ مِنْ يَدِهِ وَتُقَبِّلُهَا، وَيَعْتَقِدُونَ أَنَّ اَلاِمَامَ أَعْطَاهُمْ بِذَلِكَ اَلْعَافِيَةَ، ثُمَّ يَعُودُ اِلَى مِحْرَابِهِ وَيُتِمُّ اَلصَّلَوةَ كَمَا تَقَدَمَ.

وَأَمَّا اَلاِنْجِيلِ فَقَدَّرْتُ فِيهِ سِتَتً وَثَلاَثِينَ حِزْبًا مِن أَحْزَابِ اِلْقُرْءَانِ؛ وَقَدْ ذَكَرْتُ هَذَا كُلُّهُ كَمَا شَاهَدتُّهُ وَلِتَعْلَمُوا مَا بَيْنَ هَذِهِ عِبَادَةِ اِلْكَافِرِينَ (٣٦ ب) وَعِبَادَةَ اَلْمُسْلِمِينَ وَلِنَشْكُرُ اَللَّه عَلَى مَا اَنْعَم بِهِ عَلَيْنَا بِاعْتِقَادِ اِلْحَقِّ وَطَهَارَةِ اِلْجَسَدِ وَالْمَلْبَسِ وَالْجَامِعِ اَلطَّاهِرِ اَلنَّقِي مِنَ اِلاَوثَانِ وَالاَدْرَانِ لأَنَّهَا مِن اَعْظَمِ اِلنِّعَمِ.

وَظَهَرَ لِي اِنَّ اَللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى خَلَقَ اَلْجَنَّةَ وَمِنْ كَمَالِهَا خَلَقَ جَهَنَّمَ - نَسْتَعِيذُ بِاللَّهِ مِنْهَا -؛ قَالَ اَللَّهُ تَعَالَى: ﴿وإن منكم إلاّ واردها﴾[1] وَذَلِكَ كَمُلُ لِقِيمَةِ اِلْجَنَّة عِنْدَ اَلْمُومِن لأَنَّ بِرُوْيَةِ جَهَنَّمَ يَرَا مَا مَنَحَهُ اَللَّهُ وَمَا اَنْعَمَ بِهِ عَلَيْهِ مِن نَّعَايِمِ اِلْجَنَّة وَمِمَّا نَجَّاهُ وَيَزِيدُ فِي

---

[1] سورة مريم ٧١.

اِلشُّكْرِ عَلَيْهَا؛ وَكَذَلِكَ عَلَى مَا نَجَّاهُ مِنَ اَلنَّارِ؛ وَكَذَلِكَ مَنْ يَرَى اَلْكُفْرِ فَيَشْكُرَ اللَّهَ تَعَالَى الَّذِي نَجَّاهُ مِنْهُ وَعَلَى هِدَايَتِهِ لِلاِيمَانِ وَعَلَى تَوْحِيدِهِ٠

وَأَمَّا أَلْبَابٌ اَلرُّومِي شِشْط: زَادَ فِي صَلاَتِهِمْ كَلِمَةً وَاحِدَةً تُقَالُ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ٠

اَلْبَابٌ طَلَشْ أُونَانِي: اَفْتَرَضَ اَلصِّيَامِ مَا لاَ كَانَ قَبْل زَمَانِهِ؛ وَأَنَّ اَلْقَسِيسَ يُصَلِّي ثَلاَثَ صَلَوَاتٍ يَوْمَ مِيلاَدِ عِيسَى- عَلَيْهِ اِلسَّلاَمُ -؛ وَزَادَ مَا يُغَنَّا بِهِ فِيْ بَعْضِ الصَّلَوَاتِ٠

وَبَّابًا أَخُر: أَمَرَ أَنَّ مَنْ كَانَ قَسِيسًا اَوْ رَاهِباً يِقُصّ لِحْيَتَهُ٠

بَّابٌ اَخُر: سَنَّ صِيَاماً غَيْرَ اَلْفَرْضِ٠

وَبَّابٌ آَخُر اَمَرَ اَنَّ (١٣٧أ) اَلْكَأسَ اَلَّذِي يَعْمِلُونَ فِيهِ اَلْخَمْرَ عِنْدَ الصَّلاَةِ لاَ يَكُونُ مِنْ زُجَاجِ كَمَا كَانَ قَبْلَ الاَ مِن فِضَةٍ٠

وَبَّابٌ آخَرُ: اَمَرَ أَنَّ اِذَا دُعِيْ عَلَى نَصْرَانِي فِي اِلاَحْكَامِ اِذَا كَانَ اَلدَّاعِي عَلَى غَيْرِ مِلَّةِ اِلنِّصَارَى اَنْ لاَ تُقْبَلُ دَعْوَتَهُ٠

وَبَّابٌ اخَرْ: اَمَرَ أَنْ لاَ يَصُومُ أحَدٌ فَرْضاً وَلاَ سُنَّةً يَوْمَ اَلاَحَدِ وَلاَ يَوْمَ اَلْخَمِيسِ ثُمَّ فُسِخَ الأَمْرُ٠

وَبَّابٌ أَخَرُ: أَمَرَ أَنَّ بَعْدَ قِرَاءةِ اِلاَنْجِيلِ فِي بَعْضِ الصَّلَوَاتِ تُقْرَا عَقِيدَةُ اَلشِّرْكِ اِلَّتِي هِيَ فَرْضٌ عَلَى كُلِّ مُكَلَّفٍ حِفْظُهَا٠ قَالَ سَمُرَانُ وَغَيْرُهُ مِنَ اَلْمُؤَلِّفِينَ: اِنَّ اَلَذِي عَمِلَ اَلْعَقِيدَةَ كَانَ اَلطِّنَاشِى اَسْمُهُ؛ رَجُلٌ قَسِيسٌ بَعْدَ سَيِّدِنَا عِيسَى بِسِنِينَ كَثِيرَةٍ٠

اَلْبَّابُ مَرْكُ اَلرُّومِي: أَمَرَ لِلْقُضَاة فِي اِلاَحْكَامِ اَنَّ لاَ يَقْضُوا عَلَى قَسِيسٍ؛ اِنَمَا يَكُونَ لِلْقَسِيسِينَ قَاضِيًا مِنْهُمْ٠

وبّابٌ أخَرُ: زَادَ فِي الصّلاةِ شَيئَيْن•

وبّابٌ آخَرُ: امَرَ انّ الْقَسِيسَ الامَامَ يَعْطِي الصُّلْحَ بيْنَ النّاسِ – وتقدّمَ ذِكْرُ الْفِعْلِ كيْفَ كَانَ•

وَالْبّابٌ بِجلْيّ الّرومِي: امَرَ انْ تُسمّى الصّالِحَةُ مَرْيَمَ بِأُمّ كذَا وَالاَ تُسَمّى الاّ بِذَلِكَ الاسْمِ؛ فَسُمّيَتْ بِذَلِكَ اِلَى الاَنَ عِنْدَ النَّصَارَى وَالتَابعينَ لَهُ؛ لَعَنَهُم اللّهُ (٣٧ب) وَخذَلَهُمْ؛ تَعَالَى اَللّه عَنْ قوْلِهِمْ عُلُواً كَبِيراً• وكَانَ ذَلِكَ بِقُرْبِ نِصْفِ اِلْمِائَةِ اِلْخَامِسَةِ مِنْ مِيلاَدِ سَيِّدْنَا عِيسَى – عَلَيْهِ اِلسّلاَمِ – وَلَمّا اشْتَهَرَ هَذَا الاَمْرُ الشّنِيع بِهَذَا الاسْمِ اِلّذِي لَمْ يَكُن قَبْل وَعُمِلَ بِهِ عِنْدَ الْقَوْمِ اِلْكَافِرِينَ؛ بَعَثَ اَللّهُ تَعَالَى سَيِّدِنَا وَمَوْلاَنَا مُحَمّد – صَلّى اَللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ – بِالْقُرءَانِ الْعَظِيمِ وَدِينَ الصّرَاط الْمُسْتَقِيمِ وَكَذّبَهُمْ فِيمَا قَالُوا وَافْتَرَوْ[ا][1] وَنَزّلَ فِي قُلُوبِهِمْ الرّعْب وَالْخَوف مِنَ الْمُسْلِمِينَ – نَصَرَهُمْ اللّهُ تَعَالَى عَلَيْهِمْ – فَكَم بَلَدٍ اخَذُوا مِنْ بِلاَدِهِمْ، وَهَذَا الْفُ سَنَةٍ بَعْدَ النّبي – صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ – وَاكْثَرَ مَعْمُور الدُّنْيَا لِلْمُسْلِمِينَ. نَسْئَلُ اَللّهَ الْعَظِيم اَن يُقَوّي الاسْلاَم عَلَيْهِمْ حَتّى يَاخُذُوا مَا بَقِيَ لَهُمْ وَانْ يَكُونَ ذَلِكَ فِيمَا هُوَ قَرِيبٌ بِفَضْلِ سَيِّدِنَا مُحَمّدٍ الشّفِيعِ الْحَبِيبِ اِلّذِي زُوِيَتْ لَهُ الدُّنْيَا وَرَأَى الْبَعِيدَ وَالْقَرِيْب انّهُ سَمِيعٌ مُجِيبٌ•

وَتَقَدّمَ لَنَا اِنّ وِلاَدّةَ النّبِي – صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ – كَانَتْ لاِحْدَى وَعِشْرِينَ سَنَةً وَستٌ مِائَةِ عَلَى حِسَابِ سَمُرانِ. وَنَظَرْتُ الْحِسَابَ اَلّذِي امْكَنَنِي وَوَجَدْتُ وِلاَدَةَ (٣٨أ) النّبِي – صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ – فِي نَحْوَ الْخَمْسُ مِائَةِ وَثَمَانِينَ بِتَقْرِيب أَوْ اَقَلّ وَذَلِكَ فِي اِلْقَرْنِ اِلّذِي

[1] نسيَ الحجري إثباتَ ألف الجمع، وهي لازمة.

اَشْهَر بِرْجِليّ اَللّعِينُ وَسَمّى اَلصّالِحَةَ مَرْيَم بِأُمّ كَذَا[١] وَلَيْس بَيْنَ مَا اَمَرَ بِهِ وَوِلاَدَةِ اِلنّبِي- صَلّى اَللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ - اِلاّ نَحْوَ اَلاَرْبَعِينَ سَنَةً بِتَقْرِيبٍ.

وَاَعْلَمْ اَنّ تَسْمِيَةَ[٢] سَيّدَنَا عِيسَى - عَلَيْهِ اِلسّلاَم - بِإبْنِ اِللّه؛ لاَ يُفْهَمُ مِنْهُ فِي اِلاَنْجِيلِ اَنّهُ اِبْنُ اللّهِ حَقِيقَةً؛ اِنّمَا يُفْهَمُ اَنّهُ نَبِيّ مَقْبُولٌ عِنْدَ اَللّهِ تَعَالَى. وَقَدْ قَرَأْتُ فِي اِلاَنْجِيل اَنّ وَاحِداً مِنَ اِلْحَوَارِيينَ قَالَ لِسَيّدَنَا عِيسَى: أَنْتَ اِبْنُ اللّه حَقِيقَةً؟ قَالَ لَهُ سَيّدُنَا عِيسَى - عَلَيْهِ اِلسّلاَمُ - اَنْتَ قُلْتَ؛ وَلَمْ يَقْبَلْ مِنْهُ ذَلِكَ[٣]. وَامّا اِلاَنْجِيل اَلذّي كَتَبْتُ مِنْهُ هَذِهِ اِلنُصُوص فَحَذَفُوا مِنْهُ ذَلِكَ.

وَتَقَدّمَ أَنّ شَيْئَاً مِنَ اِلاَنجِيلِ تَرْجَمْتُ مِن الرّقّ؛ وَقَالَ لِي اَلْقَسِيسُ: هَذِهِ اِلْكَلِمَةُ مُخْتَلِفَةٌ لِمَا عِنْدَنَا اَلْيَوم؛ وَهَذَا دَلِيلٌ اَنّهُم يَزِيدُونَ وَيَنْقُصُونَ فِي اِنْجِيلِهِمْ وَكُتُبِ دِينِهِمْ. وَبُرْهَانَ مَا قُلْنَا أَنّ سَيّدَنَا عِيسَى كَانَ اِبْنُ اَللّهِ كَعِبَادِ اِللّهِ الصّالِحِينَ.

قَالَ فِي اِلْبَابِ الثّامِنِ مِنَ اِلاَنْجِيلِ لِمَتّى: قَالَ سَيّدَنَا عِيسَى - عَلَيْهِ اِلسّلاَمْ - لِلْحَوَارِيينَ: " فَلْيَضِيءُ نُورِكُمْ قُدّام اَلنّاسِ (٣٨ب) لِيَرَوْا اَعْمَالَكُمْ اَلصّالِحَةَ وَيُمَجّدُوا أَبَاكُمْ اَلّذِي فِي اِلسّمَوَاتِ".

وَقَالَ فِي اِلْفَصْلِ اِلتّاسِع: "أَحْسِنُوا إِلَى مَنْ أَبْغَضَكُم وَصِلُوا مَن يَطْرُدُكُمْ وَيَغْتَصِبُكُمْ لِكَيْمَا تَكُونُوا اَبْنَاءِ أَبِيكُمْ اَلّذِي فِي اِلسّمَوَات".

---

[١] وضع الحجري خطاً فوق كلمة «كذا» وكتب في الحاشية: «ا لله» وجعل فوقها خطاً.

[٢] أضاف الحجري في الطرة: قال في الطوررية وايضا في الانجيل ان كل من كان صالحا يسمّى ابن ا لله.

[٣] كتب الحجري في الحاشية: «ظ قال في التوربة وايضا في الانجيل ان كل من كان صالحا يسمّى ابن ا لله تعالى».

وقَالَ اَيْضاً: "كُونوا اَنْتُمْ مِثْلَ اَبِيكُمْ اَلسَّمَاءِي فَهُوَ كَامِلٌ"٠

وقَالَ فِي دُعَاء عِنْدَهُمْ ؛ كَاَلْفَاتِحَتِ عِنْدَنَا؛ وَهُوَ فِي اِلانْجِيلِ أَنْ يَقُولُوا: "اَبُونَا اَلَّذِي فِي اِلسَّمَاءِ"، فَهَذَا ظَاهِرٌ اَنَّهُ سَمَّى اَلصُّلَحَاء بَلْ جَمِيع اَلنَّاس اَبْنَاء اَللَّهِ تَعَالَى؛ اَلَّذِينَ يَدْعُونَ بِالدُّعَاء اِلَّذِي قَالَ لَهُمْ اَنْ يَدْعُوا بِهِ وَهُوَ: اَبُونَا اَلَّذِي فِي السَّمَاءِ؛ وَبَانَ مِنْ هَذَا أَنَّ سَيِّدَنَا عِيسَى – عَلَيْهِ اِلسَّلاَمِ – كَانَ هُوَ وَمَنْ مَعَهُ يَعْتَقِدُونَ أَنَّهُ مَخْلُوقٌ نَبِيٌّ وَهُوَ بِنَفْسِهِ يَعْتَقِدُ أَنَّ مَنْ كَانَ صَالِحاً كَانَ ابْنُ اَللَّهِ٠

وَهَذَا البَّابُ اَلْمَلْعُون اَلَّذِي أَمَرَ أَنَّ اَلصَّالِحَةَ مَرْيَم لاَ يَكُونُ اِسْمُهَا عِنْدَ اَلنَّصَارى اِلاَّ أُمُ كَذَا فَهُوَ بِخِلاَفِ مَا فِي اِلانْجِيل، وَلَمْ يَتَجَاسَّرَ أَحَدٌ قَبْلَهُ أَنْ يَقُولُ مِثْلُ مَا قَالَ هُوَ.

وَبِهَذَا يَثْبُتُ مَا قُلْتُهُ لِلْقَاضِي عَلَى اَلزِيَادَةِ وَاَلنَّقْصَان اَلَّذِي فِي دِين (٣٩أ) النَّصَارَى حِينَ دَعَانِي لَدِينِهِ مِمَّا زَادَ اَلبَّابُ وَنَقَصَ؛ وَاَلْبَابُ مَفْتُوحٌ الاَنَ لِذَلِكَ٠

وَقَالَ مَتَّى فِي اِلانْجِيلِ: قَالَ عِيسَى: أَنْظُرُو الاَ يَضِلُّكُمْ اَحَدٌ لاَنَّ كَثِيرِينَ يَاتُونَ بِإِسْمِي يَقُولُونَ اَنَا هُوَ عِيسَى وَيَضِلُّونَ وَيَخْدَعُونَ كَثْيِراً٠ وَهَذَا اَلْقَولُ فِي الْفَصلِ اِلرَّابِع وَاَلْعِشْرِينَ٠

وَقَدْ طَالَعْتُ بِبِلاَدِ اِلْفَلَمِنْكُ وَفِي غَيْرِهَا كِتَاباً بِالنُصُوص مِنَ التَوْرَيةِ وَاَلْكُتُبِ اِلْقَدِيمَةِ؛ وَدَلَّتْ عَلَى أَنَّ البَّابَا هُوَ اَلدَّجَالْ اَلْمَذْكُور أَنَّهُ يَأْتِي فِي الدُّنْيَا؛ وَهَذَا لِمَّا رَأَوْ[ا] مِن قَبِيحِ فِعْلِهِ؛ وَأَمَّا اَلدَّجَّالُ مَا زَالَ مَا ظَهَر٠

وَكُنْتُ أَسْمعُ أَنَّ وَاحِداً مِن البَّابْ كَانَ إِمَراءةً زَانِيةً وَحَمَلَتْ وَفَضَحَهَا اَللَّهُ٠ وَلَمْ نَتَحَقَّقُ ذَلِكَ إِلَى أَنْ طَالَعْتُ كِتَاباً قَدِيماً مَكْتُوباً

بالْقَالِبِ وَصَحّحَ ذَلِكَ؛ ثُمَّ كِتَابَاً آخرَ وَذَكَرَ مُؤَلِّفُهُ أَنَّهُ طَالَعَ إثْنَا عَشَرَ كِتَابَاً مِنْ كُتُبِهِم، وَذَكَرَ كُل كتاب بإسْمِ مُؤَلِفِهِ؛ وَالْحِكَايَةُ فِي كُلٍّ واحِدٍ وَاحِدَةٌ؛ وَتَرَكْتُ أَسْمَاء الْكُتُبِ لِلاِخْتِصَارِ ، وَالَّذِي ذَكَرُوا فيمَا قَرَأْتُ:

أَنَّ بِبِلاَدِ الانْجِلِزِ كَانَتْ بِنْتٌ نَصْرَانِيَةٌ اسْمُهَا جِلْبِرْتَ؛ وَزَنَى بِهَا رَجُلٌ مِنْ اكَابِرِهِمْ فِي الْعِلْمِ وَمَشَى بِهَا الَى مَدِينَةِ اطِينَاش بِبِلاَدِ (٣٩ب) اَلْيُونَان وَاخْفَتْ نَفْسَهَا بِلِبَاسِ الرِّجَالِ وَسُمِّيَتْ بِجِوانْ؛ وَبَلَغَتْ فِي الْعِلْمِ مَبْلَغَاً عَظِيماً ، وَبَعْدَ سِنِينَ جَاءَتْ اِلَى مَدِينَةِ رومَةَ؛ وَالنَّاسُ يَقْرَءُونَ الْعِلْمَ عَلَيْهَا؛ إِلَى انْ مَاتَ الْبَابُ الْمُسَمَّى بِلِيُونْ؛ وَذَلِكَ سَنَةَ اِثْنَينِ وَخَمْسِينَ وَثَمَانِ مائَةٍ مِنْ حِسَابِ سَيِّدِنَا عِيسَى - عَلَيْهِ السَّلاَم - فَتَوَلَّتْ هِيَ الْكُرْسِي وَصَارَتْ بَّابٌ مِن الَّذِينَ يَعْتَقِدُونَ فِيهِ أَنَّهُ اِلَهُ الأَرْضِ: يَغْفِرُ الْذُنُوبَ لِلْنَاسِ؛ هُوَ وَجَمِيعِ أَيِمَّةِ دِينِهِمْ بِبَرَكَتِهِ.

وكَانَ لَهَا مَمْلُوك اوْ خَدِيم وَحَمَلَتْ مِنْهُ وَمَشَتْ يَوْمَاً لِزِيَارَةِ مَوْضِعٍ يُسَمَّى لِتْراً - اَعْنِي: كَنِيسَةٍ - وَمَعَهَا خَلْقٌ كَثِيرٌ؛ فَأَخَذَهَا وَجَعُ النِفَاسِ وَوَقَفَتْ وَالنَّاسُ مَعَهَا اِلَى أَنْ وَلَدَتْ؛ وَلَمَّا سَمِعُوا عِيَاطَ الْمَوْلُود بَانَ لَهُمْ مَا كَانَ مَخْفِيَّاً عَنْهُمْ؛ وَمَاتَتْ فِي الْحِينِ؛ وَنَزَلَ بِجَمِيعِ النِّصَارَى وَالْقَسِيسِينَ وَالرُّهْبَان حَزْنٌ وَخِزْيٌ وَذُلٌ عَظِيمٌ ، وَالزَّمَنْ الَّذِي كَانَتْ فِي التَّوْلِيَةِ قَدْرَ سَنَتَيْنِ وكَذَا وَثَلاَثِينَ يَوْمَاً ،

وَأَجْتَمَعَ كُبَرَاءُهُمْ فِي الدِّيوَان وَدَبَّرُوا تَدْبِيراً جَدِيداً لِئَلاَ يَقَعُ لَهُمْ (٤٠أ) مِثْلُ ذَلِكَ؛ أَنَّهُمْ إذَا عَيَّنُوا بَّابٌ يَاتُوا اِلَيْهِ الشُّهُودُ الْعُدُولْ وَيُقَلِّبُونَهُ يَشْهَدُونْ عَلَيْهِ أَنَّهُ ذَكَرٌ ، وَأَمَّا الزَّنْقَةُ الَّتِي وُلِدَتْ فِيهَا فَلاَ يَجُوزُ عَلَيْهَا أَحَدٌ مِنَ البَّابِ ،

اَلْبَــــابُ اَلسَّـــابِعُ

فِي رُجُوعِنَا اِلَى مَدِينَةِ بْرِيشْ وَمَا اتَّفَقَ لَنَا فِيهَا

وَلَمَّا رَأَيْتُ أَنَّ بَراوَاتْ اَلسُّلْطَان مَا قَضَتْ بِهَا شَيْئاً وَأَنَّ كَثِيراً مِنَ اَلْحَوَايِجِ مِنْ اِحْدَى سُفُنِنَا كَانَتْ مُنَزِّلَةً أَمَنَةً؛ وَلَيْنَا اِلَى بْرِيشْ نَطْلُبُ اَمْرَ اَلسُّلْطَانِ أَنْ يَدْفَعُوا لَنَا حَوَايِجَنَا؛ وَوَلَّى اَيْضاً قَاضِي اِلاَنْدَلُسْ اِلَى بْرِيشْ.

وَمَشَيْتُ يَوْماً اِلَى دَارِهِ قَبْلَ غُرُوبِ اِلشَّمْسِ نَطْلُبُ مِنْهُ بَعْضَ اَلْمَوَاجِبِ؛ قَالَ اَلْقَاضِي: أَتُحِبُّ تَتَعَشَّى عِنْدِنَا؟

قُلْتُ: لاَ يَجُوزُ لِي بَعْضَ طَعَامِكُمْ!

قَالَ: مَا نَعْطِيكَ اِلاَّ مَا يَجُوزُ فِي دِينِكُمْ؛ وَعِنْدَنَا ضَيْفٌ مِنْ اَكَابِرِ اِلْمَمْلَكَةِ وَنُحِبُّ اَنْ تَكُونَ عِنْدَنَا.

وَكَانَتْ لَيْلَةُ مَوْلد اَلنَّبِي – صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – مِنْ عَام اِحْدَى وَعِشْرِينَ وَاَلْف. وَفَهِمْتُ مِنْهُ أَنَّهُ اَحَبَّ اَلْكَلاَمَ فِي اِلاَدْيَان لِيَشْرَحَ اَلضَّيْفَ؛ لاَنَّ كُبَرَاءَ اِلْفَرَنْجِ يَفْرَحُونَ بِالْمَسَائِلِ اَلْغَرِيبَةِ (٤٠ ب) فَدَخَلْتُ مَعَهُ؛ وَاَعْطَوْنِي كُرْسِياً مِثْلَ كَرَاسِيهِمْ – وَالْمَايِدَةُ بَيْنَنَا – وَحَمَاتُ اَلْقَاضِي قَاعِدَةٌ؛ وَكَانَتْ مَوْلَةُ بَلَدٍ يُسَمَّى: اَلْطِرِ؛ وَاَبْنُهَا قَاضِي وَاَخُوهَا قَاضِي أَيْضاً، وَاَلرَّجُلُ اَلْكَبِيرُ اَلشَّأنِ قَاعِدٌ مَعَ اَلْجَمِيعِ.

وَقَالُوا لِلْضَيْفِ: هَذَا رَجلٌ تُرْكِيٌ – لأنَّ اِلفَرَنْج لاَ يَقُولُونَ لِلْمُسْلِمِ اِلاَّ تُرْكِي– وَذَكَرُوا لَهُ اَلسَّبَبَ اَلَّذِي اَلْجَانِي لِلْقُدُومِ اِلَى بِلاَدِهِمْ

وَغَيْرُ ذَلِكَ مِمَّا ظَهَرَ لَهُمْ؛ وَالْمَرَأةُ تَرْفَدُ مِنَ الطَّعَامِ وَتَضَعَهُ قُدَّامِي وَأَيْضاً اَخُوهَا وَابْنِهَا •

فَالْقَاضِي ابْتَدَا بِالْكَلاَمِ – اَعْنِي قَاضِي اِلاَنْدَلُسْ – وَقَالَ لِي: هَلْ عِنْدَكُمْ صِيَامٌ فِي دِينِكُمْ فَرْضٌ؟

قُلْتُ لَهُ: عِنْدَنَا شَهْرٌ قَمَرِي فِي اِلْعَامِ.

قَالَ لِي: كَيْفَ هُوَ صِيَامُكُمْ؟

قُلْتُ لَهُ: نَمْسِكُ عَنْ اِلاَكْلِ وَاَلشُّرْبِ مِنْ اِنْشِقَاقِ اَلْفَجْرِ اِلَى غُرُوبِ اِلشَّمْسِ •

قَالَ: نَحْنُ عِنْدَنَا صِيَامٌ فَرْضٌ فِي كُلِّ سَنَةٍ أَكْثَرُ مِنْ صِيَامِكُمْ وَهُوَ تِسْعَ وَأَرْبَعُونَ يَوْماً مُتَوَالِيَةٌ •

قُلْتُ لَهُ: كَيْفَ هُوَ صِيَامُكُمْ ؟ وأَنَا عَارِفٌ بِهِ.

قَالَ: نَأكُلُ فِي نِصْفِ النِّهَار سَاعَةً مُعْتَدِلَةً ثُمَّ نُمْسِكُ عَنْ اِلاَكْلِ اِلَى اَللَّيْلِ؛ وَفِي أَوَّلِهِ نَاَكُلُ اَقَلَّ طَعَاماً مِمَّا اَكَلْنَا (١٤١أ) فِي نِصْفِ اَلنِّهَارِ •

قُلْتُ لَهُ: مَا اَلسِّرُّ فِي اِلصَّوْمِ وَالْمُرَادُ بِهِ؟ لأَنَّنَا فِي دِينِنَا هُوَ لِنَرُدَّ اَلنَّفْسَ عَنْ اِلشَّهَوَاتِ وَنَزِيلُ مِنْ قُوَّتِهَا بِالصَّوْمِ.

قَال لِي: نَحْنُ كَذَلِكَ!

قُلْتُ لَهُ: بَلْ تَزِيدُونَ فِي قُوَّتِكُمْ بِهَذَا اَلصِّيَام •

قَالَ لِي: كَيْفَ ذَلِكَ؟

قُلْتُ لَهُ: قَالَ بُقْرَاطْ وَجَالِيْنُوسْ وَابْن سِينَا وَجَمِيعِ اِلاَطِبَا مُتَّفِقُونَ مَعَهُمْ أَنَّ لِحِفْظِ اِلصِّحَةِ يَنْبَغِي أَنْ يَأكُلَ الاِنْسَانُ فِي نِصْفِ اِلنِّهَارِ أَكْثَرَ مِمَّا يَأكُلُ فِي اِللَّيْلِ؛ وَصِيَامُكُمْ عَلَى مُقْتَضَى هَذِهِ اِلْقَاعِدَةِ؛ فَلاَ

يَزِيلُ اَلصَّايِمُ شَيْئاً مِنْ قُوَّةِ اِلْجَسَدِ بَلْ يَزِيدُ فِيهِ قُوَّةً؛ لأَنَّ مِنْ حِفْظِ اِلصِّحَةِ تَزْدَادُ اَلْقُوَّةَ. وَتَكَلَّمَ اَلْقَاضِي مَعَ اَلْجَمِيعِ بِالْفَرَنْجِ لأَنَّهُ كَانَ يَعْرِفُ - كَمَا قُلْنَا- اَللِّسَانَ اَلْعَجَمِي ِالاَنْدَلُسِي وَهُمْ يُدَبِّرُونَ بَيْنَهُمْ مَاذَا يَقُولُونَ لِي.

ثُمَّ قَالَ: اَعْلَمْ اِنَّنَا فِي أَيَّامِ اِلصِّيَامِ مَا نَاكُلُ لَحْماً وَفِي غَيْرِهِ نَاكُلُ لَحْمَ اَلدَّجَاجِ؛ وَلاَ يَخْفَى أَنَّ لَهَا قُوَّةً لا سِيَمَا اَلْخَصِيءُ مِنْهَا لَهُ قُوَّةٌ.

قُلْتُ لَهُ: نعَمْ، لَحْمَ اَلدَّجَاجِ لَهُ قُوَّةٌ وَغِذَاءٌ نَافِعٌ وَالْقَلِيلُ مِنْهُ يَكْفِي اَلانْسَانَ؛ وَاِذَا لَمْ يَكُنْ اَللَّحْمُ وَوَجَدَ اَطْعِمَةً كَثِيرَةً مِثْلُ هَذَا اَلَّذِي (١٤ب) رَأَيْتَهُ بَيْنَ اَيْدِينَا هُنَا، فَيَاكُلْ اَلانْسَانُ مِنْ كُلِّ نَوْعٍ حَتَّى يَصِلَ اِلَى قُوَّةِ اَللَّحْمِ فِي اِلْغِذَا؛ وَلاَكِنْ فِي اَكْثَرَ مِقْدَارٍ مِنَ الطَّعَامِ؛ وَكَانَ ذَلِكَ فِي أَيَّامِ صِيَامِهِمْ. فَأَخَذُوا فِي اِلْكَلاَمِ فِيمَا بَيْنَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَجِدُونَ مَا يَقُولُونَ؛ وَمَا اَتَّفَقَ لَهمْ شَيءٌ لِتَقْوِيَةِ حُجَّتِهِمْ.

وَاَنْتَقَلَ اِلَى مَسْئَلَةٍ أُخْرَى وَقَالَ: مَا اَلسَبَبُ حَتَّى مَنَعكُم نَبِيُّكُمْ اَلْخَمْرَ؟

قُلْتُ: مَنَعَهُ اَللَّهُ تَعَالَى، لأَنَّ اَفْضَلَ مَا تَكَرَّمَ بِهِ عَلَى بَنِي اَدَم هُوَ اَلْعَقْلُ وَالَّذِي يَزِيلُهُ هُوَ اَلْخمْرَ وَهُوَ اَقْبَحُ اَلْمَسَايِل كُلِّها.

قَالَ: حَتَّى عِنْدَنَا هُوَ مَمْنُوعٌ اَنْ يَشْرُبَ اَلانْسَانُ مِنْهُ حَتَّى يَسْكَرُ!

قُلْتُ: ظَهَرَ لِي اَنهُ مَمْنُوعٌ لَكُمْ فِي اِلانْجِيلِ وَلاَ اَنْتَبَهْتُمْ لَهُ!

قَالُوا: فِي اَيِّ مَوْضِعٍ؟

قُلْتُ: فِي اِلدُّعَاء اَلَّذِي اَمَرُكُمْ بِهِ سَيِّدُنَا عِيسَى - عَلَيْهِ اِلسَّلاَمُ - اَنْ تَدْعُوا بِهِ؛ وَأَوَّلُهُ: "اَبُونَا اَلَّذِي فِي اِلسَّمَاءِ"، اِلَى اَنْ تَقُولُوا: "وَلاَ تَدعْنَا

نَقَعُ عِنْدَ فِتْنَةِ النَّفْسِ"، وَآخَرُونَ يُتَرجِمُونَ: " وَلاَ تَدَخلْنَا التَّجْرِيبِ"، وَهُمْ الاكْثَرُ؛ وَالاوَّل عِنْدِي هُوَ الصَّحِيحُ.

قَالُوا: عِنْدَنَا هَذَا.

قُلْتُ: هَلْ يَجُوزُ أَنْ تَاخُذَ الْفِتْنَةَ بِيَدِك وتَطْلُبُ انْ لاَ يَدْعُكَ تَقَعُ عِنْدَهَا؟ (٤٢أ) لانَّكَ اِذَا زِدْتَ مِنَ الْخَمْرِ قَلِيلاً عَنِ الْعَادَةِ يَذْهَبُ بِالْعَقْلِ؛ وَاِذَا ذَهَبَ وَقَعْتَ فِي الْفِتَنِ مَعَ طَلَبِكَ مِنَ اللّهِ أَنْ لاَ يَدَعَكَ تَقَعُ.

قَالَ: نَحْنُ نَتَحَفَّظُ فِي شُرْبِنَا حَتَّى لاَ يَذْهَبُ الْعَقْلُ.

قُلْتُ لَهُمْ: عِنْدِي أَنَّ مَنْ هُوَ مِثْلُكُمْ قُضَاةٌ وَعُلَمَاء وَمِن أَكَابِرِ النَّاسِ اِنَّ الانْصَاف لِلْحَقِّ مَوْجُودٌ عِنْدَكُمْ وَالْبُعْدُ عَنِ الْكَذْبِ وَالْبَاطِلِ؛ وَاِلَى هَذَا تَحْلِفُونَ بِدِينِكُمْ انَّكُم مَا زِدتُم قَطّ مِنْ شُرْبِ الْخَمْرِ حَتَّى ذَهَبَ بِالْعَقْلِ،؟

وَتَكَلَّمُوا بَيْنَهُمْ وَضَحُكوا جَمِيعاً؛ وَبِضِحْكِهِمْ اعْتَرَفُوا بِمَا رَأَوْ[ا] مِنَ نُفُوسِهِمْ مِرَاراً مِنَ الْوُقُوعِ فِي الْفِتْنَةِ بِكِثْرَةِ الشُرْبِ.

وَأَخَذَتْ الْمَرأَةُ كَاسَاً وَوَضَعَتْ فِيهِ نَقْطَةَ خَمْرٍ وَزَادَتْ عَلَيْهِ مَاءً كَثِيراً وَقَالَتْ لِصَهْرِهَا: قُلْ لَهُ أَيُّ قُوَّةٍ لِلْخَمْرِ مَعَ هَذَا الْمَاء؟

قُلْتُ: أَمَّا هَذَا الْكَاسُ ظَاهِرٌ انَّهُ لَيْسَ فِيهِ مِنَ الْخَمْرِ اِلاَّ قَلِيلاً؛ وَأَمَّا فِي بَعْضِ الْمَرَّاتِ مَا تَجْعَلُ مَعَهُ اِلاَّ قَلِيلاً مِنَ الْمَاء؛ وَضَحَكَتْ كَأَنَّها اعْتَرَفَتْ.

قُلْتُ لَهُمْ: طَالَعْتُ كِتَاباً مِنْ كُتُبِكُمْ بِالْعَجْمِيَّةِ وَقَالَ فِيهِ (٤٢ ب): اِنَّ فِي مَدِينَةٍ كَبِيرَةٍ - اظُنُّ أَنَّهَا بِإِطَالِيَةِ مِنْ بِلاَدِ النَّصَارَى - تُعَيِّنُ النَّاسُ حُكَّاماً لِسَنَةٍ كَامِلَةٍ؛ وَاِذَا انْصَرَمَتْ يَجْعَلُونَ غَيْرَهُمْ فِي

الْمَنْصَبِ لِسَنَةٍ أُخْرَى؛ وَعِنْدَهُمْ قَاعِدَةٌ وَأَمْرٌ مَعْمُولٌ بِهِ: أَنَّ كُلَّ مَنْ يَحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ لاَ يَشْرَبُ خَمْرًا مَا دَامَ فِي سَنَتِهِ. وَهَذَا أَمْرٌ ظَاهِرٌ وَبَايِّنٌ أَنَّهُمْ مَنَعُوهُمْ مِنْ شُرْبِهِ قَلِيلاً وَلاَ كَثِيراً إِلاَّ لِمَا فِيهِ مِنَ الْمَفَاسِدِ لِشَارِبِهِ وَلِلنَّاسِ الَّذِينَ يَحْكُمُونَ عَلَيْهِمْ.

قَالُوا: هَذَا حَقٌّ وَلَكِنْ هُوَ مُبَاحٌ إِذَا لَمْ يَتَعَدَّى فِي الشُّرْبِ.

قَالَتْ الْمَرْأَةُ لِصِهْرِهَا: قُلْ لَهُ كَيْفَ أَبَاحَ لَكُم نَبِيُّكُمْ أَن تَنْكِحُوا أَرْبَعَ نِسَاءٍ وَمَنَعَكُمْ الْخَمْرَ؟ وَالْمَفْهُومُ مِنْ كَلاَمِهَا وَاعْتِقَادِهَا أَنَّ الْخَمْرَ يَزِيدُ قُوَّةً لِلْجِمَاعِ.

قُلْتُ لَهَا: الْخَمْرُ يَزِيدُ لِشَارِبِهِ أَمْرَاضاً وَنُعَاساً؛ وَشَارِبُ الْمَاءِ يَعِيشُ صَحِيحاً.

قُلْتُ لَهُمْ: قَرَاتُ فِي الإِنْجِيلِ إِنَّ النَّبِي زَكَرِيَا - عَلَيْهِمْ[1] السَّلاَم - جَاءَهُ مَلَكٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَقَالَ لَهُ: قَدْ قَبِلَ اللَّهُ دُعَاءَكَ وَامْرَاتُكَ الْيَصَبَاتْ تَلِدُ إِبْناً لَكَ يُدْعَى بِاسْمِهِ يُوحَنَّا وَيَكُونُ لَكَ فَرَحٌ (١٤٣أ) عَظِيمٌ وَتَهْلِيلٌ؛ وَكَثِيرٌ يَفْرَحُونَ بِمَوْلِدِهِ؛ وَيَكُونَ عَظِيماً قُدَّامَ الرَّبِّ، لاَ يَشْرَبُ خَمْراً وَلاَ مُسْكِراً.

قُلْتُ لَهُمْ: هَذَا عِنْدَكُمْ فِي الإِنْجِيلِ؟

قَالُوا: نَعَمْ؛ هَكَذَا هُوَ!

قُلْتُ لَهُمْ: هَذَا الَّذِي أَخْبَرَ بِهِ الْمَلَكُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ تَعَالَى أَنَّهُ لاَ يَشْرَبُ خَمراً وَلاَ مُسْكِراً؛ هُوَ كَمَالٌ فِي حَقِّ الْوَلَدِ أَمْ نُقْصَانٌ؟

قَالُوا: إِنَّمَا ذَلِكَ كَمَالٌ فِيهِ. قُلْتُ لَهُمْ: كَذَلِكَ هُوَ كَمَالٌ فِي دِينِنَا أَنْ لاَ نَشْرَبَ خَمْراً وَلاَ مُسْكِراً.

---

[1] كذا في الأصل.

فَحِينَئِذٍ اَخَذُوا فِي اَلْكَلاَمِ فِيمَا بَيْنَهُمْ وَقَالُوا لِي: نَحْنُ رَأَيْنَا رِجَالاً مِنْ اَهْلِ دِينِكُمْ وَتَكَلَّمْنَا مَعَهُمْ وَلَمْ نَرَ قَطْ مَنْ قَالَ لَنَا مِثْلُ هَذَا اَلْكَلاَمَ، وَالاَجْوِبَةَ اَلتِّي رَأَيْنَاهَا وَسِمِعْنَاهَا مِنْكَ.

قُلْتُ لَهُمْ: أَعْلَمُوا أَنَّنِي تُرْجُمَانُ سُلْطَانِ مَرَّاكُشْ؛ وَمَنْ كَانَ فِي تِلْكَ اَلدَّرَجَةِ يَحْتَاجُ يَقْرَا فِي اِلْعُلُومِ وَكُتُبِ اَلْمُسْلِمِينَ وَكُتُبِ اِلنَّصَارَى لِيَعْرَفَ مَا يَقُولُ وَمَا يُتَرْجِمُ بِحَضْرَةِ اِلسُّلْطَانِ وَأَمَّا اِذَا كُنْتُ بِحَضْرَةِ عُلَمَاءِ دِينِنَا لاَ اَقْدِرُ أَتَكَلَّمُ فِي اَلْعُلُومِ بِحَضْرَتِهِمْ.

حِينَئِذٍ اَرَدْتُ أَنْ اَقُومَ لِنَذْهَبَ اِلَى اِلْدَّارِ اِلَّتِي كُنْتُ (٤٣ ب) نَازِلاً بِهَا؛ وَقَالُوا لِي: لاَ تَقُمْ، نَحْنُ نَبْعَثُ مَعَكَ خُدَّامَنَا وَاَقْعُدْ مَعَنَا لِلْكَلاَمِ.

قَالَتْ اَلْمَرَأَةُ: كَيْفَ اَبَاحَ لَكُمْ نَبِيُّكُمْ أَنْ تَنْكِحُوا أَرْبَعَةَ نِسَاءَ وَاللَّهُ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى- لَمْ يَعْطِ لاِبِينَا أَدَمَ - عَلَيْهِ اِلسَّلاَمُ - اِلاَّ اِمْرَأَةً وَاحِدَةً ؟ وَلَمَّا رَءَا اَلْقُضَاةُ اَلْحَاضِرُونَ أَنَّ هَذِهِ اِلْمَسْئَلَةِ عَقْلِيَّةٍ اَعَانُوهَا وَتَقَوَوْا عَلَيَّ بِهَذِهِ اِلْحُجَّةِ.

قُلْتُ لَهُمْ: أُمَّنَا حَوَّى ظَهَرَ فِيهَا بَرَكَةً اَكْثَرَ مِمَّا تَظْهَرُ فِي اَرْبَعَةِ نِسَاءَ مِنْ زَمَانِنَا؛ لاَنَّهَا وَلَدَتْ كَذَا وَكَذَا مَرَّةً ذُكُوراً وَإِنَاثاً؛ وَنِسَاءُ زَمَانِنَا: اِحْدَى تَكُونُ مَرِيضَةً وَأُخْرَى عَاقِرَةً مَا تَلِدُ أَبَداً، وَمِثْلَ اَلاَعْرَاضِ كَثِيرَةٌ فِيهِنَّ مَا لاَ كَانَتْ فِي أُمِّنَا حَوَى.

قَالُوا: سَيِّدُنَا عِيسَى- عَلَيْهِ اِلسَّلاَمُ - أَمَرَ أَنْ لاَ يَتَزَوَّجُ اَلرَّجُلُ اِلاَّ اِمْرَأَةً وَاحِدَةً وَاَنْتُمْ تَاخُذُونَ اَرْبَعَةً.

قُلْتُ لَهُمْ: اَلاَنْبِيَاءِ اَلاَوَائِلِ - عَلَيْهِمْ اَلسَّلاَمُ - مِثْلُ سَيِّدُنَا اِبْرَاهِيمَ وَسَيِّدُنَا يَعْقُوبِ وَغَيْرُهُمْ؛ فِي اَيِّ مَقَامِ هُمْ عِنْدَكُمْ؟

قَالُوا: فِي مَقَامٍ مَحْمُودٍ وَمُرْضِيِينَ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى.

قُلْتُ: كَانَتْ لَهُمْ نِسَاءٌ كَثِيرَةٌ وَجَوَارِي كَمَا فِي دِينِنَا؛ وَكَانَ لِسَيِّدِنَا (١٤٤أ) سُلَيْمَان – عَلَيْهِ السَّلاَمْ – سَبْعَمِائَةِ إِمْرَأَةٍ بِالنِّكَاحِ وَثَلاَثُ مِائَةِ جَارِيَةٍ – كَمَا هُوَ فِي التَّوْرِيَةِ.

قَالُوا: تِلْكَ الزَّمَنْ أُبِيحَ ذَلِكَ لِيَكْثُرَ اَلنَّسْلُ وَاَلاَنَ اَلدُّنْيَا عَامِرَةٌ.

قُلْتُ: قَرَأْتُ فِي اِلتَّوْرِيَة فِي كُتُبِ اِلتَّوَارِيخ: أَنَّ بَعْضَ اَلسَّلاَطِين فِي اِلزَّمَان اَلاَوَّلْ كَانُوا يَحْرَكُونَ بِثَمَانِ مِائَةِ اَلْفِ رَجُلِ جَيْشٍ؛ وَاَلاَنَ لَيْسَ فِي الدُّنْيَا سُلْطَانٌ مَنْ يَجْمِعِ لِلْحَرْبِ ذَلِكَ اَلْعَدَد اِلاَّ اَلسُّلْطَان اَلسَّيِّدْ اَلْكَبِير؛ وَهَذَا بُرْهَانٌ أَنَّ اَلدُّنْيَا كَانَتْ عَامِرَةً.

ثُمَّ قَالَ لِي اَلْقَاضِي: وَلَحْمَ اَلْخِنْزِير، لِمَاذَا هُوَ مَمْنُوعٌ عِنْدَكُمْ؟

قُلْتُ: لاَنَّهُ نَجِسٌ؛ لاَنَهُ لاَ يَاكُلُ اِلاَّ اَلنِّجَاسَاتِ؛ وَحَتَّى فِي اِلاَنْجِيلِ هُوَ مَمْنُوعٌ!

قَالُوا: لَيْسَ بِمَمْنُوعٍ، وَأَيْنَ اَلْمَنْع فِي اِلاَنْجِيل؟

قُلْتُ: قَرَأْتُ فِيهِ أَنَّ مَجْنُونَيْن كَانَا فِي اِلْمَقَابِرِ؛ رَدِيَانِ جِداً؛ حَتَّى اَنَّهُ لَمْ يَقْدِرْ أَحَدٌ اَنْ يَجُوزَ مِنْ تِلْكَ اَلطَّرِيقِ؛ فَصَاحَا قَائِلِينَ: مَا لَنَا وَلَكَ يَا يَصُوعُ اِبْنُ اللهِ، أَجِئتَ هَا هُنَا لِتُعَذِّبَنَا؟ وَكَانَ هُنَاكَ قَطِيعُ خَنَازِيرَ كَثِيرَةٌ تَرْعَى بَعِيداً مِنْهُمْ، فَطَلَبَا اَلِيهِ[1] اَلشَّيَاطِين قَائِلِينَ: اِنْ كُنْتَ تَخْرِجُنَا مِنْ هَاهُنَا فَارْسِلْنَا اِلَى قَطِيعِ خَنَازِير؛ فَقَالَ لَهُمْ: (٤٤ ب) اَذْهَبُوا، وَلَمَّا خَرَجُوا مَضَوْا وَدَخَلُوا فِي اِلْخَنَازِير؛ وَاِذَا بِقَطِيعِ اِلْخَنَازِيرِ كُلِّهِ قَدْ وَثَبَ عَلَى جُرْفِ وَتَوَاقَعَ فِي اِلْبَحْرِ وَمَاتَ جَمِيعَهُ فِي اِلْمَاء وَهَرَبَ اَلرُّعَاةُ، اَنْتَهى، وَكَانُوا نَحْوَ اَلْفَين.

---

[1] كتب الحجري فوقها: «منه».

قُلْتُ لَهُمْ: اَلاَنْبِيَاءُ – عَلَيْهِمْ اَلسَّلاَمُ – كَانُوا يَخسِّرُونَ اَلنَّاسَ فِي أَمْوَالِهِمْ؟

قَالُوا: لاَ!

قُلْتُ لَهُمْ: هَذَا نَحْوَ اَلفَينِ خَنْزِيرٍ تُسَاوِي دَرَاهِمَ كَثِيرَةً وَاَذَنَ سَيِّدِنَا عِيسَى – عَلَيْهِ اَلسَّلاَمُ – فِي اِفْنَائِهَا وَتَلَفِهَا وَأَنَّ اَرْبَابَهَا يَخْسِرُونَ قِيمَتَهَا لاَجْلِ أَنَّ اَلْخَنَازِيرَ كَانَتْ عِنْدَهُ حَرَاماً؛ وَلَوُ كَانَتْ مِنَ اَلْمُوَاشِي اَلْمُبَاحَةِ لَمْ يَاذَنْ سَيِّدْنَا عِيسَى – عَلَيْهِ اِلسِّلام – لِلْجُنُونِ بِالدُّخُولِ فِيهَا لإِفْسَادِهَا وَهلاَكِهَا. فَأَخَذَ اَلْقُضَاةُ فِي اِلْكَلاَمِ وَالتَّدْبِيرِ فِي اِلْجَوَابِ.

ثُمَّ قَالُوا: لَمْ تَبْلُغْ هَذَا اَلْعَدَد اَلَّذِي ذَكَرْتَهُ!

قُلْتُ: هَذَا اَلَّذِي قَرَأْتُهُ؛ فَأُحْضِرَ اَلانْجِيلُ فَوَجَدُوهُ كَذَلِكَ. وَقَدْ ذَكَرَ هَذِهِ اِلْمَسْئَلَة فِي مَوْضَعَيْنِ فِي اِلانْجِيل: فِي اَلْفَصْلِ اَلْخَامِسِ عَشَرِ لمَرْقُسْ؛ وَهُوَ اَلَّذِي قَالَ: كَانُوا نَحْوَ أَلْفَينِ.

ثُمَّ اَنَّهُمْ أَخَذوا فِي اِلْكَلاَمِ وَلَمْ يَجِدُوا مَا يُجَاوِبُوا بِهِ وكَانَ قَدْ مَضَى (١٤٥أ) من اَلَّيلِ نَحْوَ نِصْفِهِ؛ فَانصَرَفْتُ اِلَى مَنْزِلِي، وَبَعَثُوا مَعِي خُدَّامَهُمْ؛ وَرَأَيْتَهُمْ فَارِحِينَ شَاكِرِينَ لِي؛ وَلَمْ يَسْمَعُوا مِنِّي اِلاَّ مَا ذَكَرْتَ؛ وَكُلُّ ذَلِكَ عَكْسَ دِينِهِمْ.

وَاَصْبَحْتُ يَوْماً اَخرُ؛ وَمَشَيْتُ اِلَى اَلْقَاضِي وَأَعْطَانِي اِلمَوَاجِب وَمَا اَخَذَ مِنِّي شَيْئاً مِنَ اَلدَّرَاهِمْش فِيهَا. ثُمَّ أَبْصَرَتْنِي اَلْمَرأَةُ اَلَّتِي كَانَتْ مَعَنَا لِلْكَلاَمِ وَرَعَتْ اَنْ لاَ يَرَاهَا أَحَدٌ وَأَعْطَتْنِي دَرَاهِمَ ذِهَباً لَيْسَ بِالْقَلِيلِ وَذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اِللهِ وَالْجِهَادُ عَلَى اَلدِّينِ وَبَرَكَةِ يَوْمِ مُوْلد اَلنبِّي – صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –.

وَمِمّا ذَكَرَ لِي أبرَتَ أنّ فِي بَلَدٍ يُسَمّى شَانْدِيُنشِي؛ عَلَى بُعْدِ سِتَةِ أمْيَالٍ مِنْ بْرِيشْ - فِي دَارٍ عَظِيمَةٍ لِلْمُتَرَاهِبِينَ ذَخَايِرَ وَتِيجَانِ لِلْمُلُوكِ وَغَيْرُ ذَلِكَ لِلْسَلاطِينَ اِلْمَاضِيِينَ وَالاَسَاكِفَةِ؛ وَمِنْ جُمْلَتِهَا كَاسٌ مِنْ بِلَوْرٍ كَبِيرٍ مَكْتُوبٍ بِالْعَرَبِيَةِ وَالْحُرُوفُ مَرْسُومَةٌ مَصْنُوعَةٌ فِي وَسَطِ الْكَاسِ؛ وَأَنّه كَانَ لِسَيّدِنَا سُلَيْمَانَ بِنْ دَاوُود نَبِيُ اَللّهِ - عَلَيْهِمَا اَلسّلاَمُ -. قُلْتُ لَهُ: أُحِبُ ارَى ذَلِكَ!

وَسِرْنَا وَبَلَغْنَا اِلَى اَلدّارِ وَكَانَ فِيهَا أُنَاسٌ جَاءُوا مِنْ بِلاَدِهِمْ لِرُؤيَةِ (٤٥ ب) اَلذّخَايِرِ. وَصَعَدْنَا جَمِيعاً اِلَى بَيْتٍ مُرتَفِعٍ؛ وَجَاءَ رَجُلٌ وَفَتَحَ اَلْخِزَانَةَ اَلتِّي كَانَتْ فِيهَا الذّخَايِرُ؛ وَأَخَذَ تَاجاً مِنْ ذَهَبٍ وَتَكَلّمَ عَلَيْهِ وَقَالَ: هَذَا تَاجُ اَلسُّلْطَانِ اَلْفُلاَنِي؛ ثُمّ قَبَضَ أَخَرَ مِنْ اَلتِيجَانِ وَذَكرَ لِمَنْ كَانَ؛ وَبَقِيَ كَذَلِكَ يَاخُذ تَاجاً بَعْدَ تَاجٍ وَهِيَ بِالاَحْجَارِ الْمُثْبَتَةِ وَالضّيمَنْتِ[1] وَالْيَاقُوتِ اَلنّفِيسَةِ. ثُمّ اخَذَ كَاساً بِلّورٍ عَلَى طُولِ ذِرَاعِ اِلاِنْسَانِ وَمَوْضِعُ قَبْضِهِ فِي اِلْوَسَطِ أوْ انْزِلَ مِنْهُ حِزَامٌ مَكْتُوبٌ بِالْعَرَبِيَةِ بِخَطٍّ مِثْلَ اَلْكُوفِي مَنْقُوشَةٌ فِيهِ؛ وَقَبَضْتُهُ بِيَدِي وَقَرَأتُ فِي اِلْمَكْتُوبِ اِسْمَيْنِ مِنْ اَسْمَاءِ اَللّهِ تَعَالَى: هَادِي؛ كَافِي؛ وَلَوْ تَرَكَهُ عِنْدِي لَقَرَاتُهُ كُلّهُ، وَسَدّ عَلَى اَلذّخَايِرِ. وَتَعَجَبْتُ مِمّا اَتّفَقَ لِي بِأَخْذِ كَاسِ سَيّدنَا سُلَيْمَان - عَلَيْهِ اِلسّلاَمْ - بِيَدِي؛ وَأَيْضاً اَلرّقّ اَلّذِي تَقَدّمَ ذِكْرُهُ مِنْ زَمَنِ سِسِلْيُوه كَاتِبُ اَلصّالِحَةِ مَرْيَم - عَلَيْهَا اَلسّلاَمُ - وَبَعْضَ اَلْكُتُبِ فِي وَرَقِ اِلرّصَاصِ مِنْ تَلْكَ الزّمَانِ.

اَنْظُرْ اَلْعَرَبِيَة مَا اَقْدَامِهَا، وَاَيُّ حُرْمَةٍ لَهَا حَتّى أَنّ نَبِيُ اَللّهِ سَيّدْنَا سُلَيْمَان- عَلَيْهِ اِلسّلاَمُ - (٤٦أ) لَمْ يَخْتَرْ اِلاّ حُرُوفَ اَلْعَرَبِيَة وَاَسْمَاء

---

[1] يريد: الدايمت Dimond وهو الألماس.

اِللّهِ مكْتُوبَةً بهَا فِي الْكَاسِ لِيَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهَا عِنْدَ قَبْضِهِ۰ وَالْكَلاَمُ بالْعَرَبَيَةِ لِمَنْ يَعْرِفهَا خَيْرٌ مِنَ أَلْكَلاَمِ بغَيْرِهَا مِنَ اَللُّغَاتِ، كَمَا ذَكَرَ اَلْنَبي – صَلَّى اَللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – أَنَّهُ كَانَ يُحِبُّهَا ۰

وَأَمَّا اَلّذِي قَضَيْتُ فِي بَّرِيشْ؛ اَعْطَوْنِي كِتَابَ اَلسُّلْطَان بِطَابعِ اِلدِّيوَان اَلْكَبير لِلْحُكَّام عَلَى كَافَةِ اَلدَّوَاوِين اَلّتِي ببِلاَدِ اِلْفَرَنْج وَالاَمْرُ فِيهِ اَنَّ جَمِيعَ مَا يُجَدُ مِنْ نَهْبِ اِلاَنْدَلُس اَنْ يَدْفَعُوهُ لِي؛ وَذَكَرَ قَايِّدُ طَابعِ اَلسُّلْطَان أَنَّ فِي بَلَدِهِ بأُلُونهْ وَاحِداً وَعِشْرِينَ رَءِيساً؛ كُلُّ وَاحِدِ بسَفِينَتِهِ نَهَبَ اَلاَنْدَلُس اِلّذِينَ اَكْتَرَوْهَا؛ وَكَانَ فِيهِمْ وَاحِدٌ مِنْ اَلّذِينَ نَهَبُوا اِحْدَى اَلسُّفُنِ اِلّتِي كَانَتْ لِي اَلْوَكَالَةُ عَلَيْهَا۰ وَاَتَّفَقْنَا أَنْ نَمْشِي مَعَهُ مِن بَّرِيش۰

اَلْبَـــــابُ اَلثَامِــــــنُ

فِي قُدُومِنَا إِلَى أُولُونَهْ ثُمَّ إِلَى مَدِينَةِ بُرْخِيُوشْ

وَلَمَّا رَأَيْتُ مَا اَظْهَرَ مِنَ اَلنَّصِيحَةِ إِلَيْنَا قَايِدُ الطَّابِعِ؛ مَشَيْنَا إِلَى بَلَدِهِ؛ وَلَمَّا اَنْ وَصَلْنَا إِلَى دَارِهِ – وَكَانَتْ خَارِجاً عَنِ اِلْبَلَدِ عَلَى قُرْبِ نَهْرٍ – وَهِيَ مَانِعَةٌ كَبِيرَةٌ مُبْنِيَةٌ بِالْحَجَرِ الْمَنْجُورِ؛ وَفِيهَا بَعْضُ اَلْمَدَافِعِ (٤٦ ب) وَبِقُرْبِهَا بُسْتَانٌ كَبِيرٌ وَغَابَاتٌ؛ وَبِلاَدٌ وَاسِعَةٌ لِلزَّرْعِ؛ كُلُّ ذَلِكَ لِلْقَايِدِ اِلْمَذْكُورِ.

وَأَقْبَلَتْ عَلَيْنَا زَوْجَتَهُ وَخُدَّامِهَا مِنَ اَلْبَنَاتِ وَاَلْرِجَالِ؛ وَكَانَتْ فِي تِلْكَ الدَّارِ بِنْتٌ مِنْ قَرَابَتِهِمْ ذَاتُ مَالٍ عَظِيمٍ مِمَّا تَرَكَ لَهَا وَالِدَيْهَا؛ وَهِيَ مِن اَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ سَنَةً؛ وَلَهَا مِنَ اَلْحُسْنِ وَاَلْجَمَالِ كَثِيرٌ؛ وَطَلَبَهَا لِلزَّوَاجِ كَثِيرٌ مِنْ أَكَابِرِ اَهْلِ بِلاَدِهِمْ وَلَمْ تَرْضَ بِأَحَدٍ مِنْهُمْ.

وَقَدَّمُوا لِي مَعَ اَصْحَابِي طَعَامَاً فَلَمْ نَأكُلْ مِنْهُ. قُلْتُ لَهُمْ: هَذَا مَمْنُوعٌ فِي دِينِنَا؛ ثُمَّ اَعْطُونَا مَا ذَكَرْنَا لَهُمْ.

ثُمَّ جَاءَتْ اَلْبِنْتُ وَقَالَتْ لِي: أَنْ اَصِفَ لَهَا حَالَ اَلنِّسَا اَلَّتِي هُنَّ فِي غَايَةِ اِلْحُسْنِ وَاَلْمَلاَحَةِ عِنْدَنَا. وَذَكَرْتُ لَهَا مَا تَيَسَّرَ.

قَالَتْ: اَنْتُمْ عَلَى اَلْحَقِ! وَذَلِكَ اَنَّهَا كَانَتْ بَيْضَا بِشَيْءٍ مِنَ اَلْحُمْرَةِ وَشَعْرُهَا اَسْوَدُ وَشَعْرُ اِلْحَوَاجِبِ وَاَشْفَارِ اِلْعَيْنِ وَكُحْلُ اَلْعَيْنِ فِي غَايَةٍ؛ وَالْمَرَاةُ عِنْدَ اَلْفَرَنْجِ عَلَى هَذِهِ اِلْحَالَةِ مَهْمُولَةٌ عِنْدَهُمْ فِي اَلْحُسْنِ؛ وَيَقُولُونَ: اَنَّهَا سَوْدَا.

وَقَدْ كُنْتُ اَذْكُرُ لاَصْحَابِي بَعْضَ اَلْحِكَايَاتِ فِيمَا وَقَعَ لِلرِّجَالِ الصُّلَحَا اَلْوَاقِفِينَ عَلَى اَلْحُدُودِ لِتَقْوِيهِمْ عَلَى نُفُوسِهِمْ وَنَفْسِي عَلَى دَعَاوى اِلنَّفْسِ وَالشَّيطَان فِي شَانِ اِلنِّسَاء (٤٧أ) اَلْمُحَرِّمَات لاَنَّ بِسَبِبِ الْحَرِيمِ اِلْمَكْشُوفِ كَانَ اَلشَّيْطَانُ يُوَسْوِسُنَا كَثِيراً؛ وَكُنَّا صَابِرِينَ٠

وكَانَتْ اَلْبِنْتُ تُزَيِّنُ نَفْسَهَا وَتَسْئَلَنِي: هَلْ فِي بِلاَدِنَا مَنْ يَلْبِس لِبَاسَاتِ اِلْحَرِيرِ مِثْلُهَا؟ ثُمَّ قَالَتْ لِي: أُعَلِّمُكَ تَقرَا بِالْفَرَنْجِ، وَصِرْتُ تِلْمِيذاً لَهَا؛ وَأَخَذَتْ فِي اِكْرَامِ اَصْحَابِي؛ وَكَثُرَتْ اَلْمَحَبَّةَ بَيْنَنَا حَتَّى اَبْتَلَيْتُ بِمَحَبَّتِهَا بَلِيَة عَظِيمَة٠ وَقُلْتُ: قَبْلَ ذَلِكَ كُنْتُ فِي خِصَامٍ مَعَ اَلنِّصَارَى عَلَى اَلْمَالِ وَفِي اِلْجِهَادِ عَلَى اَلدِّينِ وَالاَنَ هُوَ اَلْخِصَامُ مَعَ اَلنَّفْسَ وَالشَّيْطَان؛ فَالنَّفْسُ تَطْلُبُ قَضَا اَلْغَرْض وَالشَّيْطَانُ يَعِينُهَا؛ وَالرُّوحُ يَنْهَى عَنِ الْحَرامِ؛ وَالْعَقْلُ يَحْكُمْ بَيْنَهُمَا٠ وَمِنِ اَلنَّاسِ مَنْ يُعَبِّرُ بِالْقَلْبِ عَنِ اِلرُّوحِ؛ فَالنَّفْسُ تَسْتَعِينُ بِالشَّيْطَانِ لأَنَّهُ مِنْ طَبْعِهَا وَهُوَ طَبْعُ اَلنَّارِ وَالْحَرارَة وَالْيُبُوسَة؛ وَلاَ يُوَسِّوِسَان اَلانْسَان اَنْ يَعْمَلَ اِلاَّ مَا يَكُونُ مِنْ اَعْمَالِ اَهْلِ اِلنَّارِ؛ وَالرُّوحُ يَسْتَعِينُ بِاللّهِ تَعَالَى. وَقَدْ قَالَ اِبْلِيسُ عِنْدَ اِسْتِكْبَارِهِ عَنِ السُّجُودِ لِسَيِّدِنَا اَدم -عَلَيْهِ اِلسَّلاَم- "خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ"؛ وَحَيْثُ هِيَ اَلنَّفْسُ وَالشَّيْطَانُ مِن طَبْعِ اِلنَّارِ فَهُمَا يَتْبَعَانِ اِلانْسَانَ لِيَذْهَبَ اَلِيْهِ مَعَهُمَا؛ وَلَمَّا عَلِمَ اَلشَّيْطَانُ أنْ لَيْس (٤٧ب) لَهُ قُوَّةً عَلَى اِلانْسَان اِلاَّ لِيُوَسْوِسَهُ فَقَطْ؛ وأَنَّ اَلْوِسْوَاسُ يَرُدُّهُ اَلانْسَانُ تَارَةً بِلاَ تَعَبِ وَتَارَةً يَحْتَاجُ اَلدُّعَا اِلَى اَللّهِ تَعَالَى٠

وَكُنتُ اَخْرُجُ اِلَى بَيْنِ اِلاَشْجَارِ وَاَدْعُو اللّهَ تَعَالَى أَنْ يُثَبِّتَنِي فَمَشَى اِبْلِيسُ اِلَى صَاحِبِي - وَكَانَ اَكْبَرُهمْ سِناً مِنَ اِلاَصْحَابِ -

ووَسْوَسَهُ وَاتَّفَقَ مَعَهُ أَنْ يُكَلِّمُنِي فِي شَأنِ اِلْبِنْتِ؛ وكُنْتُ اُخْفِي مَا اَصَابَنِي مِنَ الْهَمِّ بِسَبَبِ اِلْبِنْتِ مِنْ اَصْحَابِي لِئَلاَ يَظْهَرَ لَهُمْ ضُعْفٌ مِنِّي اِذْ كُنْتُ أُقَوِّيهِمْ أَنْ يَغْلِبُوا نُفُوسَهُمْ عَنِ اِلنِّسَا اَلْمُحَرَّمَاتِ وَالْمَيْلُ لَهُنَّ. فَجَأَنِي صَاحِبِي عَلَى وَجْهِ اِلسِّرِّ وَالنُّصْحِ.

وقَالَ لِي: يَا سَيِّدِي أَصَابَنِي تَغْيِيرٌ بِسَبَبِ اِلنَّاقِصَةِ اَلَّتِي رَأَيْتُهَا مِنْكَ.

قُلْتُ لَهُ: اذْكُرْ لِي مَا رَأيْتَ مِنِّي لَعَلَّكَ تَنْفَعَنِي.

قَالَ: هَذِهِ الْبِنْتُ مَا يَخْفَى حَالُهَا؛ وَهِيَ تَعْمَلُ اَلْخَيْرَ اَلْكَثِيرُ مَعَنَا بِسَبَبِ مَحَبَّتِهَا اِلَيْكَ اِذْ هِيَ ظَاهِرَةٌ لَيْسَتْ بِخَافِيَةٍ؛ وَأَنْتَ تَعْرِفُ اَلْعَادَةَ اَلْجَارِيَةَ فِي هَذِهِ اِلْبِلاَدِ اِنَّ اَلرَّجُلَ يَمُدُّ يَدَهُ لِلْبَنَاتِ وَيُلَعِبُهَا؛ وَلَيْسَ بِعَيْبٍ عِنْدَ اَحَدٍ مِنْ هَذَا[1] اَلنَّاسِ؛ وَهِيَ تَقِفُ أَمَامُكَ مِرَاراً قَرِيباً مِنْكَ تَنْتَظِرُ أَنْ تُلاَعِبَهَا وَأَنْتَ لاَ تُفَرِّحُهَا وَلاَ تَشْرَحُهَا!

قُلْتُ فِي نَفْسِي: هَذَا اَقْوَى مِنْ اَلشَّيْطَانِ. قُلْتُ: (١٤٨أ) يَا صَاحِبِي هَذَا عِنْدَنَا فِي دِينِنَا اَمْرٌ بِالْمَنْعِ مِنْ ذَلِكَ وَالنَّصُ هُوَ: "وَالتَّكُفُ يَدَكَ عَنْ مَا لاَ يُحِلّ لَكَ مِنْ مَالٍ اَوْ جَسَدٍ"؛ وَهَذَا جَسَدٌ لَيْسَ بِحَلاَلٍ لِي!

قَالَ: لاَ اَقُولُ لَكَ إِلاَّ اَنْ تُلَعِبَهَا فَقَطْ!

قُلْتُ لَهُ: قَالَ صَاحِبُ اَلْبُرْدَةِ:

فَلاَ تَرُمْ بِالْمَعَاصِي كَسْرَ شَهْوَتِهَا إِنَّ اَلطَّعَامَ يُقَوِّي شَهْوَةَ اَلنَّهِمِ

قَالَ: مَا مَعْنَى هَذَا؟

قُلْتُ: اَلَّذِي يُفْهَمُ مِنَ الْمَعْنَى - حَسْبَمَا سَمِعْتُ - لاَ تَحْسِبْ أَنَّكَ اِذَا اَعْطَيْتَ لِلنَّفْسِ اَلْقَلِيلَ مِمَّا تَشْتَهِي مِن اَلْحَرَامِ إِنَّهَا تَقْنَعُ بِذَلِكَ بَلْ تَزْدَادُ شَهْوَتُهَا وَتَتَقَوَّى عَلَيْكَ وَتَغْلَبُكَ حَتَّى تَفْعَلَ مِنَ الْحَرَامِ اَكْثَرَ مِمَّا

---

[1] كذا في الأصل.

قَصَدْتَ ، وَمِثَالْ ذَلِكَ: أَنَّ اَلانْسَانَ اِذَا كَانَ صَايِماً فَهُوَ صَابِرٌ عَلَى اَلطَّعَامِ حَتَّى يَبْتَدِي بَالْمَاكُول تَتَقَوَّى شَهْوَتُهُ عَلَيْهِ أَنْ يَاكُلَ حَتَّى يَشْبَعَ؛ وَاَلاحْسَنُ وَالافْضَلُ مُخَالِفَةُ اَلنَّفْس وَالشَّيْطَان وَأَنْ يَعْصِيهِمَا ٠

فَلاَ نَفَعَ مَعَ صَاحِبِي مِنْ كُلِّ مَا قُلْتُ لَهُ شَيْئاً لانَهُ جَاءَ مِنْ وَرَاءِي وَاَلْبِنْتُ وَاقِفَةٌ تَتَكَلَّمُ مَعِي وَأَدْحَانِي اِلَيْهَا؛ وَحِينَ ذَهَبَتْ خَاصَمْتُه عَلَى حُمْقِهِ٠

وَسَأَلَتْنِي : هَلْ عِنْدِي اِمْرَأَةٌ فِي بِلاَدِي؟

قُلْتُ لَهَا: عِنْدِي!

ثُمَّ قَالَتْ: وَتَتَزَوَّجُونَ اَكْثَرَ مِنْ اِمْرَأةٍ ؟

قُلْتُ لَهَا: جَائِزٌ ذَلِكَ فِي دِينِنَا.

ثُمَّ (٤٨ ب) قَالَتْ: هَلْ عِنْدَكَ اَوْلاَدٌ؟

قُلْتَ لَهَا: عِنْدِي؛ وَقُلْتُ فِي نَفْسِي – حِيْنَ عَلِمَتْ ذَلِكَ تَنْقُصُ اَلْمَحَبَّةَ فَلَمْ تَنْقُصَ شَيْئاً٠

وَرَايتُهَا يَوْماً زَيَّنَتْ نَفْسَهَا وَكَانَتْ تَرْعَانِي وَلَيْسَ لِي خَبَرٌ بِمَا اَضْمَرَتْ؛ وَسِرْتُ اِلَى اَلْجِنَانِ؛ وَالْبَسَاتِين بِتِلْكَ اَلْبِلاَد مَا لَهَا حِيطَان لِلْتَحْوِيطِ بَلْ يَحْفَرُونَ خَنْدَقاً دَايِراً بِالْبُسْتَانِ غَرِيقاً لِمَنْعِ اِلنَّاسِ مِنْ اَلدُّخُول اِلَيْهِ اِلاَّ مِنْ اَلْبَابِ٠ وَسَمِعْتُهَا تُنَادِينِي فَجِئْتُ مِنْ دَاخِلِ اِلْجِنَان اِلَى حَاشِيَةِ اِلْخَنْدَقِ وَهِيَ وَاقِفَةٌ عَلَى اَلْحَاشِيَةِ مِنْ اَلْجِهَةِ اِلاُخْرَى وَطَرِيقٌ صَغِيرٌ هَابِطٌ اِلَى قَعْرِ اِلْحُفْرَةِ وَطَالِعٌ اِلَى اَلْجِنَان وَاَلْخَنْدَقُ، اَلْكُلُّ عَامِرٌ بِالاَشْجَارِ اِلبِرِّيَةِ حَتَّى لاَ يَظْهَرُ قَعْرَهُ اِلاَّ فِي بَعْضِ اِلْمَوَاضِعِ؛ فَتَكَلَّمْنَا هُنَالِكَ وَفَهِمْتُ مِنْ حَالِهَا مَا لاَ يَخْفَى؛ وَتَكَلَّمَ بَعْضُ اَصْحَابِي فِي اِلْجِنَان وَقَرُبَ مِنْ جِهَتِي وَذَهَبَتْ٠ وَفَكَّنِي اَللَّهُ بِفَضْلِهِ

وَاِحْسَانِهِ وَحِمَايَتِهِ وَتَوْفِيقِهِ الْجَمِيلِ؛ وَاسْتَغْفِرُ اَللّٰهَ مِنَ الْكَلَامِ الَّذِي صَدَرَ مِنِّي اِلَيْهَا وَالنَّظَرِ اِنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ؛ وَاِنَّ اَللّٰهَ يَغْفِرُ اَلصَّغَايِرَ بِاِجْتِنَابِ اِلْكَبَايِرِ ٠

وَقَدْ جَاءَتْ بِنْتٌ مِنْ اَكَابِرِ اَلْفَرَنْجِ مِنْ مَدِينَةِ فُنْتَنِي اِلَى زِيَارَةِ صَنَمٍ بِقُرْبِ اِلْمَنْزِلِ اِلَّذِي كُنَّا فِيهِ (١٤٩أ) وَبَعْدَ اَلزِّيَارَةِ جَاءَتْ اِلَى اِمْرَاَةِ اِلْقَايِدِ وَالْبِنْتُ اَلَّتِي فَرَغْنَا مِنَ اَلْكَلَامِ عَلَيْهَا؛ فَأَقْبَلُوا عَلَيْهَا ٠ وَبَعْدَ اَلطَّعَامِ نَادَوْنِي وَاَعْطُوْنِي كُرْسِياً؛ وَجَلَسْتُ وَزَوْجَةُ اَلْقَائِدِ عَنْ يَمِينِي وَالْبَنَاتُ قُبَالَتِي وَاَلَّتِي جَاءَتْ اِلَى اِلزِّيَارَةِ كَانَتْ اَجْمَلُ وَاَزْيَنُ مِنَ اَلَّتِي كَانَتْ فِي اِلدَّارِ؛ وَفِي حَالِ لِبَاسِهَا ظَاهِرَةٌ اَنَّهَا مِنَ اَلاَكَابِرِ؛ وَمَعَهَا بِنْتَانِ تَخْدَمَانِهَا ٠

وَقَبْلَ أَنْ نَادَوْنِي اَعْلَمُوهَا بِي؛ وَلَمَّا جَلَسَتْ نَظَرَتْنِي شَزْراً وَاَظْهَرَتْ فِي وَجْهِهَا اَلْغَضَبُ وَقَالَتْ لِي: اَنْتَ تُرْكِيٌّ؟

قُلْتَ لَهَا: مُسْلِمٌ، اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ ٠

قَالَتْ: كَيْفَ بِكُمْ لم تَعْرَفُوا اَللّٰهَ؟

قُلْتُ لَهَا: اَلْمُسْلِمُونَ يَعْرَفُونَ اَللّٰهَ خَيْرٌ مِنْكُمْ!

قَالَتْ: خَيْرٌ مِنَّا؟

قُلْتُ لَهَا: نَعَمْ!

قَالَتْ لِي: بِمَا تُثَبِّتُ ذَلِكَ؟

فَنَظَرْتُ اِلَيْهَا وَرَأَيْتُ تَحْتَ اِبْطِهَا كِتَاباً - كَمَا هِيَ مِنْ عَادَة بَنَاتِ التُّجَّارِ وَلاَكَابِرِ مِنَ اَلْفَرَنْجِ؛ كُلُّ وَاحِدَةٌ تَحْمِلُ كِتَاباً مِثْل تَهْلِيل؛ وَفِي كُلِّ وَاحِدٍ خَمْسَةَ اَدْعِيَةِ اَوْ سُوَر اِلَّتِي هِيَ فَرْضٌ عَلَى كُلِّ بَالِغٍ حِفْظُهَا.

قُلْتُ لَهَا: اَلْبُرْهَانُ فِيمَا قُلْتُ فِي كِتَابِكِ اَلذِي عِنْدَكِ وَبِهِ نُثَبِّتُ مَا قُلْتُهُ لَكِ. فَاخَذَتْ اَلْكِتَاب وَوَضَعَتْهُ بَيْنَ يَدِي عَلَى اَلْمَايِدَةِ (٤٩ ب)

وَقَالَتْ: هَا هُوَ اَلْكِتَابُ!

قُلْتُ لَهَا: اَنْظُرِي اَلْعَشْرَةَ اَلاوَامِرَ اَلرَّبَّانِيَةَ!

فَفَتَشَتْ فِي اَلْكِتَابِ وَقَالَتْ: هَا هِيَ!

قُلْتُ لَهَا: اَقْرَءِي اِلامْرَ اَلاوَّل مِنْ اَلْعَشْرَةِ فِي دِينِ اِللّٰهِ!

فَقَرَأَتْ وَقَالَتْ: الامْرُ اَلاوَّلُ مِنْ اَلْعَشْـرَةِ؛ قَالَ اَللّٰهُ تَعَالَى: لاَ تَعْمَلْ صُوَراً وَلاَ تَعْبُدَهَا؛ اَعْبُدْ اَللّٰهَ وَحْدَهُ.

وَلَمَّا اَنْ قَرَأَتْهُ قُلْتُ لَهَا: اَلْمُسْلِمُونَ مَا يَعْمَلُونَ صُوَراً وَلاَ يَعْبُدُونَهَا وَيَتَحَفَظُونَ مِنْ ذَلِكَ؛ حَتَّى أَنَّ اَلنِسَا اَلَّتِي تَرْقُمْنَ لَمْ تُصَوِّرْنَ فِي رَقْمِهَا اَبَداً شَيْئاً لَهُ رُوحٌ؛ وَكَذَلِكَ اَلرَّسَّامُونَ اَلَّذِينَ يَرْسُمُونَ وَيُزَوِّقُونَ دِيَارَ اَلْمُلُوكِ وَاَلْجَوَامِعِ؛ لَمْ يُصَوِّرُوا اَبَداً شَيْئاً فِيهِ رُوحٌ.

قَالَتْ: لَيْسَ عِبَادَتَنَا لِلاَصْنَامِ لِذَاتِهَا؛ اِنَّمَا ذَلِكَ لِلْمُشَبَّهِ بِهِ.

قُلْتُ لَهَا: كَانَ لِي كَلاَمٌ اَقُولُهُ لَكِ فِي اِلشَّبِيهِ وَاَلْمُشَبَّه وَلَكِنْ اَتْرُكُهُ لِنَحُزَكِ لِمَسْئَلَةٍ أُخْرَى لَنْ تَجِدِي لَهَا جَوَاباً!

قَالَتْ: مَاذَا هِيَ؟

قُلْتُ لَهَا: اَلاَمْرُ اَلرَّبَّانِي بِالنَّصِ قَالَ: لاَ تَعْمَلُوا صُوَراً وَلاَ تَعْبُدُوهَا؟

قَالَتْ: نَعَمْ!

قُلْتُ لَهَا: أَتَعْمَلُونَ اَصْنَاماً أَمْ لاَ؟

فَكَانَ لَهَا اِنْصَافٌ لِلْحَقِّ وَعَقْلٌ؛ وَنَظَرَتْ اَلنِّسَا وَقَالَتْ لَهُنَّ بِلِسَانِهِنَّ: غَلَبَنِي، وَمَا وَجَدْتُ بِمَا نُجَاوِبَهُ بِهِ. فَنَظَرْتُ اِلَيْهَا وَنَزَلَ بِهَا فَرَحٌ

وَانْشِرَاحٌ كَأَنَّهُ زَالَ مِنْ قَلْبِهَا (٥٠أ) غِشَاءٌ. وَاقْبَلَتْ عَلَيَّ بِحُسْنِ الْكَلاَمِ وَذَهَبَ عَنْهَا اَلْغَيْظُ وَالْغَضَبُ اَلَّذِي كَانَ فِيهَا لِلْمُسلِمِينَ.

وَقَالَتْ لِي: كَمْ سَنَة اَلَّذِي ظَهَرَ فِي الدُّنْيَا نَبِيُّكُمْ؟ وَهَلْ هُوَ تَارِيخُ اَلسِّنِينَ مِنْ مِيلاَدِهِ كَمَا هُوَ عِنْدَنَا مِنْ مِيلاَدِ عِيسَى- عَلَيْهِ اِلسَّلاَمُ؟

قُلْتُ: بَلَغَ حِسَابُ تَارِيخِ اَهْلِ دِينِنَا فِي هَذِهِ اِلسَّنَةِ اِحْدَى وَعِشْرِينَ وَالْف مِنَ اَلْهِجْرَةِ؛ وَهِيَ اَلسَّنَةُ اَلَّتِي خَرَجَ نَبِيُّنَا – صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – مِنْ مَكَّةَ لِشُهْرَةِ دِينِ اللَّهِ تَعَالَى.

قَالَتْ: وَالسَّنَةُ عِنْدَكُمْ هِيَ كَعَامِنَا فِي ايَّامِهِ؟

قُلْتُ لَهَا: امَا اَلسَّنَةُ عِنْدَكُمْ فَهِيَ شَمْسِيَةٌ وَفِيهَا مِنَ اَلاَيَامِ ثَلاَثُمِائَةِ وَخَمْسَة وَسِتُّونَ يَوْماً وَرُبُعُ يَوْمٍ؛ وَالسَّنَةُ عِنْدَنَا فَهِيَ قَمَرِيَةٌ وَفِيهَا مِنَ اَلاَيَامِ ثَلاَث مِائَةِ وَأَرْبَعَ وَخَمْسِينَ يَوْماً بِتَقْرِيبٍ.

قَالَتْ: اَلشُّهُرُ كَأَشْهُرِنَا؟

قُلْتُ لَهَا: كُلُ شَهْرٍ عَرَبِي يَنْقُصُ يَوْماً عَنِ اِلشَّهْرِ اِلشَّمْسِي.

قَالَتْ: وَالنِّسَا عِنْدَكُمْ مَحْجُوبَات؟

قُلْتُ لَهَا: نَعَمْ!

قَالَتْ: وَكَيْفَ يَكُونُ اَلْعِشْقُ عِنْدَ اَلْبَنَاتِ وَمَنْ يَنْكِحُهُنَّ؟

قُلْتُ لَهَا: لَنْ يَرَاهَا اَحَدٌ مِمَّن يَخْطُبُهَا حَتَّى تَكُونَ لَهُ (٥٠ب) زَوْجَةٌ.

وَمَعْنَى قَوْلِهَا وَسُؤَالِهَا عِنْ اِلْعِشْقِ؛ قَدْ تَقَرَّرَتْ اَلْعَادَةُ بِبِلاَدِ اِلْفَرَنْجِ وَالْفَلَمِنْك انَّ كُلَّ مَنْ يَرِيدُ أَنْ يَتَزَوَّجَ بِنْتاً فَهُوَ لَهُ مُبَاحٌ مِنْ قَرَابَتِهَا انْ يَزُوْرَهَا وَيَنْفَرِدُ بِهَا لِلْكَلاَمِ لِتَحْصَلَ اَلْمَحَبَّةُ بَيْنَهُمَا؛ فَاذَا ظَهَرَ لَهُ انَّهُ يَخْطُبْهَا وَلِلْبَنْتِ اَيْضاً حِينَئِذٍ يَقَعُ اَلْكَلاَمُ عَلَى اَلنِكَاحِ؛ وَاِذَا

ظَهَرَ لَهُ غيْرُ ذَلِكَ فَلاَ يَلْزَمُهُ شَيْءٌ فِيمَا فَاتَ مِنْ مُخَالَطَتِهَا؛ وَقَدْ يَكُونُ لِلْبِنْتِ غيْرُ وَاحِدٍ مَنْ يَزُورُهَا عَلَى اَلْوَجْهِ اَلْمَذْكُورِ، وَوَجَبَ لِلْمُسْلِمِ أَنْ يَشْكُرَ اَللَّهَ عَلَى دِينِ الإسْلاَمِ وَنِعْمَتِهِ وصِفَاتِهِ.

وَأَمَّا مَا ذَكَرْنَا لِلْبِنْتِ فِي شَأْنِ الاصْنَامِ؛ فَقَدْ قَالَ فِي اَلتَّوْرِيَةِ اَلَّتِي بِأَيْدِيهِمْ اَلاَنَ - اَعْنِي بِأَيْدِي اَلْيَهُودْ وَاَلنَّصَارَى - قَالَ فِي اَلْكِتَابِ اَلثَّانِي اَلْمُسمَّى بِالاشْطْ؛ فِي اَلْبَابِ اَلْعِشْرِينَ مِنْهُ؛ قَالَ سَيِّدُنَا مُوسَى - عَلَيْهِ اَلسَّلاَمُ - اِنَّ اَللَّهَ تَعَالَى أَمَرَهُ أَنْ يَنْزِلَ مِنْ جَبَلِ اَلطُّورِ وَاَنْ يَقُول عَنِ اَللَّهِ تَعَالَى لِبَنِي إِسْرَايِلَ:

أَنَا اِلَهُكُمْ؛ اَخْرَجْتُكُمْ مِنْ مِصْرَ؛ مِنْ دِيَارِ اَلاَسْرِ؛

لاَ تَتَّخِذُوا اَلاِهَةً غَيْرِي وَلاَ تَعْمَلُوا صُورَاً مِنْ صُوَرِ اَلسَّمَاءِ اَلْعَلِيَةِ وَلاَ مِنْ صُوَرِ (٥١أ) اَلاَرْضِ وَلاَ مِنْ تَحْتِ اَلاَرْضِ؛ لاَ تَسْجُدُوا لَهَا وَلاَ تَعْبُدُوهَا؛ لاِنِّي اِلَهُكُمْ غَيُورٌ.

وَلاَ تَحْلَفُ حَانِثَاً.

اَلثَّالِثُ: قَالَ: وَعَظِّمُوا اَلْمَوَاسِمِ.

وَالرَّابِعُ: وَأَطِعْ وَالِدَيْكَ لِيُطُولُ عُمْرُكَ.

اَلْخَامِسُ: لاَ تَقْتُلْ.

اَلسَّادِسُ: لاَ تَزْنِي.

اَلسَّابِعُ: لاَ تَسْرِقْ.

اَلثَّامِنُ: لاَ تَكْذِبْ وَلاَ تَشْهَدْ بِالزُّورِ وَلاَ تَفْتَرِي.

اِلتَّاسِعُ: لاَ تَتَمَنَّى دَارَ صَاحِبِكَ وَلاَ زَوْجَتَهُ وَلاَ مَالَهُ.

وَهَذِهِ الاَوَامِرُ اَخَذَهَا اَلنِّصَارَىْ مِنْ اَلتَّوْرَيَةِ وَزَادُوا اَلْعَاشِرَ، وَقَالُوا: اَلْعَاشِرُ: أَنْ تُحِبَّ اَللَّهَ فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ؛ وَتُحِبُّ لِغَيْرِكَ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ.

فَهَذِهِ اَلْعَشْرَةِ اَوَامِر اَلرَّبَّانِيَّةُ، فَالْمِلَلُ اَلثَّلاَثَةُ مُتَفِّقُونَ عَلَيْهَا؛ وَهِيَ عِنْدَنَا فِي اَلْقُرْءَانِ اَلْعَزِيْزِ مُتَفَرِّقَةٌ؛ وَالنِّصَارَى - دَمَّارَهُمْ اَللَّهُ - لَمْ يَعْمَلُوا بِالاَمْرِ اَلاَوَّلُ وَهُوَ اَلاَصْلُ.

وَقَدْ نَهَى اَلنَّبِي - صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمْ - عَنِ الصُّورِ؛ وَقَالَ: "اَلْمُصَوِّرُونَ فِي النَّارِ"[1]. وَقَالَ: "اَنَّ اَلْمَلاَئِكَةَ لاَ تَدْخُلُ بَيْتاً فِيهِ صُوَرٌ"[2]. وَالْحَمْدُ لِلَّهِ اَلَّذِي جَعَلَ اَلْمِلَّةَ اَلْمُحَمَّدِيَة نَقِيَةً سَالِمَةً مِنْ هَذَا اَلذِّنْبِ اَلْعَظِيمِ.

وَقَالَ فِي اَلتَّوْرَيَةَ؛ فِي بَابِ لَمْ نَسْتَحْضَرْهُ: أَنَّ اَلْوَثَانِ (٥١ ب) اَلْكَايْنُ فِيهِ ذَهَبٌ اَوْ فِضَةٌ اَنْ لاَ يَنْتَفِعُ بِهَا اَحَدٌ؛ وَأَنْ يَجْعَلُوا ذِهَبَهُ وَفِضَتَهُ فِي اَلنَّارِ.

وَقَالَ سَيِّدْنَا عِيسَى - عَلَيْهِ اَلسَّلاَمُ - فِي اَلاِنْجِيلِ: "اَنْذِرْ صَاحِبَكَ عَنِ اَلْفِعْلِ اَلْقَبِيحِ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ فَاِنْ لَمْ يَنْتَهِ فَانْذِرْهُ بِحَضْرَةِ اِثْنَيْنِ - اَوْ كَمَا قَالَ - فَإِنْ لَمْ يَنْتَهِ فَدَعْهُ كَوَثَنِي اَوْ عَشَّارٍ". وَمَعْنَى وَثَنِي: عَابِدُ اَلاَوْثَانِ وَالاَصْنَامِ.

وَقَالَ اَلنَّبِي - صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - "مُدْمِنُ خَمْرٍ كَعَابِدِ وَثَنٍ[3].

---

[1] انظر: **المعجم المفهرس** ٤٣٧/٣ فقد ورد أكثر من حديث بهذا المعنى.

[2] المصدر نفسه ٤٣٨/٣.

[3] **سنن ابن ماجة** أشربة ٣ و**المعجم الكبير** للطبراني ٤٥/١٢.

وَذَكَرَ اَلشَّيْخُ جَلاَلُ اَلدِّين اَلسِّيُوطِي فِي اَلْخَصَائِصِ اِلْكُبْرَى: اَنَّ اَلنبِّي - صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - حِينَ دَخَلَ مَكَّةَ اَلْمُشَرَّفَةَ فِي عَامِ اِلْفَتْحِ؛ كَانَ بِالْكَعْبَةِ ثَلاَثمِائَةِ وَسِتُونَ صَنَماً بِأَرْجُلٍ مِنْ رَّصَصٍ وكَانَ يَشِيرُ اِلَى كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهَا بِقَضِيبٍ بِيَدِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَصِلَ إِلَيْهَا؛ وَيَقُولُ: "جَاءَ اَلْحَقُ وَزَهَقَ اَلْبَاطِل أَنَّ اَلْبَاطِلُ كَانَ زَهُوقاً"[١]؛ فَيَقَعُ اَلصَّنَمُ عَلَى ضَهْرِهِ اوْ وَجْهِه[٢].

وَقَدْ افْرَدْتُ فِي اِلرِّحْلَةِ بَاباً فِي ذِكْرِ اِلاَصنَامِ وَحَكَيَاتَ عَلَيْهَا؛ وَلَمْ نَذْكُرْ هُنَا إِلاَّ وَاحِدَةَ مِنْهَا وَهِيَ:

اِنَّ اَلْفَقِيه عَلِي بَنْ مُحَمَّدْ اَلْبَرْجِي اَلاَنْدَلُسِي - رَحِمَهُ اَللِّهُ - ذَكَرَ لِي بِمَرَّاكُشْ أَنَّ بِقُرْبِ اَلْبَلَدِ (١٥٢أ) اَلَّذِي كَانَ سَاكِناً فِيهِ - فِي زَمَانِنَا هَذَا - كَانَ مُسْلِمٌ أَسِيرًا اَسْمُهُ آحْمَدُ وَسَيِّدُهُ فَلاَنْ - ذَكَرَ إِسْمَ مَرْتَبَتِهِ مِثْلُ مرْكِشْ اَوْ قُنْد - وَلَهُ بُلْدَانٌ مِلْكٌ لَهُ؛ وَفِي قَرْيَةٍ مِنْ بِلاَدِه اتَفَقَ اَعْيَنُ سكَّانِهَا عَلَى شِرَاءِ صَنَمٍ. وَبَعدَ شِرَائِهِ فِي بَلَدٍ اخَر ظَهَرَ لَهُمْ اَنَّ اَحْمَدَ اَلْمُسْلِمُ يَبْعَثُونَهُ لِيَأتِيَهِم بِالصَنَمِ؛ وَأَعْطَوْهُ حِمَاراً؛ وَمَشَى وَوَضَعَ اَلصَّنَمَ عَلَيْهِ وَهُوَ يُمْسِكُهُ اِلَى اَنْ خَرَجَ اِلَى اَلطَّرِيقْ وَلَمْ يَرَ اَحَدَا مِنَ اَلنصَّارَى، قَالَ لِلْصَنَمِ: وَاللَّهِ مَا نَحْمِلُكَ اِلاَّ مَرْبُوطاً مَجْرُوراً عَلَى اَلاَرْضِ، وَرَبَطَهُ بِحَبْلٍ فِي اِلْحِمَارِ بَعدَ أَنْ اَطْرَحَهُ عَلَى اَلاَرْضِ؛ وَرَكِبَ اَحْمَدُ وَمَشَى.

وَلَمَّا قَرُبَ مِنَ اَلقَرْيَة فَكَانَ اَلَّذِينَ بَعثُوهُ يَنْتَظِرُونَ اَلصَّنَمَ وَرَأَوْ اَحْمَداً رَاكِباً وَالصَّنَمَ مَجْرُورًا عَلَى اَلاَرْضِ فَاسْرَعُوا جَمِيعَاً وَعَرَّوْ

---

[١] سورة الإسراء ٨١.

[٢] الحديث في **المعجم الكبير** للطبراني ٢٧٩/١٠.

رُءُوسَهُمْ تَعْظِيماً لِلْصَنَمِ؛ وَهُمْ يَمْسَحُونَهُ وَيَبْكُونَ عَلَى مَا أَصَابَهُ. وَقَبَضُوا الْمُسْلِمَ أَحْمَدَ؛ وَهُمْ يَنْظُرُونَ بَيْنَهُمْ مَاذَا يَصْنَعُونَ بِهِ؟ هَلْ يَقْتُلُونَهُ أَوْ يَضْرِبُونَهُ؟

وَاتَّفَقَ نَظَرُهُمْ أَنَّهُمْ يَحْمِلُونَهُ إِلَى سَيِّدِهِ وَمَوْلَى بَلَدِهِمْ (٥٢ ب) لِيَقْتُلَهُ وَمَشَوْا بِهِ جَمِيعاً، وَبِبَرَكَةِ مَا جَاهَدَ فِي الصَّنَمِ، قَالَ لَهُمْ سَيِّدُهُمْ - بَعْدَ أَنْ اشْتَكَوْا إِلَيْهِ بِهِ -: أَنْتُمْ تَسْتَحِقُّونَ أَشَدَّ الْعُقُوبَةِ إِذْ بَعَثْتُمْ مُسْلِماً يَأْتِيكُمْ بِالصَّنَمِ؛ فَهُوَ عَمِلَ بِمُقْتَضَى دِينِهِ. وَبَقِيَ أَحْمَدُ سَالِماً فَارِحاً ضَاحِكاً عَلَيْهِمْ وَهُمْ فِي خِزْيٍ وَهَمٍّ وَذُلٍّ؛ وَإِلَهُهُمْ مَجْرُورٌ.

وَأَمَّا مَعْنَى مَا قَالَ فِي النَّصِّ: "لاَ تُصَوِّرُوا صُوَراً مِنْ صُوَرِ السَّمَاءِ وَلاَ مِنْ صُوَرِ الأَرْضِ" الْمَفْهُومُ: لاَ تُصَوِّرُوا شَيْئاً مِمَّا فِيهِ رُوحٌ - وَاللَّهُ أَعْلَمُ - وَالْمَجُوسُ تُصَوِّرُ الدَّرَارِي السَّبْعَةِ لِكُلِّ وَاحِدٍ عَلَى صُورَةِ رَجُلٍ أَوْ حَيْوَانٍ. وَمَا زَالَتْ النَّصَارَى الآنَ تُصَوِّرُ تِلْكَ الصُّوَرِ فِي كُتُبِ التَّنْجِيمِ؛ فَيُصَوِّرُونَ زُحَلاً عَلَى هَيْئَةِ رَجُلٍ شَيْخٍ كَبِيرٍ بِمَنْجَلٍ فِي يَدِهِ يَحُوشُ الأَرْوَاحِ؛ وَالْمُشْتَرِي عَلَى هَيْئَةِ رَجُلٍ قَاضِي؛ وَالْمَرِيخُ عَلَى صُورَةِ رَجُلٍ بِسَيْفٍ فِي يَدِهِ؛ وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنَ السَّبْعَةِ بِمَا يُنَاسِبَهُ.

وَأَمَّا صُورَةَ الْبُرُوجِ فَإِنَّ مِنْهَا صُورَةَ الْكَبْشِ لِلْحَمَلِ وَصُورَةُ ثَوْرٍ لِبرْجِ الثَّوْرِ وَصُورَةُ الْجَوْزَا وَالسَّرَطَانِ وَالأَسَدِ وَعَقْرَبٍ وَجَدْيٍ وَحُوتٍ وَيَكُونُ الْمَنْعُ بِسَبَبِ (٥٣أ) ذَلِكَ لأَنَّهَا صُوَرُ أَشْيَاءِ لَهَا أَرْوَاحُ فِي الْوُجُودِ.

وَأَمَّا صُورَةُ نُجُومٍ أَوْ شَجَرٍ مِنَ الأَرْضِ وَأَشْيَاءِ مِمَّا لاَ رُوحَ فِيهَا فَلاَ يَظْهَرُ أَنَّ ذَلِكَ مَمْنُوعٌ.

وقَدْ قَالَ لِي بَعْـضُ اَلرِّهْبَـانِ: اَنْتُـمْ تُصَـوِّرُونَ اَلْـوَرْدَ وَاَلاَشْـجَارْ، قُلْـتُ: اَلنِّـصُ لَيْـسَ بِمَـانِعٍ لِصُـورِ اِلْجَمَـادَات وَالاَشْـجَارِ؛ اِنمَّـا الْمَنْـعَ تَصْوِيرِ شَيْءٍ يَشْبِهُ شَيْئاً حَيّاً.

وَأَمَّا اَلْمَسْئَلَةُ اَلَتِي جِئنَا اِلَيْهَا بِكِتَـابِ اِلسُّلْطَان لِقَبْضِ اَلرُّيَّـاسِ اِلَّذِيـنَ نَـهَبُوا اَلاَنْدَلُسْ وكَانُوا بِاُولُونَـهَ فَلَمْ نَقْضِ شَيْئاً هُنَـالِكَ؛ وَأَظُـنٌ اَنّ قَـايِدَ اَلطَابِعِ قَبَضَ مِنْهُمْ شَـيْئاً لِنفْسِـهِ. وَأَرَدْتُ اَلْقُـدُوم مِنْ عِنْـدَهُ؛ وَطَلَـبَ مِنِّي اَنْ نَتْرُكَ لَهُ كِتَابَ اَلسِّلْطَان؛ وَأَبَيْـتُ اَنْ نَتْرُكَـهُ لَـهُ وَمَشَـيْنَا مِـنْ هُنَالِكَ اِلَى مَدِينَةِ بُرْضِيُوشْ.

اَلْبَــابُ اَلتَّاسِــعُ

فِي قُدُومِنَا اِلَى مَدِينَةِ بُرْضِيُوشْ
وَمَا وَقَعَ لِي فِيهَا مِنَ اَلْمُنَاظَرَاتِ

اَعلَمْ اَنَّهَا مِنْ اَعْظَمِ مُدُنْ فرَنْجَه؛ عَلَى حَاشِيَةِ نَهْرعَظِيمٍ؛ وَفِيهَا ثَمَانُونَ قَاضِياً وَمِائَتَانِ وَكِيلاً؛ وَالْمُفْتِوُنَ وَالْكُتَّابُ (٥٣ ب) بِلاَ حِسَابٍ. وَفِيهَا دِيوَانٌ يَحْكُمُ عَلَى كَثِيرٍ مِنْ اَلْبُلْدَانِ.

وَمِمَّا وقَعَ لِي مَعَ بَعْضِ اِلقَسِّيسِينَ فِي دَارِ قَاضِي اَلاَنْدَلُسْ؛ جَاءَ اِلَيْهَا قَسِيسَانِ لِقَضَاءِ غَرُضٍ؛ وَقِيلَ لَهُمَا عَنِّي اِنِّي مُسلِمٌ.

وَجَاءَانِي وقَالاَ لِي: اَنْتَ مُسْلِمٌ؟

قُلْتُ لَهُمَا: نَعَمْ!

قَالاَ: اَتَعتَقِدُونَ أَنَّ فِي الْجَنَّةِ اَكْلاً وَشُرْبَاً وَتَنَعُمَاً مِثْلُ مَا فِي اِلدُّنْيَا؟

قُلْتُ لَهَمْ: نَعَمْ، وَلاَكِنْ اَفْضَلُ مِمَّا فِي اِلدُّنْيَا.

فَضَحِكَا.

قُلْتُ لَهُمَا: بِمَا تُنْكِرَانِ ذَلِكَ؟

قَالاَ: لاَنَّ مِنْ ثُفْلِ اَلطَّعَامِ تَكُوُنَ اَلنِّجَاسَةُ؛ وَمِنْ اَلْمُحَالِ اَنْ تَكُونَ اَلنِّجَاسَاتُ فِيهَا.

قُلْتُ لَهُمَا: اَمَا عِنْدَكُمْ فِي كُتُبِكُم اِنَّ اَللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى حِينَ خَلَقَ اَبَانَا آدَمُ – عَلَيْهِ اِلسَّلاَمُ – اَذَنَ لَهُ اَنْ يَاكُلَ مِنْ جَمِيعِ اِلْفَوَاكِهِ فِي اِلْجَنَّةِ اِلاَّ مِنْ شَجَرَةٍ وَاحِدَةٍ؟ قَالَ لَهُ: لاَ تَاكُلْ مِنْهَا لاَنَّكَ اِذَا اَكَلْتَ مِنْهَا تَمُوتُ؟

قَالاَ: هَكَذَا هُوَ!

قُلْتُ لَهَمْ: لَوْلاَ اَكَلَ مِنْ اَلشَّجَرَةِ لَكَانَ فِيهَا اِلَى اَلآنْ؟

قَالَ: نَعَمْ هُوَ كَذَلِكَ!

قُلْتُ: فَكَانَ يَاكُلُ مِنَ اَلْفَوَاكِهِ وَلَمْ تَعْمَلْ لَهُ تَفْلاً؛ وَكَذَلِكَ لَوْ بَقِيَ اِلَى اَلاَنَ. وَأَمَّا اَلتُفْلُ مَا كَانَ اِلاَّ مِن فَاكِهَةِ اِلشَّجَرَةِ اَلْمَنْهِي عَنْهَا وَكَذَلِكَ إِذَا رَجِعَ اَبُونَا آدَمُ – عَلَيْهِ السَّلاَمُ – وَجَمِيعِ مَنْ كَانَ مِنْ اَهْلِ اِلسَّعَادَةِ (١٥٤أ) مِنْ اَوْلاَدِهِ يَاكُلُونَ فِيهَا وَلاَ تَخْرُجُ مِنْهُمْ نَجَاسَةٌ اَبَداً.

قَالاَ: اَلْجَنَّةُ اَلَّتِي كَانَ فِيهَا اَبُونَا آدَمُ كَانَتْ فِي اِلاَرْضِ وَاَلَّتِي تَمْشِي اِلَيْهَا اَلنَّاسُ فِي اِلآخِرَةِ هِيَ فِي السَّمَاء[1].

قُلْتُ: مَا كَانَ اَبُونَا اَدَمُ – عَلَيْهِ اِلسَّلاَمُ – اِلاَّ فِي اِلسَّماء؛ لاَنَّ كُلُّ مَا يَكُوُن فِي اِلاَرْضِ لاَ يُسَمَّى بِجَنَّةٍ، لاَنَّهُ مَقْهُورٌ بِالْعَنَاصِرِ اِلاَرْبَعَةِ وَلاَ بُدَّ مِنَ اَلتَّغْيِيرِ بِسَبَبِهَا، وَلاَ بُدَّ مِنْ اَلنُّورِ وَالظُّلْمَةِ؛ وَالْجَنَّةُ لَيْسَ فِيهَا تَغْيِيرٌ وَلاَ ظُلْمَةٌ؛ وَهَذَا بُرْهَانٌ اَنَّ سَيِّدِنَا اَدَم – عَلَيْهِ اِلسَّلاَمُ – كَانَ فِي جَنَّةٍ فِي اِلسَّمَاءِ، فَبُهِتَ اَلَّذِينَ كَفَرُوا[2].

وَاَعْلَمْ اَنَّ اَلنَّصَارَى وَالْيَهُود يَقُولُونَ بِمَا فِي اِلْبَابِ اِلاَوَّلِ مِنَ اَلتَّوْرَيَةِ قَالَ: اِنَّ اِللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى خَلَقَ اَدَمَ – عَلَيْهِ اِلسَّلاَمُ – فِي جَنَّةٍ فِي اِلاَرْضِ؛ وَفِيهَا اَشْجَارٌ تُسْقَى بِمَاءِ عَيْنِ مَاءٍ؛ وَمِنْهُ تَخْرُجُ اَرْبَعَةُ اَنْهَارٌ وَهُمْ: اَلنِّيلُ وَالْفُرَاتُ وَقَيْصُونٌ[3] وَالدِّجْلَةُ. وَهَذِهِ اِلاَنْهَارُ مَعْرُوفَةٌ اَلاَنَ أَنَّ كُلَّ نَهْرٍ فِي بِلاَدٍ مُخْتَلِفَةٍ عَنْ غَيْرِهِ؛ وَمَعْرُوفُ

---

[1] في الأصل: هي فالسماء.

[2] لإشارة للى الآية « فبهت الذي كفر» من سورة البقرة ٢/٢٥٨.

[3] يريد: وجيحون.

اِبْتِدَاؤُهُ وَاِنْتِهَاؤُهُ؛ وَهَذَا دَلِيلٌ اَنّ هَذَا اَلنَّصّ بَاطِلٌ بِالْبُرْهَانِ مِثْلَ اَلشَّمْسِ. وَمَعْنَى اَلاحَادِثُ النَّبَوِيَّةُ فِي ذَلِكَ (٥٤ ب) - وَاَللّهُ اَعْلَمُ - اَنّهَا تَخْرُجُ مِنَ اَلْجَنَّةِ فَيُفْهَمُ ذَلِكَ مِنْ اَلْبَرَكَةِ اِلّتِي اَوْدَعَهَا اَللّهُ تَعَالَى فِيهَا؛ لاَنّ اَلاعْتِقَادَ فِي اِلْجَنَّةِ اِنّهَا فِي اِلسَّمَاءِ لاَ فِي اِلاَرْضِ؛ وَالاَنْهَارُ اِبْتِدَاؤُهَا وَاِنْتِهَاؤُهَا عَلَى اَلاَرْضِ. وَقَالَ فِي بَعْضِ كُتُبِ عَبْدُ اَلْوَهَّابِ اِلشَّعْرانِي - نَفَعَ اَللّهُ تَعَالَى بِهِ - اَنّ سَيِّدَنَا جِبْرِيلَ - عَلَيْهِ اِلسّلاَمُ - نَزّلَ مَاءً مِنَ اَلْجَنَّةِ وَوَضَعَهُ فِي أَمَاكِنَ مِنَ اَلاَرْضِ وَمِنْهَا اِبْتِدَاءُ اِلاَنْهَارِ اِلاَرْبَعَةِ: كُلُّ وَاحِدٍ مُخْتَلِفٌ عَنْ غَيْرِهِ؛ وَاَنّ اَلْجَنَّةَ فِي السَّمَاءِ. وَجَمِيعُ شُرّاحِ اِلرِسَالَةِ قَالُوا : اَنّ مِنْهَا اُهْبِطَا أَبُونَا اَدَمُ - عَلَيْهِ اِلسّلاَمُ -.

وَقَدْ اَمَرَنِي اِلسُّلْطَان مَوْلاَيْ زَيْدَانْ - رَحِمَهُ اَللّهُ - اَنْ اُتَرْجِمَ لَهُ كِتَاباً عَجَمِياً كَبِيراً سَمّاهُ مُؤَلِّفُهُ: بدرَان لِعُظْمِ جَبَلٍ مُسَمًّى بِهَذَا اَلاسْمِ لاَنّه عِنْدَ اَلْجَعْرَافِيُون اَعْظَمُ اَعْظَمُ[1] جِبَال اَلدُّنْيَا اَلْمَعْرُوفَةَ. وَلَمْ نَرَ فِي كُتُبِ اَلْجَعْرَافِيَاتِ مِثْلَهُ؛ وَكَانَ بِلِسَانِ اِلْفَرَنْجِ؛ وَصَاحِبُ اَلْكِتَابِ كَانَ فَرَنْجِياً اَسْمُهُ اَلْقبطَان؛ وَبِلاَدُ اَلدُّنْيَا كُلُّهَا مُصَوَّرَةٌ فِي ذَلِكَ اَلْكِتَابِ بِطُولِ كُلِّ بَلَدٍ وَعَرْضِهِ وَاَلانهَارُ؛ وَكُلُّ نَهْرٍ بِأيّ أَرْضٍ وَمَوْضَعِ مَنْبَعِهُ (٥٥أ) وَاِبْتِدَاؤُهُ؛ وَالْمُدُنِ اَلّتِي عَلَى حَاشِيَتِهِ؛ كُلُّ وَاحِدَةٍ بِأَسْمِهَا؛ وَجَمِيعِ اَلاَبْحُرِ وَالْجُزُرِ وَالاَقَالِيمِ.

وَجَمِيعِ كُتُبِ اَلْجَعْرَافِيَاتِ مُتَفِقُونَ أَنّ بَحْرَ اَلنِيلِ يَخْرُجُ مِنْ جَبَلِ اِلْقَمَرِ؛ وَمَوْضِعِه ثَمَانِ عَشْرَةَ دَرَجَةً مِنْ خَطِّ اَلاسْتِوَاءِ اِلَى جِهَةِ اِلْجَنُوبِ بِبِلاَدِ اِلسّوْدَانِ؛ وَاَلانْهَارُ اَلثّلاَثَةُ فِي غَيْرِ هَذَا اَلْقِسْمِ اَلافْرِيقِي

---

[1] كذا مكررة في الأصل.

اِلَّذِي هُوَ رُبُع اَلدُّنْيَا؛ وَفِيهِ هُوَ اَلنِّيلُ وَلَيْسَ وَاحِدٌ مِنْ اَلثَّلاثَةِ فِي هَذَا اَلرُّبُع؛ وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْ اَلثَّلاَثَةِ فِي قُطْرٍ بَعِيدٍ بَعْضُهَا عَنْ بَعْضٍ. أَمَّا اَلْفَرَاتُ اِبْتِدَاؤُهُ بِقُرْبِ بِلاَدِ اِلْجَرْجَانِ ثُمَّ يَجْتَمِعُ مَعَ وَادِ اِلدِّجْلَةِ اِلَّذِي يَجُوْزُ عَلَى بَغْدَادٍ؛ وَالثَّالِثُ بِبِلاَدِ اِلطَطَرِ؛ وَالرَّابِعُ بِبِلاَدِ اَرْمَانِيَه - كَمَا قَالَ مَنْ يَدَّعِي بِمَعْرِفَةِ اِلدُّنْيَا.

وَقَالَ اَلْقَبِطَانُ اَلْفَرَنْجِي حِينَ بَانَ لَهُ غَلَطَ اَلتَّوْرَيةَ: هَذَا اَلْكَلاَمُ الَّذِي عِنْدَنَا فِي التَّوْرَيةِ عَنِ الاَنْهَارِ اِنَّهَا تَخْرُجُ مِنْ مَوْضِعٍ وَاحِدٍ؛ فَهُوَ بَاطِلٌ وَكَذِبٌ بِالْعِيَانِ؛ لاَنَّ هَذِهِ اِلاَنْهَارُ اَلاَرْبَعَةُ اَلَّتِينَ[1] قَالَ تَخْرُجُ مِنْ عَيْنٍ وَاحِدٍ[2] فَالْخِلاَفُ مِنْ ذَلِكَ فَهُوَ ظَاهِرٌ لِمَنْ يَعْرَفُ مَوَاضِعَ اَلدُّنْيَا؛ اَنْتَهَى.

وَبِهَذَا اَلْبُرْهَانُ (٥٥ ب) اَلظَّاهِرُ اَلْمَوْجُودُ الاَنَ لِكُلِّ مَنْ اَرَادَ اَنْ يَسْتَلَ عَنِ اَلاَنْهَارِ الاَرْبَعَةِ: فِي أَيِّ بَلَدٍ هُوَ اِبْتِدَاؤُهَا فَيَجِدُ ذَلِكَ بِخِلاَفِ مَا قَالَ عَنِ اَلْجَنَّةِ اَنَّهُ كَانَ فِيهَا اَبُونَا اَدَمُ - عَلَيْهِ اِلسَّلاَمُ، وَاِذَا رَأَى وَتَحَقَّقَ مَنْ خَفِيَ عَلَيْهِ ذَلِكَ : أَنَّ كُلَّ مَا ذَكَرَ فِي اِلاَنْهَارِ وَهِيَ اَرْبَعَةٌ؛ تَشْهَدُ شَهَادَةً مُتَّفِقَةً أَنَّ مَنْ قَالَ عَلَيهَا أَنْهَا تَخْرُجُ مِنْ عَيْنٍ وَاحِدٍ فِي اِلْجَنَّةِ فِي اِلاَرْضِ قَالَ اَلْبَاطِلُ؛ فَيَبْطُلُ اَيْضاً كُلُّمَا قَالَ فِي اَبِينَا أَدَم - عَلَيْهِ اِلسَّلاَمُ - اِنَّ اَللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى خَلَقَهُ فِي اِلاَرْضِ.

وَأَمَّا مَا تَقُولُهُ اَلنِّصَارَى وَاَلْيَهُودُ عَنِ اَلجَنةِ اَنْ لَيْسَ فِيهَا شَيْء مِنْ نَعَايِمِ اِلدُّنْيَا مِنَ اِلْمَاكَلِ وَالْمَشْرَبِ وغَيْرُ ذَلِكَ؛ فَقَالُوا اَلْحَقَّ فِي خَاصَتِهِمْ لاَنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ اِذْ هُمْ كُفَّارٌ؛ وَاَلْمُسْلِمُونَ هِيَ لَهُمْ

---

[1] يريد: التي، وقد جمع الحجري «التي» على التين وهو جمع عامي غريب.

[2] كذا في الأصل، والحجري يريد: واحدة.

بِفَضْلِ اِللّٰهِ سُبْحَانَهُ وَشَفَاعَةِ نَبِيِّهِ وَرَسُولِهِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ - صَلَّى اَللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -.

وَقَدْ وَقَعَ لِي كَلَامٌ مِثْلُ هَذَا فِي مَدِينَةِ بُرْضِيُوشْ مَعَ اَلْقَاضِي اِلْمُسَمَّى فَيِّرْضِ؛ وَكَانَتْ مَوَاجِبِي فِي اِلأُمُورِ الشَّرْعِيَةِ عِنْدَهُ؛ وَكَانَ يَنْصِحَنِي كَثِيراً، وَكَانَ يَعْرِفُ اَللِّسَانَ اَلاَنْدَلُسِي اِلْعَجَمِي (٥٦أ) وَقَدْ وَجَبَ لَهُ دَرَاهِمُ كَثِيرَةٌ؛ وَارَدْتُ أَنْ أُخَلِّصَهُ وَلاَ قَبِلَ مِنِّي شَيْئاً.

وَقَالَ لِي: يَا فُلاَنٌ تَعَجَبْتُ مِنْكَ كَيْفَ أَنْتَ عَلَى دِينِ اَلْمُسْلِمِينَ؟

قُلْتُ لَهُ: لِمَاذَا؟

قَالَ: لاَنَّ عِنْدَنَا فِي كُتُبِنَا اِنَّ اَلْمُسْلِمِينَ يَزُورُونَ مَكَّةَ لِيَرَوْ نَبِيِّهُمْ فِي اِلْهَواءِ فِي وَسَطِ حِلْقَةِ حَدِيدٍ فِي الْهَوَاءِ لاَنَّ اَلْحِلْقَةَ فِي اِلْهَوَاءِ فِي وَسَطِ قُبَّةٍ حَجَر[1] اِلْمَغْنَاطِيسِ؛ وَالْمَعْرُوفُ مِنْهُ اَنَّهُ يَجْذِبُ اَلْحَدِيدَ وَالْجَذْبُ فِي اِلْقُبَّةِ عَلَى حَدٍ سَوَاءٍ مِنْ كُلِّ جِهَةٍ وَتَبْقَى اَلْحِلْقَةُ فِي اِلْهَوَاءِ بِنَبِيِّكُمْ، وَالْمُسْلِمُون يَعْتَقِدُونَ أَنَّ ذَلِكَ مُعْجِزَةٌ لِنَبِيِّهِمْ.

قُلْتُ لَهُ: هَلْ يَجُوزُ فِي دِينِكُمْ لاحَدٍ اَنْ يَكْذِبَ، وَاِنْ كَانَ بِنِيَةِ تَقْبِيحِ دِينَ غَيْرِهِ لِتَحْسِينِ دِينِهِ وَتَزْيِينِهِ لاَهْلِ مِلَّتِهِ؟

قَالَ: لاَ يَجُوزُ ذَلِكَ!

قُلْتُ: اَلنِّصَارَى اَلَّذِينَ قَالُوا ذَلِكَ اَذْنَبُوا ذَنْباً كَبِيراً فِي دِينِكُمْ.

قَالَ: كَيْفَ ذَلِكَ؟

قُلْتُ: لأَنَّ اَلنَّبِي - صَلَّى اَللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لَيْسَ هُوَ بِمَكَّةَ وَلَيْسَ هُوَ فِي حِلْقَةِ حَدِيدٍ؛ بَلْ هُوَ مَدْفُونٌ فِي الْمَدِينَةِ، وَبَيْنَهَا وَبَيْنَ مَكَّةَ عَشْرَةَ

---

[1] يبدو أن الحجري لم يكن واثقاً من اللفظة فكتبها: «حَجَر» وأضاف «ا» بعد الجيم لتبدو «حِجَار».

اَيـَامِ؛ وَالْمُسْلِمُونَ يـَزُورُونَ اَلْكَعْبَـةَ لاَنَّهـا دَارٌ[١] مُبَارَكَـةٌ بَنَاهَـا سَـيِّدُنَا (٥٦ ب) اِبْرَاهِيمُ – عَلَيْهِ اِلسَّلاَمُ –.

قَالَ: زُرْتَهَا اَنْتَ وَرَأَيْتَ قَبْرَ نَبِيِّكُمْ تَحْتَ الاَرْضِ؟

قُلْتُ لَهُ: لاَ، وَلَكِنْ اَلَّذِيـنَ مَشَـوْا مِـنْ عِنْدِنَـا يَقُولُـونَ ذَلِكَ مِـنْ غَـيْرِ اِخْتِلاَفٍ؛ وَهِيَ مَسْئَلَةٌ لاَ شَكَّ فِيهَا.

قَالَ: عِنْدَكُمْ مَسْئَلَةٌ أُخْرَى؛ أَنَّكُمْ تَعْتَقِدُونَ أَنَّ اَهْلَ اَلْجَنَّةَ يَـاكُلُونَ فِيهَـا وَيَشْرَبُونَ وَيَتَنَعَمُّونَ بِنِعَمٍ مِثْلَ مَا فِي اِلدُّنْيَا!

قُلْتُ لَهُ: اَمَّا سَيِّدُنَا عِيسَى– عَلَيْهِ اِلسَّلاَمُ – فَلَمْ يُنْكُرْ ذَلِكَ اِذْ قَـالَ فِـي اِلاِنْجِيلِ: «اَمَا مَـاءُ هَـذِهِ اَلشَّـجَرَةِ – اَعْنِـي مَـاء اَلْكَرْمَـةِ – فَـاِنِّي لَـمْ نَشْرُبْ مِنْهُ فِي اِلدُّنْيَا اِلَى اَنْ اَشْرُبَهُ مَعَكُمْ فِي اِلْمَلَكُوتِ».

قُلْتُ لَهُ: هُوَ هَذَا فِي اِنْجِيلِكُمْ؟

قَالَ: نَعَمْ!

قُلْتُ: وَكَيْفَ تَنْكَرُونَ ذَلِكَ؟ لاَنَّ نَعَايِمَ اَلدُّنْيَا دَالَّةٌ عَلَى نَعَايِمِ اِلْجَنَّةِ اِلاَّ اَنَّ اُمُورَ اَلْجَنَّـةِ فِـي غَايَـةِ اَلْكَمَـالِ؛ وَفِيهَـا مَـا لاَ عَيْـنٌ رَأَتْ وَلاَ أُذُنٌ سَمِعَتْ وَلاَ خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ؛ وَسَيِّدُنَا عِيسَـى – عَلَيْـهِ اِلسَّـلاَمُ – ذَكَرَ اَلشُّرْبَ فِي اِلْجَنَّةِ كَمَـا كَـانَ يَعْلَمُـهُ وَيَعْتَقِـدَهُ اَنَّ فِـي اِلْجَنَّـةِ اَكْـلاً وَشُرْبَاً.

وَبَقِيَ اَلْقَاضِي يُفَتِّشُ فِي نَفْسِهِ مَا يَقُولُـهُ؛ وَلَمْ يَجِدْ، وَكَـانَ مِـنْ اَكَـابِرِ عُلَمَائِهِمْ.

---

[١] في الأصل: "دار مباركة "، وكتب الحجري " بيت " تحت كلمة "دار" ولم يغيّر "مباركة" إلى "مبارك" .

وَهَذَا هُوَ اَلنِّصُ فِي اِلاَنْجِيلِ (١٥٧) قَـالَ مَتَّى فِـي اِلْبَـابِ التَّاسِعِ وَثَمَانِينَ: «وَفِيمَا هُمْ يَاكُلُونَ اَخَذَ يَصُوعُ خُبْزاً وَشَكَرَ وَكَسَرَ وَاَعْطَـى تَلاَمِذَهُ وَقَالَ: خُذُوا كُلُوا هُوَ جَسَـدِي؛ وَأَخَـذَ كَاساً وَشَـكَرَ وَاَعْطَـاهُمْ وَقَالَ: اَشْرَبُوا مِنْ هَذَا كُلُّكُمْ لاَنَّ هَذَا هُوَ دَمِي؛ اِلْعَهْـدِ اِلْجَدِيـدِ اَلَّذِي يُهْرَقُ عَنْ كَثِيرٍ لِمَغْفِرَةِ اِلْخَطَايَا؛ وَأَقُولُ لَكُمْ: اِنِّنِي لاَ اَشْرَبُ عَصِـيرِ هَذِهِ اِلْكَرْمَةِ حَتَّى اِلَى ذَلِكَ اَلْيَوْمِ الَّذِي اَشْرُبُهُ مَعَكُمْ جَدِيداً فِي مَلَكُوتِ اَبِي». وَاَيْضاً قَالَ مَرْقُشَ فِي بَابِ سِتِّتِ وَاَرْبَعِينَ: «اَلْحَقُّ اَقُولُ لَكُـمْ اِنِي لاَ اَشْرَب عَصِير هَذِهِ اِلْكَرْمَةِ حَتَّى اِلَى ذَلِكَ أَلْيَـوْمِ حِيْـنَ نَشْـرُبُهُ جَدِيدًا فِي مَلَكُوتِ اِللهِ»[1] اَنْتَهَى.

وَعِنْدَهُمْ فِـي اِلاَنْجِيـلِ اَيْضَـاً: قَـالَ اَنَّ اَلْيَهُـودَ جَـاءُوا اِلَـى سَـيِّدِنَا عِيسَى - عَلَيْهِ السَّـلاَمُ - عَلَـى وَجْـهِ اِلضَّـادِّ لَـهُ، وَسَـأَلُوهُ؛ قَـالَ لُقَـا اَلْمُنَجِيلِـي فِـي اِلْبَـابِ اِلثَّـانِي وَالسَّبعِين؛ قَـالَ: «قَـالَ اَلْيَهُـودُ اِمْـرَأَةٌ تَزَوَّجَهَا سَبْعَةُ اِخْوَةٌ؛ وَاحِـدٌ بَعْدَ وَاحِدٍ وَمَاتَتْ اَلْمَـرأَةُ؛ فَفِـي اِلْقِيامَـةِ لِمَنْ (٥٧ ب) مِنْهُمْ تَكُونُ زَوْجَةً؟ لاَنَّ السَّبْعَةَ قَدْ تَزَوَّجُوهَا، فَقَالَ لَهُمْ سَيِّدُنَا عِيسَى: اَمَّا بَنُوا هَذَا الدَّهْرِ فَيَتَزَوَّجُونَ وَيَزْوَجُونَ؛ وَأَمَّا اُولاَئِكَ اَلَّذِيـنَ اَسْـتَحِقُّوا ذَلِكَ اَلدَّهْرَ وَاَلْقِيَامَـةِ، الاَمْـوَاتُ، لاَ يَـتَزَوَّجُونَ وَلاَ يَزَوِّجُـونَ لاَنَـهُمْ لاَ يَمُوتُـونَ بَـلْ يَصِـيرُونَ مِثْـلَ اَلْمَلاَئِكَـةِ اِلْكِـرَامِ؛ وَيَصِيرُونَ اَبْنَاءِ اِللهِ وَبَنِي اِلْقِيَامَةِ» اَنْتَهَى.

هَـذَا اَلسُّـؤَالُ كَمَـا يُقَـالُ اَنَّ اِبْلِيسَ - لَعَنَـهُ اللَّـهُ - سَـأَلَ سَـيِّدِنَا اِدْرِيس - عَلَيْهِ اِلسَّلاَمُ -: هَلْ يَسْـتَطِيعُ اَللَّـهُ تَعَـالَى اَنْ يَجْعَـلَ اِلدُّنْيَـا كُلِّهَـا فِـي قِشْـرَةِ بَيْضَـةٍ؟ وَعَرَفَـهُ - عَلَيْـهِ اِلسَّـلاَمُ - وَجَاوَبَـهُ عَلَـى

---

[1] ١٤: ٢٥.

مُقْتَضَى عِنَادِهِ؛ وَكَذَلِكَ كَانَ جَوَابُ سَيِّدِنَا عِيسَى – عَلَيْهِ السَّلاَمُ – لِلْيَهُودِ. وَالنَّصَارَى الْمُشْرِكُونَ أخذُوا بِهَذَا الْجَوَابُ وَتَرَكُوا النَّصَ الأوَّلَ.

ثُمَّ قَالَ لِي الْقَاضِي: اعْلَمْ انَّ لِي شَيْخاً كَبِيراً وَهُوَ قَاضِي بَقِيَ فِي بِلاَدِكُمْ سِنِينَ وَقَالَ لِي: انَا اقُولُ لَكَ تَمْشِي عِنْدَهُ؛ وَكَّدَ عَلَيَّ فِي ذَلِكَ؛ قُلتُ لَهُ: نَمْشِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ؛ وَبَعدَ (٥٨أ) ذَلِكَ بِأيَّامٍ قَالَ لِي: لاَ بُدَّ أنْ تَمْشِي عِنْدَهُ؛ فَمَشَيْتُ عَلَى غَرَضِهِ وَالْتَقَيْتُ بِهِ فِي دَارِهِ؛ وَهُوَ مِنْ نَحْوَ الثَّمَانِينَ سَنَةً.

فَلَمَّا عَرَفَنِي قَالَ لِي – بَعْدَ انْ اقبَلَ عَلَيَّ وَاظْهَرَ الْفَرَحَ وَجَلَسْتُ مَعَهُ – قَالَ لِي: كُنْتُ بِبِلاَدِكُمْ نَحْوَ الْخَمْسَ سِنِينَ فِي الْقُسْطَنْطِينِيَةِ؛ وَسَألْتُ عَنْ نَبِيِّكُمْ وَذَمُّوهُ لِي!

قُلْتُ: لِمَنْ سَألْتَ عَنْهُ؟ لانَّ الْمُسْلِمِينَ عِنْدَهُمْ خَبَرَهُ مِنْ حِينَ خُلِقَ وَمَنْ أرْضَعَتْهُ مِنَ النِّسَاءِ وَأيْنَ مَكَثَ وَالَى ايِّ بَلَدٍ سَافَرَ وَمَا عَمَلَ مِنْ الْغَزَوَاتِ وَمَا قَالَ مِنَ أحَادِيثٍ وَالاوَامِرِ وَالنَّوَاهِي وَالْوَصَايَا وَمَا عَمِلَ مِنَ الْمُعْجِزَاتِ وَمَعَ مَنْ تَزَوَّجَ مِنَ النِّسَاءِ إلَى انْ مَاتَ؛ وَانْتُمْ لَيْسَ لَكُمْ خَبَرُ سَيِّدِنَا عِيسَى – عَلَيْهِ السَّلاَمُ – ايْنَ كَانَ وَايْنَ سَافَرَ مِنْ بَعْدِ انْ بَلَغَ ثَلاَثَةِ عَشْرَةِ سَنَةً إلَى ثَلاَثَ وَثَلاَثِينَ؛ الَّتِي تَقُولُونَ انَّهُ صُلِبَ.

قَالي: دِينُنَا هُوَ دِينُ الْحَقِّ لانَّهُ مَاتَ لِيُخَلِّصَ الذَّنْبَ ألاوَّلَ عِنْ سَيِّدِنَا ادَمْ – عَلَيْهِ السَّلاَمُ – وَعَنِ الْجَمِيعِ بِسَبَبِ الْفَاكِهَةِ الَّتِي نَهَاهُ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا فَاكَلَهَا.

قُلْتُ: نَحْنُ عِنْدَنَا خَلَاصٌ لِمَا وَرِثْنَا مِنَ الْفَاكِهَةِ خَيْرٌ مِنْ خَلَاصِكُمْ (٥٨ب) لانَّكُمْ تَقُولُونَ انَّ وَاحِداً وَهُوَ سَيِّدُنَا عِيسَى- عَلَيْهِ السَّلَامُ - خَلَّصَ عَنِ الْجَمِيعِ؛ وَنَحْنُ نُخَلِّصُ كُلُّ وَاحِدٍ عَنْ نَفْسِهِ.

قَالَ: كَيْفَ هُوَ خَلَاصُكُمْ ؟

قُلْتَ لَهُ: ابُونَا ادَمُ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - كَانَ فِي الْجَنَّةِ وَمَا كَانَ يَخْرُجُ مِنْ جَسَدِهِ شَيْءٌ مِنَ الْفَضَلَاتِ حَتَّى اكَلَ مِن الشَّجَرَةِ الَّتِي أُمِرَ بِتَرْكِهَا صَارَ يَخْرُجُ مِنْ جَسَدِهِ مَا لاَ كَانَ لَهُ قَبْلُ.

قَالَ: نَعَمْ؟

قُلْتُ : فَهَذِهِ الْفَضَلَاتُ الَّتِي تَخْرُجُ مِنَّا هِيَ الَّتِي وَرِثْنَا بِسَبَبِ الشَّجَرَةِ؛ وَاعْلَمْ انَّهُ فَرْضٌ فِي دِينِنَا عَلَى كُلِّ مُكَلَّفٍ بَالِغٍ؛ ذَكَراً كَانَ اوْ أُنْثَى؛ أَنَّهُ يُصَلِّي لِلَّهِ تَعَالَى فِي كُلِّ يَوْمٍ خَمْسَ صَلَوَاتٍ؛ وَمِنْ شُرُوطِ فَرَائِضِهَا انْ يَكُونَ طَاهِراً بِوُضُوءٍ؛ لانَّهُ لاَ يَدْخُلُ لِحَضْرَةِ الْمَوْلَى الاَّ بِوُضُوءٍ؛ وَالْوُضُوءُ مُطَهِّرٌ لِلْجَسَدِ مِمَّا وَرِثَ مِنَ الْفَاكِهَةِ الْمَذْكُورَةِ؛ وَأَحْدَثَتْ فِي الْجَسَدِ النَّجَاسَاتِ فَيَغْسِلُ الانْسَانُ مَوَاضِعَ النَّجَاسَةِ فِي الْجَسَدِ؛ ثُمَّ يَغْسِلُ يَدَيْهِ لاجلِ أَنَّ ابَانَا ادَمُ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - مَدَّ يَدَهُ إِلَى الْفَاكِهَةِ الَّتِي نَهَاهُ اللَّهُ عَنْهَا؛ وَفَمَهُ لانَّه أَكَلَ مِنْهَا؛ وَانْفَهُ (٥٩أ) لانَّهُ اسْتَنْشَقَ الْفَاكِهَةِ؛ وَوَجْهَهُ لانَّهُ تَوَجَّهَ الَيْهَا؛ وَيَمْسَحُ بِرَاسِهِ لانَّهُ دَخَلَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ؛ وَأُذُنَيْهِ لانَّه سَمِعَ بِهِمَا مَا قِيلَ لَهُ فِي الْفَاكِهَةِ عَكْسِ مَا قِيلَ لَهُ اوَّلاً؛ وَرِجْلَيْهِ لانَهُ سَعَى بِهِمَا الَى الشَّجَرَةِ؛ وَالْمَوَاضِعَ كُلَّهَا يَغْسِلَهَا بِالْمَاءِ الطَّاهِرِ لانَّ فِي الدُّنْيَا لَيْسَ شَيْءٌ لِلْطَهَارَةِ مِثْلَهُ؛ حِينَئِذٍ يَدْخُلُ الانْسَانُ يُنَاجِي رَبَّهُ وَهُوَ فِي الْحَالَةِ الَّتِي كَانَ ابُونَا ادَمُ قَبْلَ انْ اكَلَ مِنَ الْمَنْهِي عَنْهُ. وَتَدُوم هَذِهِ الطَّهَارَةُ

حَتَّى يَخْرُجُ مِـنَ الانْسَـانُ شَـيْءٌ مِمَّـا ورِثَ؛ فَيَحْتَـاجُ يَتَوَضَّـأ؛ وَهَـذَا خَلاَصٌ خَيْرٌ مِنْ خَلاَصِكُمْ، وَانْتَ قَاضِي تَدْرَكُ الْحَقّ بِعَقْلِكَ؛ فَـالَّذِي يُخَلِّصُ عَنْ نَفْسِهِ فَهُوَ بِهَذَا الْعَمَلُ يَدْخُلُ فِي الصَّلاَةِ، وَمَنْ لاَ يُصَلِّـي وَلاَ يَتَوَضّى يُطَلِّبُ بِذَلِكَ، وَانْتُمْ تَقُولُـونَ: انَّ سَيِّدُنَا عِيسَـى - عَلَيْـهِ السَّلاَمُ - يُخَلِّصَ عَنِ الْجَمِيعِ.

فَتَعَجَبَ الْقَاضِي وَقَالَ: ابَداً مَا سَمِعْتُ مَنْ قَالَ هَذَا الْكَلاَمُ.

وَغَيْرُ ذَلِكَ مِمَّا تَكَلِّمْنَا؛ وَلَمْ نُثْبِتْ الاَّ لِهَذَا.

وَالْسِرُّ فِي الْوَضُـوءِ عَلَى هَـذَا الْوَجْهِ الَّذِي ذَكَرْتُ؛ كُنْتُ قَـرَأتُ ذَلِكَ (٥٩ ب) بِبِلاَدِ الاَنْدَلُسْ قَبْلَ خُرُوجِي مِنْهَـا فِـي كِتَـابِ يُسَـمَّى: بِمُخْتَصَـرِ جِبْرِيل وَكَـانَ فِيـهِ انَّ الْمَنِـي وُجِـدَ فِـي ابِينَـا ادَمْ - عَلَيْـهِ السَّلاَمُ - بَعْدَ أنْ اكَلَ مِنَ الشَّجَرَةِ؛ وَانَّهُ يَخْرُجُ مِنْ تَحتِ كُـلِّ وَبْـرَةٍ مِنْ جَمِيعِ الْجَسَدِ؛ وَلِذَلِكَ وَجَبَ غُسْلُهُ جَمِيعاً[١].

ثُمَّ الْتَقَيْتُ بَعْدَ ذَلِكَ بِأَيَّامٍ بِابْنِ أَخِي الْقَاضِي - وَهُوَ الَّذِي قَالَ لِـي انْ امْشِي الَى عَمِّهِ - وَلَمَّـا انْ رَآنِـي قَـالَ لِـي: رُدَّ بَـالِكَ، انَّ عَمِّـي شَيْخٌ كَبِيرٌ فَدَعْـهُ عَلَى دِينِهِ لاَ تَرُدَّهُ مُسْلِمَاً!

قُلْتُ لَهُ: انتَ اكَّدْتَ عَلَيَّ الْقُدُومَ الَيْهِ!

قَالَ: هُوَ يَطْلُبُ مِنْكَ انْ تَمْشِي لَـهُ وَلَكِـنْ رَأنِـي وَصَيِّتُـك؛ وَلاَ ادْرِي الاَنَ هَلْ رَجَعْتَ الَيْهِ امْ لاَ.

وَقَدْ وَقَعَ لِي كَلاَمٌ بِالْمَدِينَةِ الْمَذْكُورَةِ مَعَ رَجُلٍ مُفْتِي؛ قَـالَ لِـي يَوْمَـاً: مَاذَا تَقُولُونَ فِي عِيسَـى - عَلَيْهِ السَّلاَمُ؟

قُلْتُ: انَهُ نَبِيٌّ رَسُولُ اللَّهِ!

---

[١] الحديث في **الكامل** لابن عدي ٢/١٩٣.

قَالَ: مَا تَقُولُونَ اَنَّهُ اِبْنَ اللّهِ حَقِيقَةً؟

قُلْتُ لَهُ: مَا نَقُولُ ذَلِكَ!

قَالَ: فَمَنْ كَانَ اَبُوهُ؟

قُلْتَ: اَلّتِي كَانَتْ أُمُّ حَوَى كَانَ أَبُوهُ!

قَالَ: بَيِّنْ مَا قُلْتَ لانِّي مَا فَهِمْتُ مَا قُلْتَهُ عَنْ أُمِّنَا حَوَى!

قُلْتُ لَـهُ: اَعلَـمْ اَنَّ اَلْخِلْقَـةَ الاِنْسَـانِيةَ هِـيَ عَلَـى اَرْبَعَـةِ اَقْسَـامٍ: اَلْقِسْـمْ اَلاَوّلُ: خَلَقَ اَللّهُ تَبَارَكَ (٦٠أ) وتَعَالَى اَبَانَا اَدَمَ – عَلَيْهِ اِلسّلاَمُ – مِنْ غَيْرِ اَبَوْين؛ وَخَلَقَ أُمَنَا حَوَى مِنْ غَـيْرِ أُمٍّ؛ وَخَلَـقَ سَـائِرَ اَلْنَّـاسِ مِـنْ اَبَوْين؛ وَخَلَقَ سَيِّدِنَا عِيسَى – عَلَيْـهِ اِلسَّـلاَمُ – مِـنْ أُمٍّ لَيْـسَ لَـهُ أَبٌ؛ كَمَا خَلَقَ اُمَّنَا حَوَى لَيْسَ لَهَا أُمٌ؛ وَلِذَلِكَ قُلْتُ لَـكَ حِيـنَ سَـأَلْتَنِي: مَـنْ كَانَ اَبُوهُ؟ قُلْتُ: أَنَّ اَلّتِي كَانَتْ أُمٌّ حَوَى كَانَ اَبُوهُ.

ثُمَّ قُلْتُ لَهُ: هَلْ تَرَى أَنَّ قُدْرَةَ اَللّهِ تَعَالَى صَالِحَةٌ لاكْـثَرَ مِـنْ ذَلِـكَ اَمْ لاَ؟

قَالَ: نَعَمْ!

حِينَئِذٍ قَالَ لِلْحَاضِرِينَ مِن اَلنِّصَارَى: أَنْ يَشْهَدُوا عَلَيْهِ أَنَّـهُ نِصرَانِـي يَامَنْ بِكُلِّ مَا فِي دِينِهِمْ فِي الدّارِ اِلّتِي فِي رُومَةَ وَمَـعَ ذَلِـكَ اَقُـولُ اَنَّ هَذَا اَلْكَلاَمُ اَلّذِي قَالَهُ اَلْمُسْلِمُ فِيهِ مَا يُسْمَعُ وَهُوَ كَـلاَمٌ عَظِيـمٌ؛ اَوْ قَـالَ اَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ حَتّى قَالَ لَهُ اَلْحَاضِرُونَ مِن اَلنِّصَارَى: لاَ يُقْبَلْ ذَلِـكَ. فَزَادَ عَلَيهِمْ هُوَ بِمَا بَانَ لَهُ مِنَ اَلْحَقِّ.

وَاَيْضاً كُنْتُ لَيلَةً بِبَابِ طَبِيبٍ صَيْدَلاَنِ – لانّ بِتِلْكَ اَلْبِلاَدِ؛ بَـلْ بِبِـلاَدِ اَلنِّصَارَى كُلِّهَا؛ جَمِيعُ دَكَاكِينِ اِلْبَيعِ وَالشِرَاء (٦٠ب) لَمْ يَسُدُّوهَا اِلَـى

اَنْ يَجُوزَ وقْتُ اَلْعِشَاءِ اِلاَخِرَةَ - وكَانَ بَعْضُ اَلنِّصَارَى فِي كَلاَمٍ مَعِي فِي الدِّينِ وَفِي مُعْجِزَاتِ سَيِّدِنَا عِيسَى - عَلَيْهِ اِلسَّلاَمَ.

قُلْتُ لَهُمْ: اَلْمُعْجِزَةُ هِيَ خَارِقَةٌ لِلْعَادَةِ؛ يَخْلُقَهَا اَللَّهُ تَعَالَى عَلَى يَدَيْ اَلاَنْبِيَاء وَالصَّالِحِينَ.

وقَالَ وَاحِدٌ مِنَ اَلْعَلَماءِ اَلْكُفَّارِ: اَلْمُعْجِزَاتُ اَلَّتِي ظَهَرَتْ عَلَى يَدَيْ سَيِّدِنَا عِيسَى هُوَ كَانَ يَعْمِلُهَا!

وَرَأَيْتُ بَعْدَ ذَلِكَ وَاحِداً مِنْ اَصْحَابِي خَرَجَ مِنْ بَيْنَنَا بِسُرْعَةٍ؛ فَسَأَلْتُهُ بَعْدَ ذَلِكَ لِمَاذَا خَرَجَ وَذَهَبَ؟ قَالَ: لانِي حِينَ سَمِعْتُ اَلنَّصرَانِي يَقُولُ اَنَّ اَلْمُعْجِزَاتِ اِلَّتِي ظَهَرَتْ عَلَى يَدَيْ سَيِّدِنَا عِيسَى - عَلَيْهِ اِلسَّلاَمُ - هُوَ عَمَلَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ خِفْتُ مِنَ اَلدَّارِ اِلْعَالِيَةِ اِلَّتِي كُنَّا بِبَابِهَا اَنْ تَقَعَ عَلَيْنَا بِسَبَبِ مَا قَالَ.

وقَدْ قَالَ بَدْرُسْ اِلَّذِي كَتَبَ رُبُعَ اَلانْجِيلِ فِي رِسَالَتِهِ فِي اِلْبَابِ اِلثَّانِي فِي اَلْمَقَالَةِ اِلثَّانِيَةِ وَالْعِشْرِينَ: "يَا بَنِي اِسْرَائِيلَ عِيسَى اَلنَّصَارِي ذَكَرٌ مُزَكَّى مِنَ اللَّهِ بَيْنَكُمْ فِي مُعْجِزَاتٍ وَعَلاَمَاتٍ عَمَلَهَا (١٦١أ) اَللَّهُ فِيمَا بَيْنَكُمْ عَلَى يَدَيْهِ كَمَا فِي عِلْمِكُمْ "؛ اَنْتَهَى. اُنْظُرْ هَذَا اَلْقَوْلَ الصَّرِيحَ اَلْمُوافِق لِدِينِنَا وَاِعْتِقَادِنَا اَلَّذِي قَالَهُ مَنْ كَتَبَ رَبُعَ اَلانْجِيلِ بِخِلاَفِ نَصَارَى هَذَا اَلزَمَنْ.

وَقَدْ مَشَيْتُ اِلَى مَدِينَةِ طُلُوشَهْ، وَهِيَ مِنَ اَلْمُدُنِ اَلْكِبَارِ بِفَرَنْجَه عَلَى شَاطِيِ اِلنَّهْرِ اِلْعَظِيم اَلَّذِي يَمُرُّ مِنْهَا اِلَى بُرْضِيُوشْ وَبَيْنَ اَلْمَدِينَتَينِ نَحْوَ اَلثَّلاَثَةِ اَيَّامٍ؛ وَعَزَمْتُ نُوَلِّي مِنْهَا اِلَى بُرْضِيُوشْ عَلَى اَلنَّهْرِ فِي قَارِبٍ. وَلَيْلَةٌ قَبْلَ يَوْمِ اِلسَّفَرِ رَأَيْتُ فِي النَّوْمِ جَمَاعَةُ شَيَاطِينِ تَدُورُ بِي مِنْ كُلِّ جَانِبٍ فَجَعَلْتُ اَقْرَا: " قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ" وَاَشِيرُ إِلَيْهِمْ فَتَهْرُبُ

اَلشَّيَاطِينُ عَنِّي ثُمَّ تَرْجِعُ اِلَيَّ وَاَنَا اَعِيدُ قِرَاءَةَ اَلسُّورَةَ وَتَذْهَبُ عَنِّـي٠ فَـأَصْبَحْتُ مُتَغَيِّرًا مِـنْ اَجْلِ الرُّءْيَـا؛ وَقُلْـتُ: اَلشَّـيَاطِينُ اَعْـدَاءٌ فِـي التَّاوِيلِ، وَرَكِبْتُ فِي اِلْقَارِبِ وَنَوَيْتُ نَقْرًا فِي ذَلِكَ اَلْيَوْمِ سُورَةَ "قُلْ هُوَ اَللّٰهُ اَحَدٌ" اَلْف مَرَّةٍ؛ وَنَدْعُ اللّٰهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِبَرَكَتِهَا يَدْفَعُ عَنِّـي شَـرَّ اَلاَعْدَاءِ٠

وَكَانَ اَلْقَارِبُ عَامِراً بِالرِّجَالِ وَبَيْنَهُمْ قَسِيسَانِ مُتَرَهِبَانِ؛ وَعَرَفَنِي وَاحِدٌ مِنْ اَلَّذِينَ كَانُوا بِالْقَـارِبِ (٦١ب) وَكُنْـتُ - كَمَـا تَقَـدَمَ - مِـنْ حِينَ دَخَلْتُ رَوَانَا لَبَسْتُ لِلْضَرُورَةِ لِبَاسَ اَلْفَرَنْجِ؛ وَذَكَرَنِـي لِلْقَسِيسِ؛ فَنَادَانِي وَقَالَ لِي: اَجْلِسْ بِإِزَاءِي فَجَلَسْتُ.

فَقَالَ لِي: اَنْتَ مُسْلِمٌ؟

قُلْتُ: مُسْلِمٌ لِلّٰهِ اِلْحَمْدُ!

وَكَانَ يَتَكَلَّمُ بِلِسَانِ اِلطِّلْيَانُ وَهُوَ قَرِيبٌ جِدًّا مِـنْ لِسَـانِ بِـلاَدِ اَلاَنْدَلُـسْ اَلْعَجَمِي٠

قَالَ لِي: لَقَيْتُ فِي اَلْبُنْدُقِيَة بَعْضًا مِنْ اَهْلِ دِينِكُمْ وَرَاَيْتَهُمْ يَعْمَلُونَ شَيْئاً كَأَنَهُ عَبَثٌ لاَ اَصْلَ لَهُ فِي دِينٍ.

قُلْتُ: مَاذَا رَأَيْتَ مِنْهُمْ؟

قَالَ: إِذَا نَزَلَتْ نَجَاسَةٌ اَوْ بَوْلٌ فِي حَوَايِجَهُمْ يَغْسِلُونَ ذَلِكَ اَلْمَحَلَّ بِمَاءٍ فَسَأَلْتَهُمْ عَنْ اِلسَبَبِ اَلْمُوجِبِ لِذَلِكَ فَلَمْ نَجِدْ عِنْدَهُمْ خَبَراً٠

قُلْتُ لَهُ: اَلسَّبَبُ فِي ذَلِـكَ أَنَّ كُـلَّ مُسْلِمٍ عَلَيْـهِ فَـرْضٌ اَنْ يُصَلِّـي لِلّٰـهِ تَعَالَى فِي كُلِّ يَوْمٍ خَمْسَ صَلَوَاتٍ؛ كُلُّ صَلاَةٍ فِي وَقْتِهَا؛ مَا بَيْنَ اَلَيِّـلِ وَالنِّهَارِ؛ وَمِنْ فَرَايِضِ اِلصَّلاَةِ اَنْ يَكُـونَ طَـاهِراً فِـي جَسَـدِهِ وَلِبَاسِـهِ لاَنَّهُ يُنَاجِي اللّٰهَ رَبَّهُ؛ وَيَنْبَغِي اَنْ يَكُونَ عَلَى اَفْضَلِ حَالَةٍ؛ وَلَمَّـا كَـانَ

مَا يَخْرُجُ مِنَ اَلانْسَانِ مِن اِلسَّبِيلَيْنِ نَجِساً بِسَبَبِ اِلشَّجَرَةِ اِلَّتِي اَكَلَ مِنْهَا اَبُونَا اَدَمُ - عَلَيْهِ اِلسَّلاَمُ - مِنْ فَاكِهَتِهَا وَنَسِيْ (٦٢أ) مَا نَهَاهُ اَللَّهُ عَنْهَا؛ وَمِنْ اَجْلِ ذَلِكَ رَجَعَ جَسَدَهُ يَدْفَعُ مَا يَخْرُجُ مِنْهُ مَا لاَ كَانَ قَبْلَ فَوَرَثْنَا ذَلِكَ؛ فَإِذَا وَقَعَ شَيْءٌ مِمَّا يَخْرُجُ مِنَ الْجَسَدِ فِي ثَوْبِهِ اَوْ لَحْمِهِ؛ يَزِيلُهُ بِالْمَاءِ اِلطَّاهِرِ؛ لِيَكُونَ اَلانْسَانُ بِحَضْرَةِ مَوْلاَهُ طَاهِراً ظَاهِراً وَبَاطِناً؛ اَمَّا فِي الظَّاهِرِ فَفِي اِلْجَسَدِ وَمَا يَلْبَسُهُ وَاَلْمَوْضِعُ اَلَّذِي يَعْبُدُ فِيهِ وَمَا فِي بَاطِنِهِ يَنْبَغِي لَهُ اَنْ لاَ يَتَفَكَّرُ اِلاَّ فِيمَا يَقْرَاهُ، وَهَذَا هُوَ اَلاَصْلُ وَالسَّبَبُ اَلْمُوجِبُ فِي غَسْلِ النِّجَاسَةِ.

فَاستَحْسَنَ اَلْجَوَابَ غَايَةً؛ حَتَّى قَالَ لِلَّذِينَ كَانُوا فِي اَلْقَارِبِ بِلِسَانِهِمْ كَلاَمُ اَلْخَيْرِ عَنِّي وَبَحَثْنِي فِي مَسَائِلِ دَقِيقَةِ وَنَسِيْتُهَا، وَلَمَّا صَدَرَ مِنْهُ اَنَّهُ قَالَ لاَصْحَابِهِ عَنِّي خَيْرَاً وَاَنَا عَلَى غَيْرِ دِينِهِ؛ فَمَا رَأَى فِي نَفْسِهِ مِنْ اَلرَّاي اِلاَّ أَنْ قَالَ لَهُمْ: اَلْمُسْلِمُونَ اَعْطَاهُمْ اَللَّهُ عُقُولاً وَافِرَةً - كُلُّ ذَلِكَ لِتَكُونَ عُقُوبَتَهُمْ فِي اِلآخِرَةِ اَشَدُّ وَأَقْوَى اِذْ لَمْ يَكُونُوا نَصَارَى؛ قَالَ ذَلِكَ اَيْضاً بِلِسَانِهِمْ وَكُنْتُ اَفْهِمُهُ.

وَكَانَ مِنْ اَلْحَقِّ اَنْ اَقُولَ لَهُ حِينَ ذَكَرْتُ إِنَّ اَلإِنْسَانَ يَحْتَاجُ اَنْ يَكُونَ طَاهِراً فِي اَلبَّاطِنِ؛ بِأَنْ اَقُولَ لَهُ: اَوَّلُ طَهَارَةِ (٦٢ب) اِلْقَلْبِ أَنْ لاَ يَكُونَ مُشْرِكاً بِاللَّهِ. وَكَانَ مَعَ اَلرَّاهِبِ صَاحِبُهُ عَلَى اَلرَّهْبَانِيَةِ وَمَذْهَبُهُ؛ وَكَانَ يَقُولُ بِلِسَانِهِ أَنْ يَتَكَلَّمَ مَعِي بِالتَّثْلِيثِ فِي اِلاُلُوهِيَّةِ؛ وَيُجَاوِّبُهُ وَيَقُولُ لَهُ: مَا يَلِيقُ ذَلِكَ.

وَمَشَيْنَا اَلْيَوْمَ كُلِّهُ؛ وَعِنْدَ اَلْمَغْرِبِ خَرَجْنَا جَمِيعاً مِنْ اَلْقَارِبِ اِلَى دَارِ مَنْزِلَةٍ بِحَاشِيَةِ اِلْوَادِ؛ وَكُنْتُ فِي اَعْلاَ اَلدَّارِ فِي مَوْضِعِ خَارِجٌ

عَنْ الْبَيْتِ الَّذِي نَزَلْنَا فِيهِ أَقْرا لِنتمِّ الالْفَ « قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ » . وبَعَثْتُ لِلْقَسيسين شَيْئاً مِنْ الْخُبْزِ مَعْجُوناً بِسُكَّر وبَيْضٍ.

وَنَادَاني وقَالَ لِي: انَا صَايمٌ هَذهِ الايَّامِ؛ وَهذَا الَّذِي بَعَثْتَ لِي فِيهِ بَيْضٌ؛ وَلاَ نَاكلُ ذَلِكَ فِي ايَّامِ الصَّوْمِ. وَاشْتَغلَ يَذْكُرُ مَا هُوَ فِيهِ مِنْ مُخَالَفَةِ النفْسِ وَانَّهُ لاَ يَلْبسُ كِتَاناً وَلاَ يَاخُذُ بِيَدِهِ دَرَاهِمَ وَلاَ يَاكُلُ كَثِيراً. وَاخَذَ فِي مَدْحِ نَفْسِهِ وَمَذْهَبِه.

وَقُلْتُ لَهُ: مِثْلُكَ مَا يَجِدُ الشَّيْطَانُ وَلاَ النَّفْسَ سَبِيلاً لِلتَوَسْوُس ظَاهِراً الاَّ اِذَا كَانَ عَلَى وَجْهِ الْحَسَنَةِ!

قَالَ: كَيْفَ تَاتِي مِنْ بَابِ الْحَسَنَاتِ؟ لانِّي مَا فَهِمْتُ ذَلِكَ!

قُلْتُ لَهُ: انْتُمْ الْقَسيسُونَ تَزُورُونَ النِّسَاءَ وَتَسْتَخْلُونَ (٦٣أ) بِهِنَّ وَهُنَّ يُحْسِنَّ اِلَيْكَ بِالصَّدَقَاتِ فَتَقُولُ لَكَ نَفْسُكَ: سِرْ اِلَى فُلاَنَةٍ اِنَّهَا مِنْ الصَّالِحَاتِ وأَذْكُرْ لَهَا شَيْئاً مِنْ ذِكْرِ اللِّهِ وَالْهِمْهَا اِلَيْهِ وَيَحْصَلَ لَكَ أَجْرٌ وَحَسَنَةٌ؛ وَهَذَا هُوَ بَابُ الْحَسَنَةِ؛ وَغَرْضُهَا مِنْكَ أَنْ تَقْرُبَ مِنْهَا حَتَّى تَتَمكَّنَ الْمَحَبَّةُ مِنْ قُلُوبِكُمَا؛ فَامَّا تَغْلِبْكُمَا حَتَّى تَقَعَا فِي الْمَعْصِيَةِ وَالْحَرَامِ وَهُوَ الْمَقْصُودُ مِنَ النَّفْسِ وَالشَّيْطَانِ وَاِمَّا تَكْثُرُ الْمَحبَّةُ بيْنَكُمَا وَتَشْغِلُكَ حَتَّى انَّكَ اِذَا كُنْتَ فِي صَلاَتِكَ تَذْكُرُ بِاللِّسَانِ وَمَعَهَا قَلْبُكَ، وَهَذَا هُوَ بَابُ نَصِيحَتِهَا.

فَسَكَتَ الْقُسُّ وَلاَ انْكَرَ وَلاَ انْعَمَ. وكَانَ مِنَ الْحَقِّ اَنْ يُقَالُ لَهُ: مِثْلُكَ لاَ يُوَسْوِسُهُ الشَّيْطَانُ وَلاَ النَّفْسُ ابَداً؛ لانَّ اللِصَّ لاَ يَقْصُدُ الاَّ الْبَيْتَ الْعَامِرَ بِالْخَيْرَاتِ؛ وَمِثْلُكَ مُشْرِكٌ بِاللِّهِ الْمَالِكِ الدَّيَّان وَعَابِدُ الاوثَان فَلَيْسَ لَهُ اِلاَّ انْ يُعَظِّمُ لَكَ الشَّانَ وَيُزَيِّنُ لَكَ الطَرِيقَ الذَّاهِبُ اِلَى النِّيرانِ.

ثُمَّ قَالَ: مَا اَلسَّبَبُ فِي مَنْعِ اِلْخَمْرِ فِي دِينِكُمْ ؟
قُلْتُ لَهُ: لأَنَّهُ مُسْكِرٌ يَزِيلُ اَلْعَقْلَ (٦٣ب) اَلَّذِي هُوَ اَشْرَفُ وَاَفْضَلُ مَا فِي اِلاِنْسَانِ •
قُلْتُ لَهُ: وَاِذَا كُنْتَ صَايِماً تَقْطَعُ شُرْبَ اَلْخَمْرَ؟
قَالَ: لاَ!
ثُمَّ قَالَ لِي وَاحِدٌ مِنَ اَلشَّيَاطِينِ اِلَّذِينَ رَأَيْتُهُمْ فِي اِلنَّوْمِ - وَكَانَ كَـافِراً مِنَ اَلَّذِينَ جَاءُوا فِي اِلْقَارِبِ مَعَنَا -: كَيْفَ اَنْتَ فِي بِلاَدِنَا؟ وَمَنْ اَذَنَ لَكَ فِي ذَلِكَ؟ وَأَظْهَرَ اَلْغَضَبَ وَاَكْثَرَ اَلْكَلاَمَ.
فَاظْهَرْتُ لَهُمْ كِتَابَ سُلْطَانِهِمْ، وَسَخَّرَهُمْ اَللَّهُ جَمِيعاً حَتَّى اِنَّا اِذَا بَلَغْنَـا اِلَـى دَارِ مَنْزِلَـةِ اِلَّتِـي نَـنْزِلُ فِيهَـا لِلْمَبِيـتِ فِيهَـا فَيُكَلِّمُـونَ رَبَّ اَلـدَّارِ وَيَقُولُونَ: هَذَا رَجُلٌ تُرْكِي - لاَنَّ فِـي بِـلاَدِ اِلْفَرَنْـجِ وَفِـي كَثِيرٍ مِـنْ سَلْطَانَاتِ اِلنِّصَارَى لاَ يُسَمُّونَ اَلْمُسْلِمِ اِلاَّ تُرْكِي كَمَا تَقَدَمَ - وَقَدْ جَاءَ مِنْ بِلاَدِهِ وَاَذَنَ لَهُ سُـلْطَانِنَا فِـي قَضَـاءِ اَغْرَاضِـهِ وَيَسْتَحَقُّ اَنْ تَقُـومَ بِحَقِّهِ؛ وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنْ كَلاَمِ اِلْخَيْرِ •
وَكَانُوا فِيمَا بِيْنَهُم يَفْرَحُونَ بَنَا فِي اِلْقَارِبِ فِي اِلاَيَّـامِ اِلَّتِـي عَبَرْنَـا فِيهِ عَلَى اَلنَّهْرِ؛ كُلٌّ ذَلِكَ بِبَرَكَةِ سُـورَةِ اِلاِخْـلاَصِ؛ خَلَّصَنَـا اَللَّـهُ مِـنْ شَرِّهِمْ وَعَظَّمَنَا فِي اَعْيُنِهِمْ؛ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ اِلْعَالَمِينَ •

اَلْبَــابُ اَلْعَــاشِرُ

فِي مُنَاظَرَاتِ اَلْيَهُودِ بِبِلَادِ فَرَنْجَه وَفَلَنْضِسْ (٦٤أ)

اِعْلَمْ أَنّ اَلْيَهُودَ اَلّذِينَ هُمْ بِتِلْكَ اَلْبِلاَدِ كَانَ اَصْلُهُمْ فِي قَدِيمِ اِلزّمَنِ وَفِي زَمَنِنَا؛ بِبِلاَدِ اِلاَنْدَلُسْ؛ وَأَكْثَرُهُمْ بِبُرْتُقَالْ؛ وَكَانُوا فِي الظّاهِرِ نَصَارَى؛ وَفِي خفَاءِ مِنْهُمْ يَهُود وكَانُوا يَخْفُونَ اَنْفُسَهُمْ بيْنَ اَلنِّصَارَى اَكْثَرُ مِنَ الاَنْدَلُسْ؛ وَيَقْرَءُونَ اَلْعُلُومَ بِالْعَجَمِيَةِ وَلاَ يَتَكَلّمُونَ اِلاّ بِهَا؛ وَيَدْرِكُونَ بِالْعِلْمِ بَعْضَ اَلْمَرَاتِبِ، وَاِذَا اَدْرَكَ اَحدُهُمْ اَمْراً يَتَحَكّمَ عَلَى اَلنّاسِ يَضُرُّ بِهِمْ كَثِيراً لاَ سِيمَا بِالاَنْدَلُسْ؛ حَتّى اَنّ اَلنّاسَ اِذَا اَلْحقَهُمْ ضَرَرٌ مِمَنْ يَحْكُمُ، سَوَاء كَانَ اَلْحُكْمُ عَلَى اَلنِّصَارَى اَوْ عَلَى اَلاَنْدَلُسْ يَبْحَثُونَ عَلَى أَصْلِهِ؛ وَيَجِدُونَهُ يَهُودِياً مَخْفِياً اَوْ مِنْ سُلاَلَتِهِمْ: اَمّا مِنْ اَلاَبَوَيْنِ اَوْ مِنْ جِهَةِ أَبِيهِ أَوْ أُمّهِ؛ لاَنّهُمْ مِنْ اَجْلِ اِلرِّيَاسَةِ وَالطّمَعِ كَانُوا يَخْتَلِطُونَ فِي اِلتّزْوِيجِ مَعَ اَلنِّصَارَى، وَيَعْطُونَ بَنَاتَهُمْ وَيَتَزَوّجُونَ مِنْهُمْ. وَجَمِيعُ اَلْيَهُودِ فِيهِمْ مِنْ اَلْكِبْرِ اَلْخَفِي مَا لاَ كُنْتُ نَظُنُّ فِيهِمْ؛ حَتّى رَأَيْتَهُمْ بِالْبِلاَدِ اَلْمَذْكُورَةِ؛ وَهِيَ فَرَنْجَه وَفَلَنْضِسْ. وَفِيهَا هُمْ اَشْهَر مِمّا هُمْ بِبِلاَدِ (٦٤ ب) اِلْفَرَنْجِ لاَنّ لَهُمْ الاذْنِ فِي نَقْلِ اِلسّلاَحِ وَاللِّبَاسِ مِثْلُ اَهْلِ فَلَنْضِسْ.

وَاَلْتَقَيْتُ فِي مَدِينَةِ بُرْضِيُوش بِفَرَنْجَةْ بِبَعْضِ عُلَمَاءِهِمْ وَبَلّغُوا وَاَطْنَبُوا فِي مَدْحِ دِينِهِمْ حَتّى رَأَيتُ اَنّهُ لاَ يَكْفِينِي فِي اِلرّدِّ عَلَيْهِمْ مِنْ كُتُبِنَا اِلاّ اِذَا كَانَ مِنْ كُتُبِهِمْ فَهُوَ اَقْوَى وَاَبْلَغُ كَمَا اَتّفَقَ لِي مَعَ

اَلنصَارَى، فَاتِّصلْتُ بِالَتَّوْرَيـةِ بِاللِّسَانِ اِلْعَجَمِي اِلاَنْدَلُسِي؛ وَوَجَدْتُ فِيهَا مَسَائِلَ كَثِـيرةً لِـلرِّدِّ عَلَيْهِـمْ مِنْهَـا. فَفِـي اِلْتَّوْرَيـةِ اَلْكُتُبُ اَلْخَمْسَـةُ اَلاَوَائِلُ؛ فَهِيَ مَنْسُوبَةٌ لِسَيِّدْنَا مُوسَى - عَلَيْـهِ اِلسَّلاَمُ - وَفِيهَـا اُمُـور دِينِهِمْ؛ وَجَمِيعُ كُتُبِ اِلتَّوْرَيَةِ بِالْخَمْسَةِ اَلَّتِي ذَكَرْتُ اَرْبَعَـةٌ وَعِشْـرُونَ كِتَاباً؛ وَلَمْ نرَ فِي جَمِيعِهَا ذِكْرَ جَنَّةٍ وَلاَ نَارٍ وَلاَ عَـذَابِ اِلآخِـرةِ؛ بَـلْ فِيهَا اَلْمَدْحُ اَلتَّامُّ لِبَنِي اِسْرَائِيلَ حَتَّى قَالَ فِيهَا: "لاَ تَاخُذْ رِبـاً اَوْ طَالِعـاً فِي الْمَالِ مِنْ اَحَدٍ مِنْ بَنِي اِسْرَائِيلَ وَيَجُوزُ اَلاَخْذُ مِنْ غَيْرِهِمْ".

وَوَجَدْتُ فِـي اِحْدَ اَلْكُتُبِ اِلْخَمْسَـةِ اِنَّ اَلرَّجُـلَ اِذَا جَـامَعَ زَوْجَتَـهُ وَجَبَ عَلَيْهِمَا غُسْلُ جَمِيعَ اِلْجَسَـدِ بِمَـاءِ طَـاهِرٍ؛ وَكَذَلِـكَ مِـنْ خُـرُوجِ اِلْمَنِي، وَأَنَّ اَلْمَرْاةَ وَجَبَ عَلَيْهَا (١٦٥أ) مِنَ اَلْحَيْضَةِ اَيْضاً. وَوَجَدْتُ فِيهَـا اِنَّ اَللَّـهَ يَدْخِلُ جَنْ اَلْجَنَّـةَ، وَسَـأَلْتُ عُلَمَـاءَهُمْ فِـي تِلْـكَ اَلْبِــلاَدِ وَغَيْرِهَا عَلَـى هَـذَا اَلْمَذْكُورِ فِـي اِلتَّوْرَيَـةِ اِلْمُسَمَّى بِـجَنْ؛ وَاَنَّ اَللَّـهَ يَدْخِلُهُ اَلْجَنَّةَ، قَالُوا: لَمْ نَدْرِ.

ثُمَّ اِنِّي بَعْدَ أَنْ وَلِّيْتُ اِلَى بِلاَدِ اِلْمُسْلِمِينَ بِمَدِينَةِ مَرَّاكُشْ اَتِّصلْـتُ بِكِتَـابٍ يُسَمِّى بِالسِّيْفِ اِلْمَحْدُودِ فِـي اِلـرِّدِّ عَلَـى اَلْيَهُـودِ لِعَبْدِ اِلْحَـقِّ اَلاِسْلاَمِي - رَحِمَهُ اَللَّهُ - قَالَ: أَنَّهُ كَانَ مِنْ اَحْبَارِ اِلْيَهُودِ وَوَفَّقَهُ اَللَّهُ تَعَالَى لِدِينِ اِلاِسْلاَمِ؛ وَاَتَى بِالنُّصُوصِ مِنْ اَلتَّوْرَيَـةِ بِـالْخَطِّ اِلْعِبْرَانِي وَيَضعَهَا فِي طُرَّةِ اِلْكِتَابِ، ثُمَّ كَتَبَ اَلاَلْفَاظَ بِالْخَطِّ اِلْعَرَبِي فِـي دَاخِـلِ اِلاَسْطَارِ؛ ثُمَّ تَفْسِيرُ اَلْمَعَنَى بِـأَثَرِهِ، وَذَكَـرَ فِـي مَوَاضِـعِ مِـنْ اَلتَّورِيَـةِ اِسْمَ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ - صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بِرمُـوزٍ وَحَلِّهَـا بِأَسْـرَارِ اِلْحُرُوفِ، وَالِّذِي بَقِيَ فِي حِفْظِي وَاحِدٌ مِنْهَا؛ وَاَكْتَفَيْتُ بِهِ عَنْ غَـيْرِهِ؛ وَهُوَ كَافٍ بَايِّنٌ:

وذَلِكَ أَنَّهُ قَالَ فِي التَّوْرَيةِ فِي بَابِ: «يدْخِلُ اللَّهُ جـنْ الْجَنـةَ» فَأَمَّا جَنْ فَهُوَ اِسْمُ سَيِّدِنَا مُحَمَّد – صَلَّى (٦٥ ب) اللّـهُ عَلَيْهِ وَسَـلَّمَ – فَهُوَ اَسْمُهُ اَحْمَدُ؛ لاَنَّ النُّـونُ تَنْقُـطُ خَمْسِـينَ بالْحِسَـابِ الْمَشْـرقِي وَالْمَغْرِبِي؛ وكَذَلِكَ الْجِيمُ ثَلاثَةُ؛ وَالْمَجْمُوعُ ثَلاثَةُ وَخَمْسُونَ، وَهُوَ مَـا تَنْقُطُ حُرُوفُ اَحْمَدُ بـالاصْطِلاحِ الْمَشْـرِقِي وَالْمَغْرِبِـي؛ فَأَمَّا الالِـفُ فَوَاحِدٌ وَالْحَاءُ ثَمَانِيَةُ وَالْمِيمُ اَرْبَعُونَ وَالدَّالُ اَرْبَعَةٌ؛ فَـالْمَجْمُوعُ ثَلاَثَـةٌ وَخَمْسُونَ؛ وَهَذَا بُرْهَانُ وَدَلِيلٌ قَطْعِي أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدٌ – صَلَّـى اللَّـهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – مَذْكُورُ اَسْمُهُ فِي التَّوْرَيةِ إِلَى الآن.

ووَجَـدْتُ فِيهَـا اَيْضَـاً أَنَّ الاِثْنَـى عَشَـرَ سِبْطَاً مِـنْ بَنِـي اِسْـرَائِيلَ اَلسَّبْعَةَ مِنْهُمْ اُمَّهَاتُهُمْ كُلٌّ وَاحِدَةٍ أُمُّ وَلَدْ وَلَيْسَ بِزَوْجَةِ نِكَاحٍ.

وَمِنَ الْمَسَائِلِ الَّتِي قَالُوا لِي الْيَهُود: أَنَّ أَصْلَنَـا الْقَدِيـمُ مِـنْ سَـيِّدِنَا اِسْمَاعِيل – عَلَيْهِ السَّلاَمُ – وَاَنَّ أُمَّهُ لَيْسَتْ كَاُمِّ سَيِّدِنَا اِسْحَاق – عَلَيْهِ السَّلاَمُ – لانَّهَا كَانَتْ زَوْجَـةً لِسَـيِّدنا اِبْرَاهِيـم – عَلَيْـهِ السَّـلاَمُ – وَأُمُّ اِسْمَاعِيلَ – عَلَيْهِ السَّلاَمُ – مَمْلُوكَةٌ.

قُلْتُ لَهُمْ: كُلُّ مَا فَعَلَ الانْبِيـاءُ – عَلَيْهِـمُ السَّـلاَمُ – فَهُـوَ مُوَافِقٌ لِمَـا اَبَاحَهُ اللَّهُ تَعَالَى؟

ثُمَّ نَستَلَهُمْ عَنِ الاِثْنَي (٦٦أ) عَشَرَ سِبْطَاً.

فَيَقُولُونَ: هُمُ الاَصْلُ فِي الدِّينِ؛ وَهُمْ الْمَذْكُورُونَ الْمَقْبُولُونَ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى!

ثُمَّ أَقُولُ لَهُمْ: فَالْسَبعَةُ مِنْهُمْ لَمْ تَكُنْ أُمَّهَاتِهِمْ زَوْجَـةِ نِكَـاحٍ؛ وَكَمَـا هُـمْ عِنْدَكُمْ فِـي مَقَـامِ مَحْمُـودِ كَذَلِـكَ كَـانَ مَقَـامُ سَـيِّدِنَا اِسْمَاعِيل – عَلَيْـهِ السَّلاَمُ – وَلاَ يَجُوزُ لَكُمْ أَنْ تَسْتَنْقَصُوهُ بِسَبَبِ أُمِّهِ.

ثُمَّ يَسْتَلُونِي سُؤَالاً؛ وَهُوَ عِنْدَهُمْ أَنَّ أَحَداً لاَ يَجِدُ مَا يُجَاوِبُ عَلَيْهِ؛ وَذَلِكَ اَنَّهُمْ قَالُوا لِي: اَلدِّينُ اَلَّذِي أَتَى بِهِ سَيِّدِنَا مُوسَى- عَلَيْهِ اِلسَّلاَمُ - كَانَ مِنْ عِنْدِ اِللَّهِ؟

قُلْتُ: نَعَمْ، مَا بَيْنَنَا نِزَاعٌ فِي هَذِهِ اِلْمَسْئَلَةِ.

قَالُوا: سَلاَطِين اَلدُّنْيَا يَرْجِعُونَ فِيمَا اَعْطَوْا مِنْ كُتُبِهِمْ مُعَلَّمَةٌ مِنْهُمْ.

قُلْتُ: لاَ يَرْجِعُونَ اِلاَّ فِيمَا يَظْهَرَ اَنَّهُ يُلِيقُ بِهِمْ، وَفِي بَعْضِ اَلاَزْمِنَةِ؛ وَنَحْنُ عِنْدَنَا فِي دِينِنَا ﴿ يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴾.

قَالُوا: لَيْسَ ذَلِكَ عِنْدَنَا!

قُلْتُ لَهُمْ: عِنْدَكُمْ فِي اِلتَّوْرِيَةِ مَسْئَلَةٌ مِثْلُ مَا قَالَ اَللَّهُ فِي اَلْقَرْءَانِ اَنَّهُ يَمْحُو وَيُثَبِّتُ.

قَالُوا: فِي أَيِّ مَوْضِعٍ فِي اَلتَّوْرَيَةِ؟

قُلْنَا: فِي اِلْبَابِ اِلْعِشْرِينَ مِنْ (٦٦ب) اَلْكِتَابِ اِلثَّانِي لِلْسَلاَطِينِ؛ قَالَ: اَنَّ اَلسُّلْطَان حَزْكِيَهْ مَرَضَ بِمَرَضَ اَلْمَوْتِ؛ وَجَاءَ اِلَيْهِ اِلْنَّبِي يَشْعِيَهْ اِبْنِ اَلْنَّبِي مُزْ وَقَالَ: اِنَّ اَللَّهَ أَرْسَلَنِي اِلَى دَارِكَ؛ اِنَّكَ تَمُوتُ وَلاَ تَعِيشُ؛ فَدَعَا وَبَكَا بُكَاءً شَدِيْداً، ثُمَّ تَابَ اِلَى اَللَّهِ تَوْبَةً صَادِقَةً؛ ثُمَّ بَعَثَ اَللَّهُ اَلنَّبِي يَشْعِيَهْ: ارْجِعْ اِلَى سُلْطَانِ بِلاَدِي وَقُلْ لَهُ: رَأَيْتُ بُكَاءَكَ وَقَبِلْتُ دُعَاءَكَ؛ وَفِي ثَالِثِ يَوْمٍ يَاتِي اِلَى بَيْتِي وَنَزِيدُ فِي عُمُرِهِ خَمْسِ عَشْرَةَ سَنَةً؛ وَنُنجِيهِ مِنْ سُلْطَانِ شُومْ؛ وَنَحْفَظُ هَذِهِ اِلْمَدِينَةَ، اَنْتَهَى.

فَكُلُّ مَنْ نَسْئَلَهُ مِنْ عُلَمَائِهِمْ عَنْ هَذَا: هَلْ هُوَ فِي اِلتَّوْرَيَةِ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ، فَأَقُولُ اَلْكَلاَمُ اَلاَوَّلُ اَلَّذِي جَاءَ بِهِ اِلنَّبِي كَانَ كَلاَمُ اَللَّهِ؛ وَقَالَ: يَمُوتُ مِنْ مَرَضِهِ؛ وَاَلْمَرَّةُ اَلثَّانِيَة قَالَ: يَزِيدُ فِي عُمُرِهِ خَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةٍ؛ فَمَحَى اَلْكَلاَمَ اَلاَوَّلُ وَاَثْبَتَ اَلثَّانِي.

وَهَذَا بُرْهَانٌ لاَ يَـرُدُّهُ اَحَـدٌ؛ وَكَذَلِـكَ مَحَـى اَللّـهُ دِيـنَ اَلْيَهُـودِ فِـي الْعِبَادَاتِ وَاَثْبَتَ دِينَ اَلاسْلاَمِ؛ وَمِثَالُ ذَلِكَ أَنَّ اَلْمَلِكُ بَعَثَ رَسُولاً اِلَـى قَوْمِهِ وَاَمَرَهُمْ بِكِتَابِهِ أَنْ (٦٧أ) يَفْعَلُوا كَذَا؛ ثُمَّ بَعَثَ كِتَاباً اَخَرَ يَزِيـدُ اَوْ يَنْقُصُ عَنْ اِلاَمْرِ اِلاَوَّلِ؛ فَمَنْ عَمِلَ بِـالاَمْرِ اِلاَخِـرِ فَهُـوَ طَـايِعٌ؛ وَالَّذِي تَمَسَّكَ بِالاَمْرِ اِلاَوَّلِ وَقَالَ: مَا نَعْمَلُ اِلاَّ بِمَـا اَتَانَـا بِـهِ رَسُولُهُ فُلاَنٌ بِكِتَابِهِ فَهُوَ عَاصٍ مِثْلُ اَلْيَهُودِ. وَكَذَلِكَ اَمَرَ اَللّهُ سَيِّدِنَا اِبْرَاهِيمُ - عَلَيْهِ اَلسَّلاَمُ - بِالتَخْتِينِ هُوَ وَابْنُهُ سَيِّدُنَا اِسْمَاعِيلُ - عَلَيْـهِ اِلسَّلاَمُ - وَمَنْ بَعْدَهُ؛ وَلَمْ يَامِرْ بِذَلِكَ لِمَنْ كَانَ قَبْلَهُ مِـنَ اَلاَنْبِيَـاءِ وَاَلْمُومِنِيـنَ، فَكَانُوا اَلْيَهُودُ لاَ يَجِدُونَ مَا يُجَاوِّبُونَ بِهِ.

وَذَكَـرَ فِـي التَّوْرِيَـةِ اِنَّ اَلسَـرَّ فِـي اِلتَخْتِيـنِ مِثْـلُ عَلاَمَـةٍ يَعْمَلُهَـا اَلاِنْسَانُ اَنَّهُ يُوَفِّـي بِمَـا اَمَـرَهُ اَللّـهُ بِـهِ؛ وَتَشْـهَدُ اَلنَّصَـارَى: اِنَّ سَـيِّدِنَا عِيسَى - عَلَيْهِ اِلسَّلاَمُ - اَخْتَتَنَ فِي أَوَّلِ يَوْمٍ مِنْ شَهْرِ يَنَيْرٍ؛ ثُمَّ اَنَّهُـمْ اَسْقَطُوا ذَلِكَ عَنْ اَنْفِسِهِمْ بِغَيْرِ أَمْـرِهِ؛ بَـلْ قَـالُوا: اِنَّ سَـيِّدِنَا عِيسَـى - عَلَيْهِ اِلسَّلاَمُ - خَلَّصَ عَنْ اَلْجَمِيعِ ذَلِـكَ بِمَوْتِـهِ. وَاَبَـاحُوا اَكْـلُ لَحْـمَ اَلْخِنْزِيرِ - وَهُوَ مَمْنُوعٌ فِي التَّوْرِيَةِ - وَالْخَبَائِثِ.

وَقَدْ بَحَثْتُ اَلْيَهُودَ فِي مَسْئَلَةٍ أُخْرَى؛ قُلْتُ لَهُمْ: هَذَا اَلاَمْـرُ اَلَّـذِي اَنْتُـمْ مَامُورُونَ بِهِ فِي كِتَـابِكُمْ: أَنَّ الرَّجُـلَ اِذَا جَـامَعَ زَوْجَتَـهُ وَجَـبَ عَلَيْـهِ وَعَلَيْهَا اَلْغُسْلُ (٦٧ب) لِجَمِيعِ اِلْجَسَدِ بِمَاءٍ طَاهِرٍ؛ هَلْ تَصْنَعُونَ ذَلِـكَ اَمْ لاَ؟

قَـالُوا جَمِيْعـاً: لاَ نَفْعَـلُ ذَلِـكَ؛ وَلاَكِـنْ اَلنِّسَـاءُ تَغْتَسِـلْنَ مِـنَ اَلْحَيْضَـةِ؛ وَلَيْسَ لَنَا وَلاَ لِلْنِسَا غُسْلٌ مِنَ الْجِمَاعِ.

قُلْتُ لَهُمْ: مَنْ اَسْقَطَ عَنْكُمْ هَذِهِ الْفَرِيضَةِ وَأَنْتُمْ مَامُرُونَ بِهَا فِي كِتَابِكُمْ؟

قَالُوا: ذَلِكَ الاَمْرُ كَانَ حِينَ كُنَّا فِي بَيْتِ اَلْمَقْدِسِ!

قُلْتُ لَهُمْ: اَلاَمْرُ لَيْسَ هُوَ مُرْتَبِطاً بِشَرْطٍ، لاَنَّهُ مَا قَالَ هَذَا اَلاَمْرُ لِلْغُسْلِ فَرْضٌ عَلَيْكُمْ مَا دُمْتُمْ بِبَيْتِ اَلْمَقْدِسِ، وَلَوْ قَالَ ذَلِكَ كَانَتْ لَكُمْ حُجَّةٌ مَقْبُولَةٌ بِمَا تَقُولُونَ؛ وَهَذَا بُرْهَانٌ بِأَنَّهُمْ جَمِيعُ اَلْيَهُوْد بِنَاجِسَةٍ مَوْرُوثَةٍ مِنْ اَبَائِهِمْ وَاَجْدَادِهِمْ؛ وَعُلَمَائُهُمْ مَلْعُونِينَ بِإِبَاحَتِهِمْ فِي تَرْكِ فَرْضٍ مِنْ فَرَائِضِهِمْ٠

وَاَمَّا اِلفَرَضُ لَهُمْ فِي تَرْكِ اِلاَسْبَابِ يَوْمَ اَلْسَّبْتِ حَيْثُ هُوَ أَمْرٌ مُوَافِقٌ لِشَهْوَةِ اِلنَّفْسِ لاَنَّهَا تُحِبُّ اَلرَّاحَةِ؛ فَهَذَا يَقُومُونَ بِحَقِّهِ وَيَظْهِرُونَ مِنَ اَلْوَرَعِ جَمِيعُهُمْ بِالْقِيَامِ بِحُقُوقِ اِلسَّبْتِ؛ وَيَذْكُرُونَ اَنَّهُمْ لاَيَجُوزُ لَهمْ فِيهِ كَذَا وَكَذَا، وَيَتْرُكُونَ اَلطَّهَارَةَ اَلَّتِي هِيَ اَلاَصْلُ فِي اِلْعِبَادَاتِ؛ وَكَذَلِكَ اَلنَّصَارَى لاَ يَقْرُبُونَ اَلْمَاءَ اَبَداً (٦٨أ) اِلاَّ مَرَةً فِي اِلْعُمُرِ وَهُوَ اَلْغُسْلُ عِنْدَ دُخُولِهِمْ فِي دِينِ اَلنَّصَارَى؛ اَلْمُسَمَّى بِالْمَاء اِلْمَعْمُدَانِ٠

وَكَمْ مِنْ مُسْلِمٍ فِي اِلدُّنْيَا وَجَبَ عَلَيْهِ اِلْغُسْلُ يَقُومُ مِنْ فِرَاشِهِ عِنْدَ اَلْسَحَرِ فِي اَيَّامِ اِلْبَرْدِ وَلاَ يَجِدُ سَبِيلاً لِتَسْخِينِ اَلْمَاءِ وَيَغْتَسِلُ بِهِ بَارِداً لِئَلاَ تَفُوتَهُ صَلاَةُ اَلْصُبْحِ؛ وَاَلْمُوَاضِبُونَ عَلَى الصَّلاَةِ فِي اَوْقَاتِهَا فَلاَ يَنَامُونَ اِلاَّ بَعْدَ أَدَاءِ صَلاَةِ اَلْعِشَاءِ اِلاَخِرةِ وَيَتْرُكُونَ مَضَاجِعَهُمْ عِنْدَ صَلاَةِ اِلْفَجْرِ؛ وَقَالَ اَللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ. فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾. وَقَالَ رَسُولُ اَللَّهِ – صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –: "مَنْ

صَلَّى اَلْعِشَاءِ فِي جَمَاعَةٍ فَكَانَمَا قَامَ نِصنْفُ لَيْلَةٍ؛ وَمَنْ صَلَّى اَلصُّبُحَ فِي جَمَاعَةٍ فَكَأَنَّهُ صَلَّى اَلَّيْلَ كُلَّهُ"[١] . فَبِبَرَكَتِهِمْ لَمْ يَزَلْ اَلْعِزُ لِلإِسْلاَمِ فِي الدُّنْيَا وَبِبَرَكَةِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ - صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - اَلَّذِي قَالَ: "وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي اَلصَّلاَةِ"؛ وَقَالَ :" اَنَا اَوَّلُ مَنْ يَدُقُ بَابَ اَلْجَنَّةِ"؛ وَلِذَلِكَ قَالَ فِي اَلتَّوْرَيةِ: "يَدْخِلُ اَللَّهُ جَنْ اَلْجَنَّةَ"؛ اِذْ هُوَ (٦٨ب) اَوَّلُ مَنْ يَدْخُلَهَا وَبَعْدَهُ مَنْ كَانَ مِنَ اَلْسعَدَاء .

وَفِي اَلْكِتَابِ اَلاوَّلِ مِنَ التَّوْرَيةِ فِي اِلْبَابِ اِلسَّابِعِ وَالاَرْبَعِينَ قَالَ: "اِنَّ سَيِّدْنَا يَعْقُوبُ كَانَ يَذْكُرُ لاوْلاَدِهِ مَا يَكُونُ مِنْ اَمْرِهِمْ فِي اِلدُّنْيَا؛ وَقَالَ عَلَى اَلْيَهُودِ: يَكُونُ لَهَمْ اَلاَمْرُ وَالْحُكْمُ فِي اِلدُّنْيَا اِلَى اَنْ يَاتِي شِلوُهْ؛ وَالنَّصَارَى تَقُولُ: أَنَّ شِلوُهْ كَانَ سَيِّدْنَا عِيسَى - عَلَيْهِ اِلسَّلاَمُ - وَالصَّحِيحُ اَنَّ اَلْمُلْكُ كَانَ لَهُمْ بَعْدَهُ اَكْثَرَ مِنَ اَرْبَعِينَ سَنَةً. وَفِي اَلْحَقِيقَةِ لَمْ يَزَلْ بِالْكُلِّيَةِ اِلَى اَنْ جَاءَ اَلنَّبِي - صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - اِذْ وَقَعَ لَهُمْ مَعَهُ حَرْبٌ وَشَرٌ بِخَيْبَرْ؛ وَبَعْدَ ذَلِكِ لَمْ يُسْمَعْ أَنَّ اَلْيَهُود حَارَبُوا أَحَدَاً .

وَفِي اِلتَّوْرَيةِ؛ فِي اِلْكِتَابِ اِلْمُسَمَّى ذُوتَرْنَمِي فِي اِلبَابِ اَلاَرْبَعِينَ، قَالَ: اَرْعَوْا اَرْوَاحَكَمْ؛ لاَ تَزُورُوا اَصْنَاماً؛ وَقَالَ اَيْضاً: لاَ تَقْطَعُوا وَتَصْنَعُوا لَكُمْ صُوَراً وَلاَ اَصْنَاماً مِنْ شَيْءٍ مِنَ اَلصُّوَرِ: صُورَةَ ذَكَرٍ وَلاَ أُنْثَى؛ وَلاَ صُورَةَ دَوَابَ اِلاَرْضِ؛ وَلاَ صُورَةَ طَيْرٍ مِنَ اَلَّتِي تَطِيرُ فِي اِلْهَوَاءِ وَلاَ صُورَةَ دَابَّةٍ تَنْجَرُ عَلَى اَلاَرْضِ وَلاَ صُورَةَ حِيتَانِ اِلْمَاءِ وَلاَ تَسْجُدُوا وَلاَ تَعْبُدُوا اَلْقَمَرَ وَلاَ اَلنُّجُومَ .

---

[١] المعجم الكبير للطبراني ١/٩٢.

وقَالَ فِـي اِلكِتَـابِ (٦٩أ) اَلْمُسَـمَّى بلِبتِـقُ مِـنْ كُتُـبِ اِلتَورَيَـةِ **فِـي اِلْبَابِ اَلْعَاشِـر**: وَكَلَّمَ اَللَّهُ لِهَارُون وقَالَ: اَنْتَ وَلاَ اَولَـدَكَ؛ لاَ تَشْـرَبُوا خَمْراً وَلاَ مِزْراً – يَعْنِي: مُسْكِراً – اِذَا اَرَدْتَ اَلدُّخُول فِي اِلْجَـامِعِ لِيَتَبَيَّنَ اَلطَّاهِرْ مِن اَلْنَجِسْ وَلاَ تَمُوتُ؛ عَهْدٌ لِلاَبَـدِ يَكُـوْن لِمَـنْ يَتَنسَّـلَ مِنْكَ.

وفي كتاب آخر يسمى بــذَوتَرتَمِيُ؛ فِـي اَلْبَـابِ اِلسَّـادِسِ؛ لِسَيِّدنَا مُوسَى – عَلَيْهِ اِلسَّلاَمُ – قَالَ: "نَبيً مِنْ وَسَطِكَ مِنْ اخْوَانِكُمْ يَظْهِـرَهُ اَللَّهُ مِنْهُ تَسْمَعُونَ ". وَقَالَ فِي كِتَابِ **اِلسَّيْفِ اِلْمَحْدُودِ فِـي الـرَّدِّ عَلَـى اَلْيَهُودِ** فِي هَذَا اَلْمَعْنَى: نَبيٌ مِنْ بَنِي اِخْوَانِكُـمْ مِنْـهُ تَسْـمَعُونَ. وَفِـي كِتَابِ **اِلْقُضَاةِ** مِنْ كُتُبِ اِلتَوْرَيَةِ فِي اَلْبَابِ اِلْخَامِس، قَالَ: "نَبيٌ نُقَيِّضُهُ مِنْ بَيْنَ اِخْوَانِهِمْ مِثْلُك؛ وَاَنَا نَضَعُ كَلاَمِي فِي فَمِهِ؛ وَهُوَ يَتَكَلَّمْ بِكُلِّ مَا نَامِرُ؛ وَمَنْ لاَ يَسْمَعُ مِنْ كَلاَمِي[1] اِلَّذِي يَتَكَلَّمُ عَنِّي اَنَا نُحَاسِبُهُ". **فَهَذَا**[2] دَلاَيِلٌ عَلَى اَلْنَبِّي – صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَفِي كِتَابِ **اَسَكِيلْ** مِنْ اَلتَوْرَيَةِ قَالَ دَانيَال اَلنَبِّي – عَلَيْهِ اِلسَّلاَمُ – قَالَ اَللَّهُ تَعَالَى: " اَكْسِرْ (٦٩ب) اَلاَصْنَامَ وَيَخْمدُ وَيَفْنَي اَلْكُفْرُ"؛ وَفِـي اِلْعَامِ اِلثَّانِي مِنْ تَوْلِيَـةِ بُخْـتُ نَصَـرْ اَلْمَمْلَكَـةَ رَأَى رُءِيَـا بُخْـتُ نَصَـرْ وَنَسِيَهَا؛ وَاَمَـرَ بَإِحْضَـارِ اِلْكُهَّـانِ وَاَلْمُنَجمِيـنَ وَالسَّـحَارَةَ اَلْقِبْطِييـنَ[3] لِيَظْهِرُوا لِلسُّلْطَانِ اَلرُّءيَا، وَلَمَّا حَضَرُوا قَـالَ لَهُـمْ اَلسُّلْطَان: رَأَيْـتُ

---

[1] هنا تبدأ قطعة باريس، ومن هنا نرمز لها بالحرف: س.

[2] س: فهذه.

[3] س: مثل القبطيين.

حِلماً وَأنَا مُتَفكِّرٌ لِنعلَمَ مَا رَأيتُهُ[١]، قَالُوا: اذْكُرْ لَنَا مَـا رَأيْـتَ وَنُفسِّرُهُ؛ قَالَ اَلسُّلْطَان لِلْقِبْطِيين: ذَهَبَ[٢] عَنِّي مَا رَأيْتُهُ؛ وَإذَا لَمْ تَظْهِرُوا الرُّعيَا نَقْتُلُكُمْ اشَرَّ قَتْل؛ وَإذَا ذَكَرتُمُوْهَا نَجُودُ عَلَيْكُمْ، قَالُوا مَرَّةً ثَانِيَـةً: اذْكُـرُ مَا رَأيْتَ نُبَيِّنُ تَفْسِيرَهُ، ثُمَّ قَالُوا: لَيْسَ أحَدٌ يَقْدِرُ عَلَـى هَذَا الاَمْـرَ اِلاَّ اِلمَلاَئِكَة اِلَّتِي لاَ تَسكُنُ فِي اِلاَجْسَادِ؛ فَغَضِبَ اَلسُّلْطَان؛ وَأمَـرَ بَقَتْـلِ جَمِيعِ عُلَمَاءِ بَغْدَاد[٣]. وَشُهِرَ الاَمْرُ؛ وَقَبَضُوا اَلْعُلَمَـاء وَطَلَبُـوا عَلَـى ذَانِيَال وَاَصْحَابِهِ لِيَقْتُلُوهُمْ؛ حِينَئِذٍ تَكَلَّـمَ مَـعَ اَلرَّيُـوجْ القَبطَـانْ اَلْمُتَكَفِـل بِحرْصِ السُّلْطَان وَقَالَ: مَا السَبَبْ فِي سُرْعَةِ هَذَا الاَمْرِ؟ فَبَيَّنَـهُ لَـهُ، وَدَخَـلَ ذَانِيـال[٤] لِلْسُلْطَان وَطَلَـبَ مِنْـهُ اَنْ يَمْهِـل[٥] عَلَيْهِـمْ؛ وَأنَّـهُ يُبَيِّـن لِلْسُلْطَان مَا طَلَبَ.

حِينَئِذٍ مَشَى ذَانِيَال[٦] (٧٠أ) اِلَى مَنْزِلـهِ وَذَكَـرَ اَلاَمْـرَ لاِصْحَابِـهِ[٧]: أُنَـانِيشُ وَمَشَـايِلُ وَاِلَـى قَرِيـش[٨]؛ لِيَطْلُبُـوا اَلرَّحْمَـةَ مِنْ اِلَــهِ اِلسَّـمَاءِ وَاللُّطْفَ لِئَلاَ يَهْلِكُ ذَانِيَال وَأصْحَابَه وَعَلَمَاءِ بَغْدَادٍ؛ حِينَئِذٍ أوْحَى اَللَّـهُ اَلْمَستَلَةَ لِذَانِيَال[٩] بِرُعْيَا فِي اَلَّيل[١٠]؛ وَشَكَر اَللَّهَ عَلَى ذَلِكَ؛ وَقَالَ اَلْبَرَكَةُ

---

[١] س: ما رأيت.

[٢] س: اذهبوا عني ما رأيته.

[٣] س: وأمر بقتلهم جميعاً يعني علماء بغداد.

[٤] س: عليه السلام.

[٥] س: يهمل.

[٦] س: عليه السلام.

[٧] س: وذكر الأمر على ناتيش

[٨] س: والى قريش أصحابه.

[٩] س: لدنيال عليه السلام.

فِي اِسْمِ اِللّهِ تَعَالَى فِي كُـلِّ قِرْنٍ وزَمَـنٍ[١]؛ لَـهُ هِـيَ اَلْحِكْمَـةُ وَالْقُـوَّةُ؛ وَهُوَ اَلّذِي يُبَـدِّلُ اَلازْمِنَـةَ؛ وَيَزِيـلُ اَلْشَّـدَائِدَ وَيَضَعُهَـا؛ يُوتِـي اِلْحِكْمَـةَ لِلْحُكَمَاء وَالْعِلْمَ لِلافْهَامِ؛ وَهُوَ يُوحِي مَا كَانَ مَسْتُوراً وَمَكْنُوناً؛ يَعْلَمُ[٢] وَيُمَيِّزُ[٣] مَا كَانَ فِي اِلظُّلُمَاتِ وَالنُور وَمَا فِي هِمَا؛ اِلَيْكَ يَـا اِلَـهَ أَبَـائِي اَشْـهَدُ وَأَشْكُرُكَ، اِنّكَ اَعْطَيْتَنِي عِلْماً وَأَعْلَمتِنِي مَا طَلَبْنَا مِنْـكَ وَبَيَّنْـتَ لِي اَمْرَ اَلسُّلْطَان.

ثُمّ كَلّمَ وَزَيرَ اَلسُّلْطَان اَلّذِي كَانَ لَهُ اَلامْرُ عَلَى قَتْلِ عُلَمَاء بَغْـدَادِ وَقَالَ لَهُ: لاَ تَقْتُلْ اَلْعُلَمَاء وَاَدْخِلْنِي بِحَضْرَةِ اَلسُّلْطَان؛ وَأَنَا أُبَيِّنُ لَهُ مَـا طَلَبَ؛ فَالْتَقَى بِهِ وَقَالَ اَلسُّلْطَان لِذَانِيَال[٤] - وَكَانَ اَسْمُهُ بَلْتَشَـرْ، تَقْـدِرُ تُبَيِّن لِي اَلرُّءْيَا وَتُفَسِرُهَا؟ قَالَ ذَانِيَال[٥] لِلْسُّـلْطَان: اَلامْـرُ اَلّـذِي سَـأَلْتَ عَنْهُ لاَ يِقْدِرُ (٧٠ب) عَلَى اِظْهَـارِهِ عُلَمَـاءٌ وَلاَ مُنَجِمُـونَ وَلاَ سَـحَرَةٌ وَلاَ كُهّانٌ؛ وَلاَكِنْ فِي اِلسّمَاءِ اِلَهٌ وَاحِدٌ اَلّذِي يُوحِي اَلاسْـرَارَ؛ وَهُـوَ يَعْلَمُ اَلسُّلْطَانُ بُخْتُ نَصْر مَا يَحْـدُثُ وَمَـا يَكُـونُ بَعْدَ اَيَـامٍ وَاَزْمِنَـةٍ. وَمَا[٦] رَأَيْتَ فِي فِرَاشِكَ هُوَ هَذَا: فَاَنْتَ يَاسُلْطَانُ فِي فِرَاشِكَ كَانَ فِـي[٧] فِكْرِكَ لِتَعْلَمُ مَاذَا يَكُونُ فِيمَا يَاتِي؛ وَاَلّذِي يُوحِي اَلاسْرَارَ وَالْعَجَـايِبَ

---

[١٠] س: الليل.

[١] س: وزمان.

[٢] في الأصل: يعرف، وكتب الحجري في الحاشية: «صزابه يعلم».

[٣] "مستوراً ومكنونا ويعرف ويميز"، ساقطة من س.

[٤] س: وقال السلطان وكان اسمه.

[٥] س: عليه السلام.

[٦] س: واما .

[٧] س: كان فكرك.

اَظْهَرَ لَكَ اَلَّذِي يِكُوُن. وَأَمَّا اَنَا فَأَظْهَرَ لِي هَذَا اِلسِّرُّ وَلَيْسَ ذَلِكَ مِنْ أَجْلِ اَلْعِلْمَ اَلَّذِي عِنْدِي أَنَّهُ[١] اَكْثَرُ مِنَ الْعِبَادِ؛ وَلاَكِنْ لِنَظْهِرَ تَفْسِيرَهُ لِلسُّلْطَانِ؛ وَلِتَعْرَفَ مَا كَانَ فِي فِكْرِكَ وَقَلْبِكَ. وَاَنْتَ يَا سُلْطَانُ رَأَيْتَ صَنَمَاً عَظِيْمَاً جِدَّاً؛ وَكَانَ لَهُ مَجْدٌ وَهُوَ وَاقِفٌ اَمَـامَكَ وَبَصَرُهُ قَوِيّ؛ اَمَّا رَاسُ اَلصَّنَمُ فَكَانَ مِنْ ذَهَبٍ خَالِصٍ؛ وَصَدْرُهُ وَعَضُدَاهُ مِنْ فِضَةٍ؛ وَبَطْنُهُ وَفَخِذَاهُ مِنْ مَعْدَنٍ؛ وَ[٢]رِجْلاَهُ مِنْ حَدِيدٍ وَقَدَمَاهُ بَعْضُهَا مِنْ حَدِيدٍ وَبَعْضُهَا مِنْ فَخَّارٍ؛ وَاَنْتَ تَنْظُرُهُ؛ وَرَأَيْتَ حَجَرَةً قُطِعَتْ بِغَيْرِ اَيَادِي وَضَرَبَتْ اَلصَّنَم فِي قَدَمَيْهِ مِنَ اَلْحَدِيدِ وَالْفَخَّارِ (٧١أ) وَطَحَنَتْهَا غَبْرَةَ الْحَدِيدِ وَالْفَخَّارِ وَالْمَعْدَنِ وَالْفِضَةِ وَالذَّهَبِ وَرَفَعَهَا اَلرِيحُ؛ فَمَا وُجِدَ لَهَا مَوْضِعَ؛ وَلاَكِنَّ اَلْحَجَرُ اَلَّذِي ضَرَبَ اَلصَّنَمَ رَجَعَ جَبَلاً عَظِيمَاً حَتَّى عَمَّرَ وَمَلاَ جَمِيعَ اَلاَرْضِ؛ وَهَذَا هُوَ اَلْحِلْمُ اَو الرُّءِيَا. وَاَمَّا تَفْسِيرُهُ: نَذْكُرُهُ اَيْضَاً بِحَضْرَةِ اَلسُّلْطَانِ:

اَنْتَ يَا سُلْطَان، اَنْتَ سُلْطَانُ سَلاَطِين؛ لاِنَّ اِلَهُ السَّمَاءِ اَعْطَاكَ اَلْقُدْرَةُ وَالْقُوَّةُ وَالْعَظَمَةُ، وَكُلَّ مَا عَمَّرَ اِبْنَاءِ اِلرِّجَالِ وَدوابٌ اَلْفَحْصِ وَطُيُورُ اَلْهَوَاءِ؛ وَضَعَهُ فِي يَدِكَ وَجَعَلَكَ اَمِيراً عَلَى جَمِيعِه، وَاَنْتَ هُوَ ذَلِكَ اَلرَّاسُ مِنْ ذَهَبٍ؛ وَبَعْدُكَ تَقُومُ سَلْطَنَة اُخْرى اَقَلّ وَاَصْغَرُ مِنْكَ؛ فَالْصَدْرُ مِنْ فِضَةٍ؛ وَسَلطَنَةُ ثَالِثَةٌ مِنْ مَعْدَنٍ؛ وَتَتَحَكَّمُ عَلَى جَمِيعِ اِلاَرْضِ؛ وَالسَّلْطَنَةُ اَلرَّابِعَة تَكُونُ قَوِيَةُ مِثْلَ اَلْحَدِيدِ - وَكَمَا أَنَّ الْحَدِيدَ يَغْلَبُ وَيَقْهِرُ جَمِيعَ اَلاَشْيَا وَيِكْسِرُهَا - فَالذَّهَبُ وَالْفِضَةَ يَكْسِرُهُ وَيَدُقَهُ.

---

[١] س: عندي أكثر من العباد.

[٢] هنا يبدأ سقطٌ في س.

وَأَمَّا مَا رَأَيْتَ أَنَّ اَلْقَدَمَيْنِ وَاَلاَصَابعُ بَعْضُهَا فَخَّار وَبَعْضُهَا حَديدٌ؛ (٧١ب) فَالسَّلْطَنَةُ تَنْقَسِمُ: قِسْمٌ قَوِيٌّ وَقِسْمٌ ضَعِيفٌ؛ وَأَمَّا اِمْتِزَاجُ اَلْحَدِيدُ مَعَ شَقَفِ اِلْفَخَّارِ؛ فَيَتَزَوَّجُونَ وَيَمْتَزِجُونَ اَلزَّرْيَعَةَ اَلاَدَمِيَةَ؛ وَلاَكِنْ مَا تَلْتَصِقُ بَعْضُهَا مَعَ بَعْضٍ، وَلاَكِنْ فِي أَيَّامِ هَذَا اَلسَّلاَطِينِ اَلْمُتَاخِرِينَ اَلَّذِينَ لاَ يَمْتَزِجُونَ لِتَكُونَ سَلْطَنَةً قَوِيَةً؛ اَلاِلَهُ اَلسَّمَاءِي يُقِيمُ سَلْطَنَةً لاَ تَنْكَسِرُ وَلاَ تَفْنَا اَبَداً. وَهَذِهِ السَّلْطَنَةُ لاَ تَتْرُكُ لِغَيْرِهَا مِنَ اَلْبِلاَدِ؛ وَهِيَ اَلَّتِي تَهَرِّسُ وَتَفْنِي جَمِيعَ هَذِهِ اِلسَّلْطَانَاتِ؛ وَهِيَ تَدُومُ وَتَبْقَى اِلَى اَلاَبَدِ، كَمَا رَأَيْتَ اَنَّ مِنَ اَلْجَبَلِ قُطِعَ اَلْحَجَرُ بِغَيْرِ يَدَيْنِ وَهَرَّسَ الحَدِيدَ وَالْمَعْدَنَ وَالْفَخَّارَ وَالْفِضَةَ وَالذَّهَبَ؛ اَلاِلَهُ اَلْعَظِيمُ اَظْهَرَ لِلسُّلْطَان مَاذَا يَكُونُ فِي اَلْمَنَال وَالْحِلْمُ حَقٌّ وَتَعْبِيرُهُ صِدْقٌ.

حِينَئِذٍ اَلسُّلْطَان بُخْتُ نَصرْ وَقَعَ عَلَى وَجْهِهِ وَرَكَعَ اِلَى ذَانِيَال؛ وَأَمَرَ بِإِعْطَائِهِ هَدِيَّاتٍ وَتَبَاخِرِ؛ وَكَلَّمَ السُّلْطَانُ اِلَى ذَانِيَال وَقَالَ: اَلصَّحِيحُ أَنَّ اِلَهَكَ هُوَ اِلَهُ اَلاِلَهَاتُ وَرَبُّ اَلسَّلاَطِينَ؛ مُظْهِرُ اَلْعَجَايِبِ وَالْمُعْجِزَاتْ، (٧٢أ) حَيْثُ قَدَرْتَ تُنْبِئُنِي بِهَذِه اِلْمُعْجِزَةِ؛ قَالَ ذَانِيَالُ: لاَنِّي لاَ اَعْبُدُ اَصْنَاماً مَصْنُوعَةٍ بِالْيَدَيْنِ وَلاَكِنْ اَعْبُدُ اِلاَلَهَ اَلْحَي اَلَّذِي خَلَقَ اَلسَّمَوَاتِ وَاَلاَرْضِ وَلَهُ اَمْرٌ عَلَى كُلِّ لَحْمٍ".

اَنْتَهَى مَا تَرْجَمْنَاهُ مِنَ اِلتَّورِيَةِ في هذا الباب[١].

قَالَ سَيِّدِي اَحْمَدُ زُرُّوقْ - نَفَعَ اَللَّهُ بِهِ - فِي هَذَا اَلْمَعْنَى: فَانْظُرْ هَذَا اَلتَّصْرِيحَ اَلْجَلِي اَلْمُطَابِق لِسَيِّدِنَا وَمَوْلاَنَا مُحَمَّد - صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - اِذْ هُوَ اَلَّذِي بعِثَ فِي آخِرِ الزَّمَان وَهُوَ اَلَّذِي نُبُوعَتُه

---

[١] "في هذا الباب"، أضافه الحجري بخطه في الحاشية.

وَمُلْكُ أُمَّتِهِ اَبَدِيٌّ اِلَى قِيَامِ اِلسَّاعَةِ؛ اِذْ لاَ نَبِيَّ بَعْدَه - صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَلاَ نُسْخَ لِشَرْعِهِ اَلشَّرِيفِ مَا بَقِيَتِ اِلدُّنْيَا؛ وَهُوَ اَلَّذِي بُعِثَ لِسَائِرِ اِلاُمَمِ، وَظَهَرَ عَلَيْهَا كُلِّهَا وَخَلَطَ بَيْنَ اَجْنَاسِهَا وَجَعَلَهَا عَلَى اِخْتِلاَفِ أَدْيَانِهَا وَاِخْتِلاَفِ لُغَاتِهَا جِنْساً وَاحِداً؛ وَعَلَى لُغَةٍ وَاحِدَةٍ وَدِيْنٍ وَاحِدٍ؛ اِذْ كُلُّهُمْ يَقْرَءُونَ اَلْقُرءَانَ بِلُغَتِ اِلْعَرَبِ وَبِهَا يُصَلُّونَ اِلَى غَيْرِ ذَلِكَ، وَكُلُّهُمْ يَدِينُونَ بِدِينٍ وَاحِدٍ وَهُوَ دِيْنُ اِلاِسْلاَمِ؛ اَنْتَهَى.

وَاَقُولُ: قَدْ سَمِعْتُ بِبِلاَدِ الاَنْدَلُسْ قَبْلَ خُرُوجِي مِنْهَا مِرَاراً اَلْقَسِيسِينَ وَالرُّهْبَانَ يَخْتَطِبُونَ (٧٢ ب) وَيَذْكُرُونَ اَلرُّءْيَا اَلَّذِي رَأَى بُخْتُ نَصَرْ؛

وَمَا فَسَّرَ اَلنَّبِيُ ذَانِيَال - عَلَيْهِ اِلسَّلاَمُ - وَيَقُولُونَ: اَنَّ سَيِّدِنَا عِيسَى - عَلَيْهِ اِلسَّلاَمُ - هُوَ اَلَّذِي دَلَّتْ عَلَيْهِ اِلرُّءْيَا؛ وَاَنَّ دِينَهُ عَمَّرَ اَلدُّنْيَا؛ وَسَلاَطِينَ دِينِهِ غَلَبُوا سَلاَطِينَ اِلدُّنْيَا؛ وَكَذَّبَهُمْ اَلْعِيَانْ بِصِحَّتِ اِلْبُرْهَانْ بِمَا اَظْهَرَ فِي اَلدُّنْيَا اَلْمَلِكُ اَلدَّيَانْ؛ لَهُ اَلشُّكْرُ وَالْفَضْلُ وَالاِمْتِنَانْ عَلَى عُلُوِ كَلِمَةِ تَوْحِيدِهِ وَاَلاِسْلاَمِ وَخَالِصِ اِلاِيمَانْ.

اَمَّااَلسُّلْطَان بُخْتُ نَصَرْ فَكَانَ فِي مَدِينَةِ بَغْدَاد وَالنَّصَارَى لَمْ تَمْلِك قَطُّ بَغْدَاد وَلاَ كَانَ لَهُمْ فِيْهَا دَارَ مُلْكٍ كَمَا كَانَ لِلْمُسْلِمِينَ. وَاَيْضاً اَنَّ اَلسُّلْطَان رَاَى اَلْحَجَرْ اَلَّذِي هَرَّسَ اَلصَّنَمْ وَعَظُمَ حَتَّى مَلاَ اَلدُّنْيَا كُلَّهَا؛ وَذَلِكَ كَانَ اَلنَّبِي مُحَمَّدٌ - صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَاَهْلُ دِينِهِ لاَنَّهُ هَرَّسَ فِي مَكَّةَ اَلْمُشَرَّفَةَ الاَصْنَام - كَمَا تَقَدَّمَ ذِكْرُ ذَلِكَ - وَلَمْ يُعْبَدْ صَنَمٌ فِي اِلْبِلاَدِ اَلَّتِي دَخَلَهَا اَلاِسْلاَمُ.

وَاَمَّا اَلنَّصَارَى بَعْدَ سَيِّدْنَا عِيسَى - عَلَيْهِ اِلسَّلاَمُ - فَلاَ يَعْبُدُونَ اِلاَّ اَصْنَاماً؛ وَمَا مِنْ كَنِيسَةٍ اِلاَّ لَهَا صَنَامٌ اَوْ اَصْنَام كَثِيرَةٌ؛ وَفِي

صَلاتِهِمْ يَعْبُدُونَ قُرْصَةً مِنْ (٧٣أ) خَالِصِ الدَّقِيقِ وَالْخَمْرَ أَيْضاً – كَمَا تَقَدَّمَ – وكَمَا شَاهدتُهُ سِنِينَ عَدِيدَةٍ. وَالرُّءْيَا مُنْبِئَةٌ عَلَى الْحَجَرِ الَّذِي هَرَّسَ الصَّنَمِ؛ وَهُوَ الاسْلاَمُ؛ لاَ عَلَى مَنْ اَقَامَ الاَصْنَامَ وَعَبَدَهَا: وَهُمْ النَّصَارَى الضَّالِّينَ.

وَقُولُ اَلنَّبِي ذَانِيَال – عَلَيْهِ السَّلاَمُ –: اَنَّ فِي أَيَّامِ السَّلاَطِينِ الْمُتَأَخِرِينَ يَقِيمُ اَللَّه سَلْطَنَةً لاَ تَنْكَسِرُ؛ وَلاَ تَفْنَى أَبَداً وَهِيَ اَلَّتِي تَكْسِرُ وَتَفْنِي جَمِيعَ هَذِهِ السَّلْطَانَات، وَهِيَ تَدُومُ اِلَى الاَبَدِ؛ فَأُبَيِّنُ مَا ظَهَرَ مِنْ ذَلِكَ عَلَى قَدْرِ الاسْتِطَاعِ؛ وَأَنَا اَمَرَنِي الشَّيْخُ الاَثِيرُ الشَّهِيرُ بِمِصْرَ وَغَيْرِهَا: اَنْ لاَ نَكْتُبَ فِي الْمُخْتَصَرِ اِلاَّ مَا وَقَعَ لِي مَعَ الكُفَّارِ مِنَ الْكَلاَمِ، فَهَذِهِ بَيِّنَةٌ وَبُرْهَانٌ بِأَنَّ الاسْلاَمَ عَمَّرَ اَكْثَرَ بِلاَدِ الدُّنْيَا الْمَعْرُوفَةَ فِي زَمَنِ الْقُدَمَا الَّذِي وَقَعَ الْكَلاَمُ عَلَيْهَا؛ اِحْتِرَازاً عَلَى الدُّنْيَا الْجَدِيدَةِ الَّتِي ظَهَرَتْ بَعْدَ ذَلِكَ بِالْمَغْرِبِ الْبَعِيدِ؛ حَيْثُ هِيَ الْهُنُودُ الْمَغْرِبِيَة الَّتِي لَمْ يَدْخُلْهَا الاسْلاَمُ؛ وَجَمِيعُ سُكَّانِهَا الْقُدَمَا مَجُوسٌ يَعْبُدُونَ الشَّمْسَ اَكْثَرَهُمْ؛ اِلَى اَنْ اَدْخَلَ فِيهَا سُلْطَانُ بِلاَدِ الاَنْدَلُسْ اَصْنَامَهُ وَشِرْكَهُ.

وَاَقُولُ: اَنَّ النَّصَارَى تَزْعُمُ اَنَّ الْحَجَرَ الَّذِي هَرَّسَ الصَّنَمَ (٧٣ب) وَعَظُمَ وَعَمَّرَ الدُّنْيَا كُلَّهَا؛ كَانَ سَيِّدُنَا عِيسَى – عَلَيْهِ السَّلاَمُ – وَقَدْ تَحَقَّقْنَا فِي ذَلِكَ مِنْ كُتُبِهِمْ وَمِمَّا يُصَوِّرُونَ فِي الْمَبَّاتِ وَالْكُورِ الاَرْضِيَةِ وَالرَّسَائِلَ الَّتِي قَرَأْتُ عَلَيْهَا.

فَاعْلَمْ أَنَّ الْقُدَمَا فِيمَا مَضَى قَسَمُوا الدُّنْيَا اَرْبَعَةَ اَقْسَامٍ؛ وَكُلُّ قِسْمٍ سَمَّوْهُ بِاسْمِهِ؛ فَسَمَّوْا أُورُوبَة لِلْرُبعِ الْجَوْفِي الَّذِي هُوَ اِلَى جِهَةِ الْقُطْبِ الشِمَالِي؛ وَابْتِدَاؤُهُ مِنَ الْبَحْرِ الاَسْوَدِ اِلَى أَخِرِ بِلاَدِ الاَنْدَلُسْ؛

وَفِي هَذَا اَلرُّبْعِ هِيَ اَلْمَدِينَةُ اَلْعُظْمَى اَلشَّهِيرَةُ فِي اِلدُّنْيَا أنهَا اَعْظَمُ مُدُنِهَا بِاتِّفَاقِ جَمِيعِ اِلْمِلَلِ وَالاَجْنَاسِ اِلْعَارِفِينَ: وَهِيَ اَلْقَسْطَنْطِينِيةُ، حَرَسَهَا اَللّهُ تَعَالَى، وادَمَ عِزّهَا اِلَى اِلاِسْلاَمِ مَا دَامَةِ اَلدُّنْيَا؛ وَالْمُسْلِمُونَ فِي هَذَا اَلرُّبْعِ عَلَى مَا قِيلَ لِي: نَحْوَ اَلْخَمْسِينَ يَوْمًا لِلْمَاشِي اِلْمُتَوسطِ، وَيَحْتَمِلُ أَنّهُ اَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ؛ وَمَا عدَا اَلاسْلاَمِ فَهُوَ لِلنّصَارَى؛ فَالْمُجَاوِرْ لِلاِسْلاَمِ هُوَ سُلْطَانِ اَلاِمَانِيَهْ ؛ وَظَهَرَ لِي اِنّهُمْ اَلصّقَالِبَةَ المَذْكُورُونَ فِي اِلتَوارِيخِ بِالْعَرَبِيَةِ؛ وَبِلاَدُ مُشْقُوبِيَةْ اَلْجَوْفِيَةْ؛ وَبِلاَدُ رُومَةِ بِإِطَالِيَةَ وَبِلاَد اَلْفِرَنْجْ وَفَلَنْضِسْ وبِلاَدْ اَلانْجِلِزِ وَبِلاَدُ اَلانْدلُسْ بِمَا (٧٤أ) لَهَا مِنْ جُزُرٍ فِي اِلْبَحْرِ اِلْمُحِيطِ وَالْبَحْرِ اِلْصّغِيرْ.

وَأَمّا اَلرُّبُعِ اَلثّانِي فَيُسَمّى عِنْدَهُمْ بِالرُّبُعِ الافْرِيقِي: اِسْمٌ مَاخُذٌ اَوْ مُشْتَقٌ مِنْ مَدِينَةٍ عَظِيمَةٍ كَانَتْ فِيمَا مَضَى تُسَمّى بِإِفْرِيقِيَةْ وَبِالْمُعْجَمِ اَفْرِقَهْ. كَانَتْ بِقُرب تُونسْ اَلْمَحْرُوسَةَ بِاللّهِ، وَفِي زَمَنِنَا هَذَا يُسَمّى هَذَا اَلرُّبُعُ عِنْدَ اَلْعَامَةِ بِبِلاَدِ اِلْمَغْرِبِ، وَابْتِدَاءُ هَذَا اَلرُّبُعُ اَلثّانِي مِنْ بَحْرِ سُوَيْسِ وَاَلْبَحْرُ اَلْمُحِيطُ دَائِرٌ بِهِ مِنْ اَلْقِبْلَةِ وَالْمَغْرِبِ وَاَلْبَحْرُ اَلصّغِيرُ مِنْ جِهَةِ اِلْجَوْفِ وَاَلْمَشْرِقِ، وَفِي هَذَا اَلرُّبُعُ اَلْمَغْرِبِي اَكْثَرَ سُكّانَهُ اَلْمُسْلِمُونَ؛ فَأَمّا مِصرْ - اَلْمَحْرُوسَةُ بِاللّهِ - فَهِيَ مِنْ اَعْظَمِ مُدُنْ اَلدُّنْيَا؛ هِيَ مِثْلُ بُرِيشْ بِفَرَنْصَه اِذَا اَضِفْنَا اِلَيْهَا مَصْرُ اَلْعَتِيقُ وَبُولَقْ؛ وَهِيَ تَحْتَوِي عَلَى اَثْنَىْ عَشْرَةَ اَلْفَ قَرْيَةٍ؛ ثُمّ مَغْرِبًا عَنْهَا اِسْكَنْدَرِيَةْ؛ ثُمّ مَغْرِبًا عَنْهَا مَدِينَةُ طَرَابُلسْ؛ وَمَغْرِبًا عَنْهَا مَدِينَةُ تُونُسْ بِمَا تَحْتَوِي عَلَيْهِ مِنَ اَلْبِلاَدِ وَبِلاَدِ اِلْجَرِيدِ؛ ثُمّ مَغْرِبًا عَنْهَا مَدِينَةُ اَلْجَزَايِر بِمَا تَحْتَ حُكْمِهَا مِنَ اَلْبِلاَدِ؛ ثُمّ تِلِمْسَان - وَاِنْ كَانَتْ تَحْتَ حُكْمِ اَلْجَزَايِر - فَكَانَتْ فِيمَا تَقَدّمَ دَارَ مُلُوك (٧٤ ب) ثُمّ مَغْرِبًا عَنْهَا

مَدِينَة فَاس دَارَ اَلْمُلُوك بِمَا يُنْسَبُ اِلَيْهَا مِنَ اَلْبِلاَدِ؛ ثُمّ مَدِينَةُ مَرّاكُشْ فِي صُقْعِهَا قَدْرَ بَرِيشْ بِفَرَنْصَهْ اَوْ اَقَلَ: دَارَ سَلاَطِين اَلْشُرَفَاء.

وَاَدْرَكْتُ خَمْسَ سِنِينَ مِنْ مُدّةِ مَوْلاَىْ اَحْمَد - رَحِمَهُ اَللّهُ - اَلّذِي كَانَ مِنْ يَوْمِ مَاتَ سُلْطَان بُرتَقَالْ اَلنّصرَانِي - حِينَ اَحْرَكَ اِلَى اِلْمَغْرِبِ بِجِيُوشٍ عَظِيمَةٍ - وَمَاتَ هُوَ وَبَقِيَ جَيْشَهُ هُوَ اَسَارَى بِأَيْدِ اِلْمُسْلِمِينَ. وَبَقِي مَوْلاَي اَحْمَد فِي اِلْمَمْلَكَةِ خَمْسَ وَعِشْرِينَ سَنَةَ اِلَى اَنْ مَاتَ عَامْ اِثْنَتَيْ عَشْرَ وَاَلْفُ. وَكَانَتْ تَحْتَ طَاعَتِهِ سَلْطَنَةُ مَرّاكُشْ بِمَا تَحْتَوِي عَلَيْهِ مِنَ الاَقْطَارِ وَسَلْطَنَةُ فَاسْ وَسَلْطَنَةُ سُوسْ اَلاَقْصَى وَسَلْطَنَةُ سِجِلْمَاسَةُ اَلْمَعْرُوفَةُ اَلآنَ بِتَافِلَلتْ؛ وَبِلاَدْ دَرْعَةَ اَقْرَبُ مِنْهَا اِلَى مَرّاكُشْ؛ وَبِلاَدْ تَوَات. وَكَانَ لَهُ بِبِلاَدِ اِلسّوْدَانِ سِلْطَنَتَانِ اَسْتَفْتَحَهَا هُوَ - اَعْنِي اَلسُلْطَانَ اَلْمَذْكُورَ - رَحِمَه اَللّهُ - وَهِيَ مَدِينَةُ تُنْبُكْتُ بِمَا تَحْتَ حُكْمِهَا؛ وَمَدِينَةُ جَاغْ وكُكِيَ؛ وَلَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ خَطِّ اَلاسْتِوَاء اِلاّ نَحْوَ عَشْرِ دَرَج مِنَ اَلْعَرْضِ؛ وَفِي بِلاَدِ اِلْسُودَانِ بِلاَدٌ (١٧٥أ) كَثِيرَةٌ لِلْمُسْلِمِينَ مِنْهَا سَلْطَنَةُ مِلِّي وَهِيَ تَمْتَدُ اِلَى اَلْبَحْرِ اِلْمُحِيطِ؛ ثُمّ سِلْطَنَةٌ عَظِيمَةٌ بِالسّوْدَان لِسُلْطَان بُرْنُ، وَبِلاَدٌ كَثِيرَةٌ لِلْمُسْلِمِينَ مُمْتَدَةٌ مِنْ سَلْطَنَةِ بُرْنُ اِلَى بِلاَدِ اَلْحَبَشَةِ اِلّتِي هِيَ قِبْلَةٌ وَمَشْرِقاً عَنْهَا؛ وَمَا بَقِيَ فِي هَذَا اَلرُّبُع فَهُوَ اَقَلُّهُ فِيهِ مَجُوسٌ وَاَيْضاَ سُلْطَان نصرَانِي.

وَاَمّا مَا تَقُولُهُ اَلْعَامَةُ اَنّ بَنِي أدَمِ اَلْسّوْدَانِيين اَكْثَرَ مِنْ جَمِيعِ اِلْبِيضِ فِي اِلدُّنْيَا؛ فَذَلِكَ بَاطَلٌ وَزُورٌ؛ وَاَظُنُّ اَنّ اَلسّوْدَانِيينَ يَكُونُونَ قَدْرَ عُشُورِ اِلْبِيضِ؛ وَكَذَلِكَ تَكْذِبُ اَلْيَهُود عِنْ وَادِ اِلسّبْتِ؛ وَأَنّ وَرَاءَهُ سَلْطَنَةٌ عَظِيمَةٌ لِلْيَهُود؛ وَأَنّ اَلْوَادُ لاَ يَجْرِي يَوْمَ اَلْسَبْتِ. وَقَدْ

عَرَفَتْ اَلنّاسُ فِي زَمَانِنِا هَذَا اَكْثَرَ مِنَ الاَوَايِلِ فِي اُمُورِ اَلدُنْيَا؛ فَاَمّا اَلْيَهُودُ فَيُصَبِّرُونَ نُفُوسَهَمْ عَنْ ذُلّهِمْ وَخَزْيِهِمْ بِذِكْرِ وَادِ اِلسَّبْتِ، وإذَا سُئِلُوا: فِي اَيّ قُطْرٍ اَوْ جِهَةٍ مِنْ اَلدُنْيَا هُوَ؟ فَلاَ يَعْلَمُونَ مَا يَقُولُونَ.

وَيَمتَدُ هَذَا اَلرُبُعُ اَلاَفْرِيقِي اِلَى طَرَفِ حُسْنَ اَلرّجَا اَلّذِي هُوَ سَبْعَ وَثَلاَثُونَ دَرَجَةٌ اِلَى اَلْجَنُوبِ مِنْ (٧٥ ب) خَطّ اَلاِسْتِوَاء وَيَضِيقُ اَلاَرْضُ مِنَ اَلْجَانِبِينِ اِلَى اَنْ يَكُونَ كَرُكْنٍ وَاَلْبَحْرُ اَلْمُحِيطُ دَائِرٌ بِهِ، وَاَيْضاً اَلْبَحْرُ اَلصَّغِيرُ، وَبَحْرُ سَوَيْس، كَمَا ذَكَرْنَا.

وَأَمّا نِصْفُ اَلدُنْيَا تُسَمّى بِالْعَجَمِيَةِ بِأَشِيَهْ؛ وَفِيهَا لِلْمُسْلِمِينَ بِلاَدُ اَلشّام وَمَكّةَ وَاَلْمَدِينَةَ وَاَلْحِجَاز وَاَلْيَمَن وَبِلاَدَ اَلتُرْكِ اَلشّهِيرَةُ بَرَكَتِهَا - وَلاَ اَعْرِفُ اَقْطَارِهَا - وَعِرَقْ عَرَبْ وَعِرَقْ عَجَمُ وَبَغْدَاد وَمَا تَحتَوِي عَلَيْهِ مِنَ الاَقْطَارِ، وَبِلاَدُ هَرْمُوسْ وَسُلْطَان حَضْرَمَوْت وَسَلْطَنَةُ قِشِنٍ وَسَلْطَنَةُ ضَفَرْ وَبِلاَدُ اَلاِمَام نُعْمَان، ثُمّ بِلاَدُ اَلهِنْدِ وَخُرَسَان وَبِلاَدُ فَارِسْ وَمَا لَهَا مِنَ اَلاَقطَارِ وَمَا وَرَاءَ اَلنَهَر وَسَمَرْقَنْد وَبُخَارَة وَأُسْبَكْ وَبِلاَدْ اَلطَطَرْ تَاخُذْ مِن اَلدُنْيَا حَاضاً وَافِراً، وَسُلْطَان جَلاَلُ اَلدّين فِي اِلهُنُودِ: سُلْطَانٌ عَظِيمٌ اَلّذِي يَذْكُرُونَ عَنْهُ اَنّ لَهُ أَفْيَالاً لِلْحُرُوبِ؛ كَمَا ذَكَرَ لِي بَعْضُ اَلْهِنْدِيِينَ فِي جَامِعْ اِلاَزْهَرِ بِمِصْرَ، وَذَكَرَ لِي رَجُلٌ اَنْدَلُسِي بِمَكّةَ اَلْمُشَرّفَةَ: أَنّهُ خَدَمَ سُلْطَانِينِ مُسْلِمَينِ سِنِينَ (٧٦أ) غَيْرَ سُلْطَانِ جَلاَلُ اَلدّينِ.

وَكَمْ مِنْ اَقْطَارٍ وَبِلاَدٍ لِلْمُسْلِمَينَ غَيْرَ مَا ذَكَرْنَا لِجَهْلِي بِهَا؟ وَكُلّمَا ذَكَرْنَا فَهِيَ فِي اِلاَرْضِ اَلْكُبْرَى اَلْمُتَصِيلَةَ لِلْمُسْلِمِينَ.

وَفِي اِلْمَبّاتْ اَلّتِي تُصَوّرُ اَلنّصَارَى؛ وَاَلْكُورِ اِلاَرْضِيَةِ فِيهَا: كُلُّ مَدِينَةٍ مُصَوّرَةٍ وَمَكْتُوبٌ اِسْمُهَا بِطُولِهَا وَعَرْضِهَا؛ وَكَذَلِكَ اَلْوِيدَان

وَالاَبْحُر - كَمَا تَقَدَّمَ -؛ وَفِيهَا فِي الاَرْضِ الْكُبْرَى الْمُتَّصِلَةَ مِنْ بِلاَدِ لِلْمُسْلِمِينَ؛ بِمَا تَاخُذُ مِنَ الرُّبُعِ الْمَغْرِبِي وَهِيَ نِصْفُ الدُّنْيَا الَّتِي قُلْنَا تُسَمَّى بِأَشِيه نَحْوَ الْمِائَةِ وَارْبَعِينَ دَرَجَةً اوْ اكْثَرُ طُولاً، وَالْمَحْسُوبُ لِكُلِّ دَرَجَةٍ مِنَ الاَرْضِ اِثْنَانِ وَخَمْسِينَ مِيْلاً وَنِصْفُ لِلْمَاشِي عَلَى خَطٍّ مُسْتَقِيمٍ مِنْ غَيْرِ صُعُودِ جَبَلٍ وَلاَ اِنْجِرَافٍ؛ وَيَكُونُ بِتَقْرِيبٍ لِكُلِّ دَرَجَةٍ ثَلاَثَةُ ايَّامٍ لِلْمَاشِي الْمُتَوَسِطِ، كَمَا قَدَّرْنَا لِطُولِ بِلاَدِ الاَنْدَلُسْ ثَلاَثِينَ رَحْلَةً طُولاً؛ وَدَرَجِ طُولِهَا عَشْرَ أَوْ اِحْدَى عَشْرَةَ دَرَجَةً بِحِسَابِ الرِّحْلاَتِ الْمَشْهُورَةِ فَهِي ثَلاَثُونَ يَوْماً بِتَقْرِيبٍ؛ وَجَاءَ لِكُلِّ دَرَجَةٍ (٧٦ ب) ثَلاَثَةُ ايَّامٍ، كَمَا قُلْنَا؛ وَنَحْسِبُ لِلاَرْضِ الْمُتَّصِلَةِ الْعَامِرَةِ بِالْمُسْلِمِينَ ارْبَعُ مِائَةِ وَعِشْرِينَ يَوْماً.

وَقَدْ جَاءَ رَسُولٌ مِنْ بِلاَدِ فَلَمِنْكِ اِلَى مَوْلاَيْ زَيْدَان اِبْنُ مَوْلاَيْ اَحْمَد - رَحِمَهُمَا اللّهُ - اِلَى مَدِينَةِ مَرَّاكُشْ؛ وَكِتَابُ رِسَالَتِهِم عَجَمِي؛ وَامَرَنِي السُّلْطَان انْ أُعَرِّبَهُ؛ وَمِنْ اجْلِ ذَلِكَ كَانَ الرَّسُولُ يَظْهِرَ لِي مَحَبَّةً. وَرَأَيْتُ عِنْدَهُ كُتُباً بِالْعَرَبِيَةِ؛ وَهُوَ يَقْرَا وَيَكْتُبُ بِهَا؛ فَسَأَلْتُهُ أَيْنَ تَعَلَّمَ ذَلِكَ؟

قَالَ: اَعْلَمْ اِنَّنِي كُنْتُ فِي جَزِيرَةِ كَذَا مِنْ جُزُرِ الْهُنُودِ الْمَشْرَقِيَةِ الَّتِي يَاتُوا مِنْهَا بِالْقَرْفَةِ وَالْقَرَنْفَل وَالْجَوْزَ وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنْ الاَبَازِير وَهِيَ لِلْمُسْلِمِينَ؛ وَهُنَالِكَ تَعَلَّمْتُ نَقْرَا.

قُلْتُ لَهُ: وَهَلْ فِي تِلْكَ الْجُزُرِ مُسْلِمُونَ؟

قَالَ: فِيهَا؛ وَفِي كُلِّ جَزِيرَةِ سُلْطَانٌ مُسْلِمٌ؛ وَفِي بَعْضِ الْجُزُرْ سُلْطَانَان.

فَاستَغْرَبْتُ ذَلِكَ؛ وَحَلَفَ بِدِينِهِ وَمَا يَعْبُدُ أَنَّ فِي تِلْكَ اَلْجُزُرِ اَكْثَرَ مِنْ عَشْرَةِ آلاَفِ جَزِيْرَةٍ لِلْمُسْلِمِينَ؛ فَتَوَقَّفْتُ فِي اِلاَمْرِ؛ ثُمَّ قُلْتُ: ثَلاَثَتُ مَسَائِلِ تَدُلُّ عَلَى صِدْقِهِ: اِلاوْلَى: اَنَّهُ كَانَ يَقْرَا (١٧٧) وَيَكْتُبُ بِالْعَرَبِيَةِ؛ وَيَحْتَاجُ اِلَى ذَلِكَ سِنِينَ وَلَيْسَ بِفَلَنْضِسْ اِلاَّ اَلَّذِي سَنَذْكُرُهُ يَقْرَا بَالْعَرَبِيَةِ وَهُمَا رَجُلاَنِ فَقَطْ، وَالثَّانِيَةُ: أَنَّهُ كَانَ رَسولاً وَاَلْمُلُوكُ لاَ تَبْعَثُ مَنْ هُوَ سَفِيهٌ بِرِسَالَةٍ؛ اَلثَّالِثَةُ أَنَّهُ نَصْرَانِي عَدُوٌّ فِي الدِّينِ وَلَيْسَ مِنْ عَادَةِ اِلنِّصَارَى تَعْظِيمُ اَلْمُسْلِمِينَ؛ وَاِذَا شَهِدَ لَكَ عَدُوُّكَ بِمَا تُحِبُّ فَيُقْضَى لَكَ بِالْغَلْبِ؛ وَاِذَا قُلْنَا هَذَا زَادَ كَثِيراً؛ فَنَاخُذُ العُشْرَ مِمَّا قَالَ وَيَبْقَى مِنَ اِلْحِسَابِ اَلْفُ جَزِيْرَةٌ؛ كُلُّ وَاحِدَةٍ بِسُلْطَانٍ مُسْلِمٍ.

وَقَرَاتُ فِي بَعْضِ كُتُبِ النِّصَارَى أَنَّ جُزُرْ اَلْهُنُودِ اَلْمَشْرِقِيَة هِيَ اَكْثَرَ مِنْ اَلْفِ وَثَلاَثُ مِائَةِ جَزِيْرَةٍ.

وَقَدْ طَالَعْت كِتَاباً عَجَمِياً لِبِدْرُ طَشَايِرَ - نَصْرَانِي؛ وَذَكَرَ فِيهَ اَنَّهُ رَكِبَ اَلْبَحْرَ بِبِلاَدِ بُرْتُقَالْ مِنْ بِلاَدِ اَلاَنْدَلُسْ؛ وَمَشَى اِلَى اَلْهُنُودِ اِلْمَغْرِبِيةِ ثُمَّ مَشَى فِي بِلاَدِهَا اِلَى اَنْ قَطَعَهَا بَرّاً، ثُمَّ رَكِبَ اَلْبَحْرَ اِلْمُحِيطُ وَمَشَى فِيهِ مَغْرِباً زَمَناً فِي اَلْبَحْرِ بَيْنَ اَلْجُزُرِ اَلْمَغْرِبِيَةِ اِلَى اَنْ خَرَجَ بِقُرْبِ بَغْدَادِ (٧٧ ب) وَجَاءَ فِي اِلْبَرِّ مِنْ بِلاَدِ اِلْمُسْلِمِينَ اِلَى بَحْرِ اَلرُّومِ - اَظُنُّ اَنَّهُ ذَكَرَ اَلَى حَلَبِ - وَرَكَبَ فِي اَلْبَحْرَ وَمَشَى اَلَى بَلاَدِ اَلنِّصَارَى؛ وَكَمَّلَ سَفَرَهُ بَرّاً وَبَحْراً اِلَى اَنْ دَارَ بِالدُّنْيَا دَائِرَةَ كَامِلَةَ؛ وَكَانَ رَجُلاً حَكِيماً، وَكَتَبَ مَا رَأَى. وَمِنْ جُمْلَةِ مَا ذَكَرَ فِي كِتَابِهِ: اَنَّ فِي جَزِيرَةٍ كَبِيرَةٍ مِنْ جُزُرْ اِلْمَشْرِقِ؛ دَخَلَ اَلاِسْلاَمُ فِيهَا قَبْلَ هَذَا اَلْعَهْدِ بِنَحْوَ اَلْمِائَةِ وَثَلاَثِينَ سَنَةً؛ وَاَلْجَزِيرَةُ

تُسمّى بِجَاوُشْ وَصَارُوا مُسلِمِينَ؛ وَكَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ يَاكُلُونَ لَحْمَ بَنِي أَدَم.

وَالْحَمْدُ لِلّهِ اَلَّذِي اَعلَمَنَا وَاَشْرَحنَا بِعمَارَةِ اَكْثَرْ اَلدُّنْيَا اَنهَا لِلْمُسلِمِينَ، وَاَنهُمْ اَلَّذِينَ لاَ يَتَبَدّلَ مُلْكَهُمْ اِلَى تَمَامِ الدُّنْيَا. وَلَيْسَ هَذَا مِنَ اَلْعَجَبِ فِي اَخْذِ تِلْكَ اَلْجُزُرْ اَلْكَثِيرَةِ مِنْ اَيْدِ اَلْكُفَّارِ؛ لاَنَّ اَلْمُسلِمِينَ مَامُورُونَ بِالْجِهَادِ لِلْكُفَّارِ وَاَلْمُشْرِكِينَ؛ قَوْلُهُ تَعَالَى: «جَاهِدِ الكُفَّارَ وَالمُنَافِقِينَ وَاَغْلُظْ عَلَيْهِمْ»، فَالْمُسلِمُونَ مَنْصُرُونَ مِنَ اَللَّهِ بِالْجِهَادِ لِلْكُفَّارِ وَبِتَرْكِهِ يَبْتَلِيهِمْ اَللَّهُ فِيمَا بَيْنَهُمْ؛ لِقَوْلِ اَلنَّبِي - صَلّى اَللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ - : «مَا تَوَاطَأَتْ قَوْمٌ عَلَى تَرْكِ اَلْجِهَادِ (١٧٨أ) اِلاَّ ابْتَلاَهُمْ اَللَّهُ فِيمَا بَيْنَهُمْ». وَقَدْ شَاهَدْنَا شَيْئاً مِنْ ذَلِكَ.

وَبَقِيَ وَاضِحٌ اَنَّ اَلْحَجَرَ اَلَّذِي كَسرَ الصَّنَمْ وَعَظُمَ حَتّى عَمَّرَ اَلدُّنْيَا كَانَ اَلنَّبِى مُحَمَّدٌ - صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَأَهْلُ دِينِهِ وَلَمْ يَكُنْ سَيِّدْنَا عِيسَى - عَلَيْهِ اِلسَّلاَمُ - وَلاَ اَلنَّصَارَى اَلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ عَلَى دِينِهِ.

وَكُلُّ وَاحَدٍ مِنْ سَلاَطِينِ اِلنَّصَارَى يَرْتَعِدُ وَيَخَافُ مِنْ سَلاَطِينِ اَلاِسْلاَمِ وَالَّدِينِ اَلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ رَبِّ اِلْعَالَمِينَ: وَهُمْ اَلسَّلاَطِين اِلْفُضَلاَ اَلْعُظَمَا اَلْعُثْمَانِيُون اَلتُرْكِيُون. وَقَدْ تَقَدَّمَ لَنَا ذِكْرُ مَا رَأَيْتُ وَفَهِمْتُ مِنَ اَلنَّصَارَى فِي بِلاَدِهِمْ مِنَ اَلْخَوْفِ اِلْعَظِيمِ اَلَّذِي فِي قُلُوبِهِمْ مِنْهُمْ؛ وَرَأَوْا مُلُوكِ اِلنَّصَارَى اَنّهُ يُلِيقُ بِهِمْ صُحْبَتَهُمْ عَلَى وَجْهِ اِللِّينِ وَاللُّطْفِ. حَتّى اَنّ كُلّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ يَبْعَثُ رَسُولَهُ لِيَقْعُدَ عَلَى اَلدَّوَامِ وَالاِستِمْرَارِ فِي اِلْقُسْطَنْطِينِيَةِ اِلْعُظْمَى يَطْلُبُ مِنْهُمْ اَلصُّلْحَ وَاِلرِضَى عَنْهُمْ؛ وَهُمْ - نَصرَهُمْ اَللَّهُ وَخَلّدَ مُلْكَهُمْ وَجَعَلَ اَلنَّصَارَى وَاَلْكُفَّارَ

الاَعْدَا تَحْتَ اَقْدَامِهِمْ - لاَ يَبْعَثُونَ رَسُولاً لِكَافِرٍ عَلَى وَجْهِ الْقُعُودِ فِي بِلاَدِهِمْ، وَصَحَّ (٧٨ ب) أَنَّ سُلْطَان اِشْبَّانِيَة - وَهِيَ بِلاَد الاَنْدَلُسْ - اَرَادَ اَنْ يَبْعَثَ رَسُولاً لِلْقُعُودِ مِثْلَ سَايِرِ مُلُوكِ النَّصَارَى وَلَمْ يَقْبَلُوهُ؛ لَمَّا تَحَقَّقُوا مِنْ عِدَاوَتِهِ لِلاِسْلاَمِ وَغَدْرِهِ فِيمَا مَضَى مِمَّا صَدَرَ مِنْهُمْ مَعَ سُلْطَان اَلْهُنُودِ الْمَغْرِبِيَة بِمَدِينَة مِشِقْ[1] اَلْمُسَمَّى مُتَشُمَه؛ اِذْ مَشَوا اِلَيْهِ بِهَدِيَةٍ وَقَتَلُوهُ. وَالْعُهُود اَلَّذِي عَاهَدَ اَلْمُسْلِمِينَ الاَنْدَلُسْ حِينَ اَخَذَ بِلاَدَهُمْ ثُمَّ نَكَثَهَا ، وَأَنَّ حِينَ اَمَرَ عَلَى الاَنْدَلُسْ بِالْخُرُوجِ مِنْ بِلاَدِهِ؛ كُلَّ مَنْ عَلِمَ بِهِ اَنَّهُ يَمْشِي اِلَى بِلاَدِ الْمُسْلِمِينَ اَخَذَ لَهُمْ الاَوْلاَدَ: كُلُّ مَنْ كَانَ مِنْ اَقَلِّ مِنْ عَشْرَ سِنِينَ اَوْ نَحْوَ ذَلِكَ؛ وَغَيْرُ ذَلِكَ مِمَّا ذُكِرَ عَنْهُمْ فِي اَخْذِ مَدِينَةِ مِلاَنْ. وَلَمْ يَكُنْ لِسَلاَطِينِ اَلْمُسْلِمِينَ اَعْدَا وَلاَ اَضَرُّ مِنْ سَلاَطِينِ اِشْبَانِيَة. وَيَضُرُّونَ سَلاَطِينَ اَلْمُسْلِمِينَ وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ وَذَلِكَ بِمَا لَهُ مِنَ الْقُوَّةِ بِالْمَالِ ، نَسْئَلُ اَللَّهَ اَلْعَظِيم بِبَرَكَةِ نَبِيِّهِ مُحَمَّد - عَلَيْهِ اَفْضَل اَلصَّلاَةِ وَالتَّسْلِيم - اَنْ يَنْصُرَ سَلاَطِينَ اَلْمُسْلِمِينَ[2] عَلَى اَلْقَوْمِ اَلْكَافِرِينَ نَصْراً تُعِزُّ بِهِ اِلدِّينْ يَا رَبَّ اَلْعَالَمِينْ ،

وَقَدْ ذَكَرَ فِي كِتَابِ الْجَنْشِيشْ مِنْ كُتُبِ اِلتَّوْرِيَةِ (٧٩أ) فِي اِلْبَابِ اِلسَّادِس عَشَر؛ قَالَ: "وَكَلَّمَ اَلْمَلَكُ مِنْ عِنْدِ اِللَّهِ لِهَاجَرْ فِي اِلْبَرِّيَة بِقُرْبِ عَيْنِ مَاءٍ؛ قَرِيباً مِنْ عَيْنِ طَرِيقِ اِلْقِبْلَةِ، وَقَالَ لَهَا: يَا هَاجَرْ مِنْ أَيْنَ جِئْتَ وَاَيْنَ تَمْشِي؟ قَالَتْ: هَرَبْتُ مِنْ شَرِّ سَيِّدَتِي. قَالَ لَهَا اَلْمَلَكُ: اَرْجِعِي اِلَى سَيِّدَتِكِ وَاَخْضَعِي اِلَيْهَا؛ وَقَالَ لَهَا اَلْمَلَكُ: تَكُونُ

---

[1] يريد: المكسيك.

[2] هنا ينتهي السقط.

زَرِّيعَتِك حَتَّى لاَ يُحْصَى عَدَدَهَا مِنْ كِثْرَتِهَا؛ وَقَالَ لَهَـا: اَنْـتِ حَمَلْـتِ وَتَلِدُ اِبْنَاً وَتُسَمِّيهِ[١] اِسْمَاعِيل؛ لاَنَّ اَللَّـهُ سَمِـعَ حُزْنَـكِ؛ وَيَكُـوْنُ رَجُـلاً قَوِياً؛ يَـدَهُ عَكْسَ اَلْكُـلِّ وَاَيْدِي اِلْجَمِيـعِ عَكْسَـهُ. وَيَسْكُنْ قُدَّام جَمِيـعِ اِخْوَانِهِ".

وَوَلَدَتْ هَاجَر اِسْمَاعِيلَ لِسَيِّدِنَا اِبْرَاهِيـم[٢] وَسَـمَّى اَبْنَـهُ اِسْمَاعِيل. وَلَمَّا بَلَغَ سَيِّدُنَا اِبْرَاهِيمُ مِائَةَ سَنَةِ وُلِدَ لَهُ اِسْحَاق[٣] مِنْ سَارَةِ. وَقَالَ فَي اِلْكِتَابِ اِلْمَذْكُورِ فِي اَلْبَابِ اَلْوَاحِدِ وِالعِشْـرِينَ: "وَقَـامَ سَيِّدِنَا اِبْرَاهِيـمُ مِنْ اَلْصُّبْحِ وَأَخَذَ خُبْزَاً وَجَلْدَ مَاءِ وَأَعْطَاهُ اِلَى هَاجَر وَوَضَـعَ اَلطِّفْل اَبْنَهُ عَلَى كَتْفِهَا وَبَعَثْهَـا وَمَشَـتْ وَتُلِفَتْ فِـي فَحْـص بَرْشَـبَاوَفَرَغَ لَهَـا اَلْمَـاءُ مِـنَ اَلْجِلْـدِ وَتَرَكَـتْ (٧٩ ب) اَلطِّفْل[٤] تَحْـتَ شَـجَرَةِ وَذَهَبَـتْ؛ وَجَلَسَتْ قُبَالَتَهُ عَلَى بُعْدِ رَمْيِ قَوْسِ؛ وَهِيَ تَقُولُ: مَا نَرَى اِلاَ الطِّفْل[٥] يَمُوتُ. وَجَلَسَتْ وَرَفَعَتْ صَوْتَهَا وَبَكَتْ[٦]؛ وَسَمِعَ اَللَّهُ صَـوْتَ اَلطِّفَل وَقَالَ مَلَكُ اَللَّهِ مِنَ اِلسَّمَاءِ: مَالَكِ يَا هَاجَر؟ لاَ[٧] تَخَـافِي اِنَّ اَللَّـهَ سَـمِعَ صَوْتَ اَلطِّفَل مِنْ حَيْثُ هُوَ؛ فَقُمْ وَارْفَعْ اَبْنَكِ؛ وَخُذْهُ[٨] مِنْ يَدِهِ لاِنَّهُ فِي

---

[١] س: وسميه.

[٢] س: عليه السلام.

[٣] س: عليه السلاك.

[٤] كتب الحجري "الولد" فوق كلمة "الطفل".

[٥] كتب الحجري أيضاً كلمة "الولد" فوق كلمة "الطفل".

[٦] س: بالبكاء .

[٧] س: فلا .

[٨] س: فقمي وارفعي ابنك وخذيه.

كَبِيرِ قَوْمٍ يَكُونُ[١]. حِينَئِذٍ فَتَحَ اَللّٰهُ عَيْنَيْهَا وَاَبْصَرَتْ عَيْنَ مَاءٍ وَعَمَّرَتْ اَلْجِلْدَ مِنَ اَلْمَاءِ وَأَعْطَتْ اَلْوَلَد يَشْرُبُ؛ وَأَصْلَحَ اَللّٰهُ اَلْوَلَدَ؛ وَكَبَرَ فِي اِلْخَلاَء؛ وَكَانَ رَامِياً بِالْقَوْسِ".

وَقَالَ فِي اِلْكِتَابِ اِلْمَذْكُورِ فِي بَابِ خَمْسَ وَعِشْرِينَ: "وَهَذِهِ اَسْمَاءُ أَوْلاَدِ اِسْمَاعِيل اِبْنَ اِبْرَاهِيم: أَوَّلُ اَوْلاَدِ سَيِّدِنَا اِسْمَاعِيل كَانَ: نَبْيُو فَتَحْ وَاسْدَرْ وَادْبَ وَاَلإمْبَشَمْ وَمَشْ وَمَبْدُ مَشْمَشَا اَدَدْ اتْهُمَا اَجَتْهُر وَنَافِشْ وَوَسْدَمَا. فَهِيَ أَسْمَاءُهُمْ؛ فَكَانُوا فِي بِلاَدِهِمْ وَدِيَارِهِمْ اِثْنَا عَشَرَ: جَمِيعُ اَلاخْوَانِ وَكُلُّ وَاحِدٍ عَمِلَ قَبِيلَةٍ وَبَلَد[٢] (١٨٠أ) وَحْدَهُ"، اَنْتَهَى.

وَذَكَرَ فِي اِلتَّوْرَيَةِ فِي اِلْكِتَابِ اِلثَّانِي لِلْمُلُوكِ فِي اَلْبَابِ اِلثَّانِي وَالْعِشْرِين: "اَنَّ اَلسُّلْطَان يُشيَشْ كَانَ بِبَيْتِ اِلْمَقْدِس؛ بَقِيَ بِهِ سُلْطَاناً اَحْدَى وَثَلاَثِينَ سَنَةً. وَفِي اِلسَّنَةِ اِلثَّامِنَةِ عَشَر بَعَثَ اَلسُّلْطَان لِشَافَنْ بَنْ اَزَلْيَهْ – مِنَ اَلْكُتَّابِ – لِلْبَيْتِ اِلْمُقَدَّسِ لِيَبْنُوا وَيُصْلِحُوا مَا فَسَدَ فِيهَا. وَقَالَ اَلْحِبْرُ حِلْكِهُ لِشَافَان[٣]: وَجَدْتُ كِتَابَ اَلدِّين فِي بَيْتِ اِللّٰهِ وَهُوَ هَذَا اَعْطِهِ[٤] لِلسُّلْطَان. فَقَالَ: حِلْكِهُ اَلْحِبْرُ اَعْطَانِي هَذَا اِلْكِتَابَ. وَقَرَاهُ اَلسُّلْطَان؛ وَلَمَّا سَمِعَهُ قَطَّعَ اَللِّبَاسَ اَلَّذِي كَانَ عَلَيْهِ وَاَمَرَ بِكَسْرِ اِلاَصْنَام. وَأَمَرَ جَمِيعَ اَلنَّاسِ اَنْ يَعْمَلُوا عِيداً. وَلَمْ يُعْمَلْ مِثْلَهُ فِي زَمَن[٥] اِلسَّلاَطِينِ اِلاَّ فِي زَمَنِ اِلْحُكَّامِ حِينَ كَانُوا فِي اِلتِّيهِ".

---

[١] س: لأن نجعله في كبير قوم.

[٢] س: بلداً.

[٣] س: لشافن الكاتب .

[٤] س: فأعطاه السلطان.

[٥] س: زمان .

وَيَظْهَرُ مِـنْ هَـاذَا اِنَّ اِلتَّوْرَيَـةَ لَيْسَ كَـانَتْ عِنْـدَ اَلنَّـاسِ فِي تِلْـكَ اَلاَزْمِنَةِ؛ وَكَيْفَ يُثَبِّتُـونَ[١] أَنَّ هَـذَا هِـيَ اَلَّتِـي كَـانَتْ فِـي زَمَـنِ سَـيِّدِنَا مُوسَى - عَلَيْهِ اِلسَّلاَمُ . وَاَلْحَمْدُ لِلَّهِ وَالشُّكْرُ لَهُ أَنَّ اَلْقُـرءَانَ اَلْعَزِيـزَ كَانَ فِي كُلِّ بَلَدٍ مِنْ بِلاَدِ اَلْمُسْلِمِينَ مَوْجُـوداً؛ وَكَـانَ عِنْدَنَـا[٢] بِبِـلاَدِ (٨٠ ب) اِلاَنْدَلُسْ مَعَ اَلْحُكْمِ اِلْقَوِّي وَاِلْحِرْصِ اِلشَّدِيدِ مِنَ اَلْكُفَّارِ عَلَى مَنْ يَظْهَرَ عِنْدَهُ يَقْتُلُونَهُ وَيَأْخُذُوْنَ مَالَـهُ[٣] وَيَحْرَقُونَـهُ. وَمَضَـتْ اَكْثَرَ مِنْ مِائَةِ سَنَةٍ مِنْ حِينَ مَنَعُوهُ وَهُـوَ مَوْجُـودٌ. وَصَـدَقَ اَللَّـهُ اَلْعَظِيـمُ؛ قَوْلُهُ تَعَالَى: "نحن نزلنا القرآن وانا له لحافظون"[٤]. وَتَقَدَّمَ لَنَـا[٥] أَنَّ فِـي اِلْكِتَـابِ اِلْمُسَمَّى بِلِبِتَقْ مِنْ كُتُبِ اِلتَّوْرَيَةِ فِي اِلْبَابِ اِلْعَاشِرِ فِي اِلْمَقَالَةِ اِلثَّامِنَـةِ، قَـالَ: "كَلَّمَ اَللَّهُ هَارُون قَـائِلاً: اَنْـتَ وَأَوْلاَدِكَ مَعَـكَ لاَ تَشْـرَبُوا خَمْـراً وَلاَ مُسْكِراً إِذَا ارَدْتُمْ اَلدُّخُول فِي اِلْجَامِعِ وَمَا تَمُوتُونَ؛ هَذَا امْـرٌ اِلَـى اَلاَبَدِ لِكُلِّ مَنْ يَتَنَسَّلَ مِنْكُمْ. هَذَا لِتُفَرِّقُوا وَتُمَيِّزُوا بَيْنَ اَلصَّلاَحِ وَالْفَسَادِ وَبَيْنَ اَلطَّاهِرِ وَالنَّجِسِ وَلِتُعَلِّمَ بَنِي اِسْرَائِيلَ وَتُبَيِّنَ لَهُمْ مَا اَمَرَهُـمْ اَللَّـهُ بِهِ عَلَى يَدَيْ مُوسَى".

فَانْظُرْ هَذَا اَلْقَوْلَ اَلصَّرِيحِ عَلَى اَلْخَمْرِ وَالْمُسْكِرِ أَنَّهُ نَجِسٌ وَأَنَّـهُ مُفْسِدٌ، وَجَمِيعُ اِلْيَهُودْ يَشْرَبُونَهُ. وَانْظُرْ مَا تَقَدَّمَ مِنْ قَوْلِ اِلْمَلَكِ اَلَّـذِي جَاءَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ اِلَى سَيِّدِنَا زَكَرِيَا - عَلَيْـهِ اِلسَّـلاَمُ - وَقَـالَ لَـهُ: اَنَّ اَللَّهَ قَبِلَ دُعَـاءَكَ وَامْرَاتُـكَ اَلْيَاصِبَـاتْ (٨١أ) تَلِدُ اِبْنـاً يُدْعَـى بِأَسْـمِهِ

---

[١] س: يتبت .

[٢] ناقصة في س .

[٣] "ويأخذون ماله" ، ناقصة في س .

[٤] الصواب: "نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون".

[٥] "لنا" ، ناقصة في س .

يُوحَنَّا – وَعِنْدَنَا فِي اَلْقُرءَانِ اِلْعَزِيزِ اِسْمُهُ يَحْيَى[١]– وَيَكُونُ لَهُ فَرَحٌ عَظِيمٌ وَتَهْلِيلٌ؛ وَكَثِيرٌ يَفْرَحُونَ بِمَوْلِدِهِ؛ وَيَكُونُ[٢] عَظِيماً قُدَّام اَلرَّبِّ لاَ يَشْرَبُ خَمْرَاً وَلاَ مُسْكِراً"، وَهَذَا فِي اِلاِنْجِيلِ.

فَالْيَهُودُ[٣] تَتَعَامَى عَلَى مَا عِنْدَهُمْ فِي اِلتَّوْرَيَةِ مِنَ اَلْمَنْعِ وِالتَّبْيِينِ اِنَّهُ نَجِسٌ[٤] وَيُحَلِّلُونَهُ لِنُفُوسِهِمْ اَلنَّجِسَةِ. وَالنَّصَارَى تَقْرَا هَذَا النَّصَّ فِي اِلتَّوْرَيَةِ وَتَقْرَا اَيْضاً مَا فِي[٥] الاِنْجِيلِ مِنْ قَوْلِ اِلْمَلَكِ عَنْ يَحْيَى – عَلَيْهِ اِلسَّلاَمُ – اِنَّهُ لاَ يَشْرَبُ خَمْراً وَلاَ مُسْكِراً. وَتَعْتَقِدُ الحِلِّيَةَ وَالطَّهَارَةَ فِي اَلْخَمْرِ؛ حَتَّى لاَ تَجُوزُ اِلصَّلاَةُ عِنْدَهُمْ اِلاَّ بِهِ. فَاشْكُرَ اَللَّهَ اَيُّهَا الاَخُ اَلْحَبِيب عَلَى مَا وَجَدْتَ فِي هَذَا اَلْكِتَابِ مِنَ اَلتَّبْيِينِ عَلَى دِينِ اِلاسْلاَمِ أَنَّهُ خَيْرَ اَلاَدْيَانِ.

وَالْتَقَيْتُ بِمُسْتَرْضَمْ بِفَلَنْضِسْ بِحِبْرِ مُفْتِي اِلْيَهُودِ؛ مَشَى[٦]اِلَيْهِمْ مِنْ بِلاَدِ اِلْمَشْرِقِ. وَقَالَ لِي: – فِي اِثْنَاءِ اِلْكَلاَمِ عَنِ سَيِّدْنَا مُوسَى– عَلَيْهِ اِلسَّلاَمُ – أَنَّه عَمَلَ ذَنْباً عَظِيماً[٧].

قُلْتُ لَهُ: اَلانْبِيَاءُ – عَلَيْهِمْ (٨١ ب) اِلسَّلاَمُ – مُنَزَّهُونَ عِنِ اِلذُّنُوبِ؛ وَكَيْفَ تَقُولُ اَنْتَ هَذَا اَلْكَلاَمِ؟

---

[١] س: تلد ابنا لك يدعى يحيى ويكون لك فرح كثير عظيم وتهليل .

[٢] أعاد الحجري كتابة "لك فرح عظيم وتهليل وكنت" هنا وشطب عليها.

[٣] س: فأما اليهود .

[٤] س: نجس ومفسد .

[٥] س: تقرأ أيضا في الإنجيل .

[٦] س: جاء إليهم .

[٧] س: كبيراً .

قَالَ: نَعَمْ، لانَّهُ كَانَ يُوَبِّخ بَنِي اِسْرَائِيلَ؛ وَيَقُولُ فِيهِمْ: اَنَّهُمْ قَوْمٌ قَاسِحُونَ، لاَنَّهُمْ اَهْلَ اَللَّهِ، وَلاَ عَلَتْ دَرَجَتَهُ عَنْدَ اللَّهِ تَعَالَى اِلاَّ بِسَبَبِهِمْ.

وَهَذَا بُرْهَانٌ فِي مَا[1] قُلْنَا[2]: اَنَّ فِيهِمْ اَلْكِبْرُ، حَتّى اَنَّهُمْ يُعَظِّمُونَ اَنْفُسَهُمْ عَلَى اَنْبِيَاءِ اِللَّهِ تَعَالَى.

وَقَالَ لِي هُنَالِكَ يَهُودِيٌ آخَرُ: اَنَّ دِينَ[3] اَلاِسْلاَمِ يَتِمُّ فِيمَا هُوَ قَرِيبٌ.

قُلْتُ لَهُ: مَنْ قَالَ هَذَا؟

قَالَ: اِلتِّوْرِيَةُ: اَنَّ كُلَّ مَنْ يَاتِي بِدَعْوَةٍ بَاطِلَةٍ لَمْ تَبْلُغْ وَلاَ تَدُومُ اَلْفُ[4] سَنَةٍ.

قُلْتُ لَهُ: هَذَا قَوْلٌ حَسَنٌ؛ لانَّ دَعْوَةُ نَبِّينَا - صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - جَازَتْ اَلأَلْفَ[5] سَنَةً بِأَكْثَرِ مِنْ عِشْرِينَ سَنَةٍ!

فَلَمَّا اَنْ سَمِعَ ذَلِكَ نَزَلَ عَلَيْهِ اِلذُّلُّ وَالْخِزْيُ وَالتَغْيِيرُ وَخَاب ظَنُّهُ فِيمَا كَانَ يَرْجُوهُ[6].

وَقَدْ وَصَّى عَبْدُ اَلْحَق اَلاِسْلاَمِي - رَحِمَهُ اَللَّهُ - فِي كِتَابِهِ اَلَّذِي تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ اَلْمُسَمَّى: بِالسِّيْفِ اِلْمَحْدُودِ فِي اِلرَّدِّ عَلَى اَلْيَهُودِ- لِلْمسْلِمِينَ اَنْ يَتَحَفَظُوا مِنْ اَطْعِمَةِ اِليَهُود بِمَا عَلِمَ مِنْ غُشِّهِمْ.

---

[1] س: لما قلنا.

[2] س: قلت .

[3] س: آخر ودين الإسلام.

[4] س: باطلة لا تبلغ الف سنة.

[5] س: الف .

[6] س: يرجوه وينتظر .

اَيْضاً فِي كِتَابٍ نَسِيْتُ اِسْمَ مُؤلِفِهِ مِنْ كُتُبِ (١٨٢أ) اَلْمُسْلِمِينَ طَلَبَ مِنِّي وَاحِدٌ مِنْ فُقَهَاءِ الاَنْدَلُسْ أَنْ أُتَرْجِمُهُ لَهُ بِالْعَجَمِيَةِ مِنَ الْعَرَبِي بِسَلاَ بِالْمَغْرِبِ، وَذَكَرَ فِيهِ مِنْ غِشِّ اِلْيَهُودِ شَيْئاً كَثِيراً؛ وَحِكَايَاتٍ مِمَّا وَقَعَ لِلْمُسْلِمِينَ مَعَهُمْ تَرَكْتُهَا لِلتَطْوِيل، وَنَذْكُرَ[١] مَا ذَكَرَ لِي رَجُلٌ مِنْ اَهْلِ اِلْعِلْمِ بِمِصْرَ عَنْ رَجُلٍ مِنْ اَكَابِرِ اِلْعُلَمَاءِ يَعْرِفُهُ[٢].

قَالَ: اَنَّهُ كَانَ يَمْشِي اِلَى حَوْمَةِ دِيَارِ اِلْيَهُودْ لِدَارِ حِبْرٍ مِنْ اَكَابِرِ عُلَمَائِهِمْ[٣] يَقْرَا عَلَيْهِ عِلْمَ اَلمَنْطِقِ، لاِنَّهُ كَانَ بَالِغاً فِيهِ. وَمَشَى يَوْمَاً كَمَا كَانَتْ مِنْ[٤] عَادَتِهِ؛ فَلَمَّا اَنْ دَخَلَ عَلَيْهِ[٥] مِنَ اَلْبَابِ خَرَجَ اِلَيْهِ اِلْيَهُودِي وَأَخْرَجَهُ مِنْ دَارِهِ بِسُرْعَةٍ وَسَدَّ اَلْبَابَ فِي وَجْهِهِ. وَمَشَى اَلْعَالِمُ مُتَعَجِباً وَمُتَغَيِّرَاً[٦] مِمَّا وَقَعَ لَهُ. ثُمَّ لَقِيهُ بَعْدَ ذَلِكَ اَلْيَهُودِي؛ وَقَالَ لَهُ فِي سِرٍّ: لاَ تَاخُذْ عَلَيَّ فِيمَا عَمِلْتُ مَعَكَ؛ لاِنَّنَا عِنْدَنَا فِي دِيْنِنَا اِنَّ اَلْيَهُودِي اَلَّذِي يَقْدِرُ عَلَى قَتْلِ مَنْ لَمْ يَكُنْ عَلَى دِينِهِ[٧] وَلاَ يَقْتُلُهُ فَهُوَ يَرْتَدُّ عَنْ دِينِ اَلْيَهُودِ، وَاَنْتَ يَا سَيِّدِي فِي اَلْيَوْمِ اِلَّذِي جِئْتَ اِلَى دَارِي

---

[١] س: ونذكر هنا .

[٢] س: يعرفه هو .

[٣] س: اكابر العلماء اليهود .

[٤] س: كانت عادته .

[٥] س: فلما ان دخل من الباب .

[٦] لم ترد الفظة في س .

[٧] س: على دينه من غير أن يلحقه ضرر من الحكام ولا يقتله.

لَمْ يَكُـنْ اَحَـدٌ فِـي اِلـدَّارِ[١] وَكُنْـتُ قَـادِرٌ عَلَـى قَتْلِكَ لَـوْ دَخَلْـتَ عِنْـدِي وَاَسْرَعْتَ (٨٢ ب) بِرَدِّكَ لِئَلاَّ نَقْتُلُكَ اَوْ نَرْتَدُّ[٢].

فَانْظُرْ وَتَأَمَّلْ فِي هَذَا الاَمْـرِ، وَلاَ تَـأْمَنْهُمْ فِـي شَـيْءٍ؛ لاَ سِيَمَا أَنْ تُنَادِي طَبِيباً مِنْهُمْ يُعَالِجُكَ؛ اَوْ تَاخُذ مِنْهُمْ دَوَاء لاَنَّهُ يَسْهُلُ عَلَيْهِ[٣] قَتْـلَ اَلْعَلِيـلِ وَلاَ يَلْزَمُـهُ شَـيْءٌ. وَغَيْرُ ذَلِكَ مِـنَ الاُمُــورِ اِلَّتِـي تَضُـرُّ بِالاِنْسَانِ، اَنْتَهَى اَلْكَلاَمُ عَلَى اَلْيَهُود.[٤]

وَاَمَّا اَلْحَوَايِجُ اَلَّتِي كَـانَتْ مَطْرُوحَـةٌ بِـبُرْضِيُوش اِلَّتِـي نَهَـبَ الرَّايِسُ لاَهْلِ اَلْحَجَرِ اِلاحْمَـرِ؛ فَـاتَّصَلْتُ بِهَـا بَعْدَ اَنْ جَـازَ عَلَيْنَـا نَحْـوَ اَلْعَـام وَنِصْفٍ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ أَنَّ كُلَّ مَنْ وَكَّلَنِي مِنْ جَمِيعِ الاَنْدَلِسْ وَصَلَ اِلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ اَلدَّرَاهِمِز.

وَلَمَّـا تَقَضَيْنَـا مِـنْ اُمُورِنَـا بِـبُرْضِيُوش وَلَيْنَـا اِلَـى بَّرِيشْ، بَلَــدْ اَلسُّلْطَانِ، وَالْتَقَيْتُ هُنَالِكَ بِأَكْبَرِ اِلْمُنَجِمِينَ فِي اِلاَحكَـامِ اِلنُّجُومِيَةِ وَقَالَ لِي: هَذَا اَلْعِلْمُ لَمْ نَرَ لَهُ نَتِيجَةً اَبَداً فِي اِلاَحْكَامِ، وَقَدْ جَرَّبْتُ كَثِيراً مِنْ اَلاِخْتِيَارَاتِ، وَلَمْ يَصْدَقْ فِيهَا وَاحِدٌ؛ وَلَمْ نَتْرُكْ شَيْئاً مِنَ اَلتَّحْقِيـقِ فِـي اِلنَّصبَـاتِ وَأَخْذِ اِلاَرْتِفَـاعِ لِلْبُرُوجِ[٥] فِـي الطَّـالِعِ مِمَّـا قَـالَ اَلْمُؤَلِّفُـونَ لِلْكُتُبِ؛ وَعِنْدِي اَكْثَرَ مِنْ مِائَةِ تَالِيفٍ فِي اَلْفَنِّ، وَنَفْهَمُ مَـا فِيهَـا. وَلَمَّـا

---

[١] س: داري لم يكن فيها أحد وكنت .

[٢] س: لئلا نرتد او نقتبك .

[٣] س: عليهم.

[٤] زيادة تظهر في نسخة باريس هي: "ولما تحققت ببلد فرنجة وفلنضس من الكبر الذي في اليهود قلت: اذا وليت الى بلد المسلمين ونرى مسلما يضرب يهوديا فلا نغيثه ابد.

[٥] س: ارتفاع البرج.

قُتِلَ اَلسُّلْطَانُ بِبِّرِيشْ اَبُو لُوشْ[١] اَلَّذِي هُوَ (١٨٣أ) اَلآنَ سُلْطَانٌ؛ قُلْتُ فِي نَفْسِي: اَلشَّمْسُ اَلَّتِي يُنْسَبُ اَلْحُكْمُ اِلَيْهَا عَلَى اَلسَّلاَطِينِ[٢] تَكُونُ فِي تِلْكَ اَلسَّاعَةِ اَلَّتِي قُتِلَ فِيْهَا مُتَّصِلَةً بِنَحْسٍ. وَلَمَّا نَضَرْتُ[٣] ذَلِكَ وَجَدْتُهَا مَعَ اَلزَّهْرَا وَهِيَ سَعْدٌ وَلاَ يَحْكُمُ لِلسُّلْطَانِ بِذَلِكَ اِلاَّ بِسَعْدٍ اِذَا كَانَتْ اَلزَّهْرَةَ مُقْتَرِنَةً اَوْ مُتَّصِلَةً بِالشَّمْسِ؛ وَالْعُلَمَاءُ اَلَّذِينَ وَضَعُوا هَذِهِ اِلْقَوَاعِدِ وَالاَقَاوِيلِ وَالاَحْكَامِ فَلاَ نَتِيجَةٌ بَعْدَ اَلْعَمَلِ عَلَى مُقْتَضَى أَقْوَالِهِمْ بَلْ نَجِدُ اَلْمَسْئَلَةَ بِالْعَكْسِ مِمَّا قَالُوا، اَنْتَهَى.

وَاَقُولُ: اَعْلَمْ اِنِّي كُنتُ قَرأْتُ شَيْئاً فَي عِلْمِ اِلاَحْكَامِ عَلَى اَلْفَقِيهِ اَحمَدَ الْمُصِيْوبْ اَلْفَاسِي اِلاَنْدَلُسِي نَسَباً، وَكَانَ بَالِغاً فِي اِلْفَنِّ فِي عِلْمِ اِلتَنْجِيمِ وَالْخَاطِّ[٤] اِلرَّمْلِي وَعِلْمِ اِلْجَدْوَلِ اِلْعَدَدِي وَالْحَرْفِي[٥] وَكَانَتْ لَهُ مِنْ اَلْكُتُبِ فَي تِلْكَ اَلْفُنُونِ شَيْءٌ كَثِيرٌ، لاَنَّ اَلسُّلْطَان مَوْلاَيْ اَحْمَد – رَحِمَهُ اَللَّهُ؛ ظَهَرَ لِي[٦] أنَّهُ – كَانَ يَمُدُّهُ بِالْكُتُبِ مِنْ خَزَانَتِهِ اِلَّتِي قَالُوا: نِهَايَةِ كُتُبِهَا اِثْنَانِ وَثَلاَثُونَ اَلْفَ كِتَابا[٧]؛ وَقَالَ لَي اِلشَّيْخُ – رَحِمَهُ اَللَّهُ – مِرَاراً[٨] اِذَا سَأَلَنِي اَلسُّلْطَان شَيْئاً فِي اِلاُمُورِ اِلْمُغَيَّبَاتِ نَتْرُكُ اَلْكُتُبَ كُلِّهَا وَنَعْمَلْ جَدْوَلاً مُخَمَّساً وَنَعَمِّرهُ (٨٣ ب) بِخَمْسَةِ

---

[١] س: يَلُوشْ.

[٢] س: السلطان.

[٣] س: ونظرت .

[٤] س: والخط .

[٥] س: والحروفي .

[٦] س: اظن انه كان يمده .

[٧] س: كتاب .

[٨] اللفظة لم ترد في س.

أَسْمَاءٍ مِنْ اَسْمَاءِ اِللّهِ تَعَالَى وَهِيَ: اَلْهَـادِي، اِلْخَبِيرُ، اَلْمُبِيـنُ، عَـلاّمُ اَلْغُيُوبِ، بِالتِّدَاخُلِ فِي اِلصِّنْعَةِ بِحَيْثُ يُقْرَا طُـولاً وَعَرْضَـاً وَقُطْـرَاً عَلَى هَذَا اَلنِّعْتِ:

الهادي	الخبير	المبين	علام	الغيوب
علام	الغيوب	الهادي	الخبير	المبين
الخبير	المبين	علام	الغيوب	الهادي
الغيوب	الهادي	الخبير	المبين	علام
المبين	علام	الغيوب	الهادي	الخبير

ثُمَّ نَقْرَا مَـا تَنْقُـطُ جَمَيـعِ اِلْحُـرُوفِ بِـالْجَزْمِ اِلْكَبِيرِ[١] وَإِذَا فَرَغْـتُ مِـنَ اَلْقِرَاءَةِ فِي اَلِّيلِ قَبْلَ اَلنَّـوْمِ؛ فَنَضَعُ اَلْجَدْوَلَ تَحْتَ رَاسِي، وَيَاتِينِي فِـي اِلنَّوْمِ مَنْ يَخْبِرَنِي بِالْجَوَابِ مِمَّا اَضْمَرْتُـهُ فِـي نَفْسِـي نَذْكُـرُ حَـاجَتِي جَهْرَاً. قَالَ: اَنَّهُ يَصْدَقُ فِيمَـا يُجَـوبُ بِـهِ. وَيَحْتَمِـلُ اَنَّـهُ كَـانَ يَعْمِـلُ نَصْبَةً عَلَى اَلْمَسْئَلَةِ وَيَظْهِرُهَا لِيُظَنِّ اَنَّ اَلْجَوَابَ اَسْتَخْرَجَهُ مِنْهَا.

وَقَدْ حَكَمَ عَلَى تَارِيْخِ وِلاَدَتِي بِاشْبِيلِيَهْ زَوْجٌ مِنْ اَكَـابِرِ اِلْمُنَجمِيـنَ بِانَّ عُمُرِي يَكُونُ مِنْ اَرْبَعِينَ اِلَى خَمْسِينَ سَنَةً، وَوَجَـدَ فِـي مَرّاكُـشْ

---

[١] زيادة في نسخة باريس هي: "واذا نقرأ ما تنقط جميع الحروف في اليل قبل النوم فنضع الجدول تحت راسي وياتيني في النوم من يخبرني بالجواب مما ذكرت وطلبت واضمرته في نفسي".

اَلشَّيْخُ اَحْمَدْ اَلمُصَيْوبْ سَتٌ وَسِتِّينَ سَنَةً وَالْيَوْمُ بَلَغْتُ اِلَى اَرْبَعَ وَسَبْعِينَ سَنَةً قَمَرِيَة وَمَا زُلْنَا فِي رَحْمَةِ اللهِ تَعَالَى[١]٠

وَمِمَّا رَاَيْتُ (٨٤أ) بِبَرِيشْ اِمْرَأَتَيْن تُرْكِيَتَيْن: اِحْدَهُمَا عَجُوزَةٌ وَالاخْرَى مِنْ نَحْوَ أَرْبَعِينَ سَنَةً، وَهِيَ مَشْغُولَةٌ بِالاَشْغَالِ الْعَجِيبَة[٢] لِلْسُلْطَانَةِ. وَكَانَتْ اَلنِّسَا جَمِيعاً تَتَعَجَبْنَ مِنْ حُسْنِ شُغْلِهَا وَظَرَفِهَا فِي الرَّقْمِ. وَكَانَتْ تَاخُذُ مِنْ عِنْدَ اَلسُّلْطَانَةِ كُلُّ يَوْمٍ رِيَالَةً كَبِيرةٌ٠ وَسَأَلْتُهَا عَنْ اَلسَّبَبِ اِلَّذِي جَاءَ بِهَا مِنْ بِلاَدِ الْمُسْلِمِينَ[٣] اِلَى بِلاَدِ الْفَرَنْجِ٠ قَالَتْ: كُنَّا فِي اِلْبَحْرِ قَاصِدِينَ اَلْحِجِّ وَاَخَذَنَا اَلنِّصَارَى وَاَتَوْا بِنَا اِلَى اَلْبُنْدُقِيَةِ. وَكَتَبَ رَسُولُ سُلْطَانْ فَرَنْجَهْ وَاَعْلَمَ اَلسُّلْطَانَةُ بِشُغْلِنَا؛ وَبَعَثَتْ لَهُ أَنْ يُرْسَلَنَا اِلَيْهَا؛ ثُمَّ انَّ اَلسُّلْطَانَةُ وَنِسَاء اَلاَكَابِرِ دَعَوْهَا اِلَى دِينِهِمْ وَدَخَلَتْ فِيهِ٠

فَقُلْتُ لَهَا مَا اَلْهَمَنِي اَللهُ فِي اُمُورِ اِلاَدْيَانِ؛ وَانَهُ لاَ يَنْجُو اَلآنَ أَحَدٌ اِلاَّ فِي دِينِ اِلاسْلاَمِ؛ وَاَتَيْتُ لَهَا بِبَرَاهِينَ عَلَى ذَلِكَ. وَ[٤]هِيَ كَانَتْ تَقْرَا بِالْعَرَبِيَةِ وَالْعَجُوزُ كَذَلِكَ؛ قَالَتْ: اَنَّهَا كَانَتْ مِنَ اَلدَّارِ اِلْكَرِيمَةِ لِلْسَلاَطِينِ بِإِصْطَنْبُولْ[٥]؛ وَنَادَتْنِي يَوْماً؛ وَبَعْدَ اَلطَّعَامِ اِلعَجِيبِ قَالَتْ لِي: اَطْلُبُ مِنْكَ حَاجَةً لِوَجهِ اِللهِ تَعَالَى.

قُلْتُ لَهَا: اَذْكُرِي حَاجَتَكِ!

قَالَتْ لِي : تُدَبِّر عَلَيَّ لِنَمْشِي اِلَى بِلاَدِ اِلْمُسْلِمِينَ٠

---

[١] " وقد حكم .... رحمة الله تعالى" ، أضافها الحجري في الحاشية و لم ترد في س .

[٢] س: العجمية .

[٣] س: جاء بها من بلدها غلى بلاد الفرنج .

[٤] س: وقالت انها كانت تقرا بالعربية

[٥] س: بلقسطنطينية .

قُلْتُ لَهَا (٨٤ ب) : وتَسْمُحَ لَكَ اَلسَّلْطَانه فِي اِلانْتِقَالِ؟

قَالَتْ : مَا تَسْمُحْ لِي اَبَداً!

قُلْتُ لَهَا: اِنْ شَاءَ اَللّٰهُ أُدبِّرُ عَلَيْكُمَا حَتّٰى تَرْجِعَا اِلَـى بِـلاَدِ اِلْمُسْلِمِينَ، حِينَئِذٍ وَدَّعتُهُمَا. وَسَيَاتِي اِلْكَلاَمُ فِي شَأنِهِمَا.

فَمَشَيْنَا مِنْ بَرِيشْ اِلَى مَدِينَةِ رُوانْ؛ ثُمَّ مِنْهَا اِلَى مَرْسَـى اَلْبَرَكَـةِ اَيْـنَ كَانَ نَزُولِنَا مِنَ اَلْبَحْـرِ حيـنَ جِئْنَـا اِلَـى بِـلاَدِ اِلْفَرَنْـجِ، وَرَكَبْنَـا اَلْبَحْـرَ وَمَشَـيْنَا اِلَـى فَلَنْضِـسْ، وَبَلَغْنَـا فِـي اَرْبَعَـةِ اَيَّـامٍ اَوْ اَكْـثَر. وَكُنَّـا فِـي مُرُورِنَا ذَاهِبِينَ اِلَى جِهَةِ اِلْقُطْبِ اِلشِّمَالِي، وَبِـلاَدِ فَرَنْجَـهْ عَـنْ يَمِينِنَـا وَبِلاَدِ اِلاَنْجِلِزْ عَنْ يَسَارِنَا وَنَرَوْ اَلبَرِّيْن فِي بَعْضِ اِلْمَوَاضِعِ.

اَلْبَــابُ اَلْحَــادِي عَشَــرَ

فِي ذِكْرِ بِلَادِ فَلَنْضِسْ

اِعْلَمْ اِنَّنَا مَشَيْنَا وَقَصَدْنَا تِلْكَ اَلْبِلاَدِ وَهِــيَ اَبْعَدُ عَنْ بِلاَدِنَـا مِنْ بِـلاَدِ اَلْفَرَنج وَلَكِنْ يَنْبَغِي لِلاِ نْسانِ أنْ يَسْتَعِيذَ[١] مِنْ غَيْرِهِ اَوْ مِنْ نَفْسِـهِ. وَلَمَّا رَأَيْتُ وَتَحَقَّقْتُ مِنْ عَمَلِ الفَرَنجِ اِلْبَحْرِيَةِ مَعَ اَلْمُسْلِمِينَ، قُلْتُ: لَـمْ نُوَلِّي اِلَى بِلاَدِنَـا[٢] فِـي سُفُنِهِمْ ؛ بَـلْ نَمْشِـي اِلَـى فَلَنْضِـسْ لِـاَنَّهُمْ لاَ يَضُرُّونَ اَلْمُسْلِمِينَ ، بَلْ يَحْسِنُونَ اِلَيْهِمْ – كَمَا سَيَاتِي.

وَلَمَّا اَنْ بَلَغْنَــا اِلَـى مَدِينَـةِ مُسْتَرْضَامْ؛ رَأَيْتُ اَلْعَجَـبَ (١٨٥أ) فِـي حُسْنِ بُنْيَانِهَا وَنَقَائِهَا وَكِثْرَةِ مَخْلُوقَاتِهَا؛ كَادَ اَنْ تَكُونَ فِي اَلْعَمَارَةِ مِثْلُ مَدِينَةِ بَرِيشْ بِفَرَنْجَهْ. وَلَمْ تَكُنْ فِي اَلْدُنْيَا مَدِينَةٌ بِكِثْرَةِ اِلسُّفُنِ مِثْلُهَـا. قِيلَ: اِنَّ فِي جَمِيعِ سُفُنِهَا؛ صِغَارًا وَكِبَـارا؛ سِتَةُ اَلاَفِ سَفِينَةً. وَاَمَّـا اَلدِّيارُ: كُلُّ وَاحِدَةٍ مَرْسُومَةٌ وَمُزَوَّقَةٌ مِنْ اَعْلاَهَا اِ لَى اَسْفَلِهَا بِلاَلْوَانِ اَلْعَجِيبَةِ؛ وَلَنْ تُشْبِهُ وَاحِـدَةٌ اُخْـرَى فِـي صُنْـعِ رَقْمِهَـا؛ وَالاَزِقَـةَ كُلَّهَـا بِالاَحْجَارِ اِلْمُنَبَتَةِ. وَالْتَقَيْتُ بِمَنْ رَاَى بِلاَدَ اَلْمَشْرِقِ وَبِـلادِ اِلْصَقَالِبَـةَ وَرُومَةَ وَغَيْرُهَا مِنْ بِلاَدِ اِلدُنْيَا وَقَالَ لِي: أَنَّهُ مَا رَأَى مِثْلَهَا فِي اِلزَّيْنِ وَالْمَلاَحَةِ.

وَاَعْلَمْ اَنَّ هَذَا فَلَنْضِسْ؛ هِيَ سَبْعَ عَشْرَةَ جَزِيرَةً، وَجَمِيعِهَا كَـانَتْ لِسُلْطَانِ بِلاَدِ اِلاَنْدَلُسْ . وَبَعْـدَ اَنْ ظَهَـرَ فِـي تِلْـكَ اَلْبِـلاَدِ رَجُـلٌ عَـالِمٌ

---

[١] س : يستفيد .

[٢] س: بلدنا .

عِنْدَهُمْ يُسَمَّى بِلُطِرْيُ وَعَالِمٌ اَخَرُ يُسَمَّى بِقَلْبِن٠ وكَتَبَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مَا ظَهَرَ لَهُ فِي دِينِ النَّصَارَى عَنْ اَلتَّحْرِيفِ وَاَلْخُرُوجِ عَنْ دِينِ سَيِّدِنَا عِيسَى وَالانجِيلِ، وَأَنَّ الْبَابَا بِرُومَةِ يَضِلُونَ النَّاسَ بِعِبَادَةِ الاَصْنَامِ وَبِمَا (٨٥ ب) يَزِيدُونَ فِي الدِّينِ بِمَنْعِ الْقَسِّيسِينَ وَالرُّهْبَانِ مِنَ اَلتَّزْوِيجِ وَغَيْرِ ذَلِكَ كَثِيرٌ. وَدَخَلَ فِي هَذَا الْمَذْهَبِ جَمِيعُ اَهْلِ فَلَنْضِسْ - اَعْنِي الْجُزُرْ السَّبْعَةَ - وَقَامُوا عَلَى سُلْطَانِهِمْ اِلَى الاَنَ . وَهُمْ اَيْضًا عَلَى هَذَا الْمَذْهَبِ اَهْلُ سَلْطَنَةِ الانْجِلِزْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ بِفَرَنْجَهْ وَحَذَّرَهُمْ عُلَمَاؤُهُمْ مِنْ الْبَابِ وَمِنْ عُبَّادْ الاَصْنَامْ وَاَنْ لاَ يَبْغَضُوا اَلْمُسْلِمِينَ لاَنَّهُمْ سَيْفُ اَللَّهِ فِي اَرْضِهِ عَلَىعُبَّادِ الاَصْنَامِ. وَبِسَبَبِ ذَلِكَ لَهُمْ مَيْلٌ اِلَى اَلْمُسْلِمِين. وَأَمَّا اَلسَّبْعَةُ عَشْرَةَ جَزِيرَةً؛ فَالسَّبْعُ مِنْهَا قَامَةٌ[1] عَلَى سُلْطَانِ بِلاَدْ الاَنْدَلُسْ قَبْلَ هَذَا الْعَهْدِ بِنَحْوِ اَلسَّبْعِينَ سَنَةً. وَمَا قَدَرَ عَلَيْهِمْ حَتَّى يَئِسَ مِنْهُمْ. وَهُمْ اَقْوَى مِنْ جَمِيعِ النَّصَارَى فِي البَحْرِ بِالسُّفُنِ. وَكُلُّ جَزِيرَةِ الْبَحْرُ دَائِرٌ بِهَا مِنْ كُلِّ جَانِبٍ؛ وَهُوَ الْمُحِيطُ[2].

وَلَمَّا اَنْدَخَلْنَا مَدِينَةِ لَيْذَا[3] رَأَيْنَا فِيهَا مَدَارِسَ لِقِرَاءَةِ الْعُلُومِ. وَوَجَدتُ فِيهَا رَجُلاً كَانَ يَقْرَا بِالْعَرَبِيَةِ وَيُقَرِّ بِهَا غَيْرَهُ وَيَاخُذُ رَاتِبًا عَلَى ذَلِكَ؛ وَكُنْتُ عَرَفْتُهُ (٨٦أ) بِفَرَنْجَهْ؛ وَحَمَلَنِي اِلَى دَارِهِ. وَكَانَ يَتَكَلَّمُ مَعِي بِالْعَرَبِيَةِ - يُعَرِّبُ الاَسْمَا وَيُصَرِّفُ الاَفْعَال- وَكَانَ لَهُ كُتُبٌ كَثِيرَةٌ بِالْعَرَبِيَةِ٠ وَمِنْ جُمْلَتِهَا اَلْقُرْءَان اَلْعَزِيز٠ فَأَخَذْنَا فِي

---

[1] س: قامت .

[2] س: وكل جزيرة من السبعة في البحر المحيط وهو داير بها من كل جانب وهو ليس بمالح كثيرا .

[3] س: فلما ان دخلنا مدينة ليدا والتقينا فيها رجلاً يقرأ بالعربية ويقري بها غيره.

اِلْكَلَامِ ؛ وَهُوَ يُثْبِتُ قَوْلَهُ بِالتَّثْلِيثِ فِي الْأُلُوهِيَةِ؛ لِأَنَّهُمْ مُتَّفِقُونَ فِي ذَلِكَ مَعَ الْبَّابْ وَاَتْبَاعِهِمْ[١]. وَكَانَ يَشْكُرُ وَيَمْدَحُ دِينَهُ كَثِيرًا بِالْمِدْحِ التَّامِّ لِسَيِّدِنَا عِيسَى.

قُلْتُ لَهُ: كُلَّمَا تَقُولُ فِيهِ مِنْ خَيْرٍ وَمِدْحٍ؛ فَنَحْنُ مُتَفِقُونَ مَعَكُمْ فيه اِلَّا قَوْلِكَ اَنَّهُ اِلَه؛ اَوْ اِبْنُ اللَّهِ حَقِيقَةً.

وَذَكَرَ ايْضًا اَلرُّوحَ اَلْقُدُسِ. قُلْتُ لَهُ: اَلرُّوحُ اَلْقُدُسِ هُوَ الْبَّارَقْلِيط اَلْمَذْكُور فِي الاِنْجِيلِ؟

قَالَ: نَعَمْ ! هُوَ.

قُلْتُ لَهُ : اَنتَ تَعْرِفُ اَلأَلسَنِ وَاللُّغَاتِ؛ مَا مَعْنَى اَلْبَارَقْلِيط؟

قَالَ: هِيَ كَلِيمَةٌ لَيْسَتْ مِنْ لَغَتِ اِللَّطِينِ، اِنَّمَا هِيَ مِنْ لُغَةِ اِلْيُونَانِ؛ وَمَعْنَاهَا بِالْعَرَبِيَةِ: شَفِيعٌ.

قُلْتُ لَهُ: هَذَا مِنْ اَسْمَاءِ نَبِيِّنَا مُحَمَّد– صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –؛ وَهَذَا اِسْمٌ يَدُلُّ عَلَى اِسْمِ شَخْصٍ؟

قَالَ: نَعَمْ !

قُلْتُ: وَلِمَاذَا تَجْعَلُونَهْ اِلاهاً (٨٦ ب) وَتَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ وَوَاحِدٌ مَعْنَى شَيْءٌ وَاحِدٌ ؟

ثُمَّ جَاءَ رَجُلٌ حَكِيمٌ مَشْهُورٌ فِي اِلطِّبِّ وَالْعُلُومِ. قَالَ لِي : نَحْنُ عِنْدَنَا اَلْقُرْءَانُ مُتَرْجَمٌ بِاللَّطِينِ وَلَيْسَ فِيهِ مُعْجِزَاتٍ لِنَبِيِّكُمْ كَمَا عِنْدَنَا فِي الاِنْجِيلِ! وَقَالَ : هَلْ عِنْدَكُمْ كُتُبٌ فِي مُعْجِزَاتِ نَبِيِّكُمْ ؟

قُلْتُ: عِنْدَنَا! وَوَاحِدٌ مِنْ اَلْكُتُبِ اَلْمَشْهُورَةِ فِي ذَلِكَ لِلْقَاضِي عِيَاضْ، وَذَكَرْتُ لَهُ شَيْئًا؛ وَاَنَّ عِنْدَنَا فِي ذَلِكَ كُتُبٌ كَثِيرَةٌ؛ وَكَانَ – صَلَّى اَللَّهُ

---

[١] س: مع الباب واهل مذهبهم.

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَعْمَلَهَا بِحَضْرَةِ اَقْوَامٍ كَثِيرَةٍ، وَلَمَّا رَأَتْ اَلنَّاسُ فَضْلَهُ وَبَرَكَاتَهُ وَصِدْقَهُ فِي اَلْقَوْلِ وَالْفِعْلِ وَتَوْحِيدِهِ؛ مَعَ اَنَّهُ لَمْ يَعْرِفْ يَقْرَا، فَدَخَلَتْ اَلنَّاسُ فِي دِينِهِ. وَاللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَنْصُرَ اَلْحَقَّ حَتَى اَظْهَرَ دِينَهُ عَلَى اَلاَدْيَانِ. وَاَكْثَرُ مَعْمُورُ اَلدُّنْيَا عَلَى دِينِهِ.

قَالَ اَلْحَكِيمِ: وَاللَّهِ اِنَّنَا تَمَنَّيْتُ نَقْرَا هَذَا اَلْكِتَابَ! ثُمَّ قَالَ: هَذِهِ اِلْمُعْجِزَاتْ فِيهَا اِحْتِمَالاَتْ، لِاَنَّ كَثِيرًا يَصْنَعُونَ مَسَائِلاً بِوَاسِطَةِ اِلشيطان!

قُلْتُ: وَلَيْسَ فِي عِلْمِكُمْ بِمَا تُفَرِّقُونَ بَيْنَ اَلْمُعْجِزَةِ (١٨٧) اَلنَّبَوِيَةِ اَلرَّبَّانِيَةِ اَوْ اَلشَّيْطَانِيَةِ اِلْمُسْتَعْمَلَةِ اَوْ بِالشَّعْوَذَةِ ؟

قَالَ لِي: اَذْكُرْ لِي اَنْتَ كَيْفَ يُعْرَفُ ذَلِكَ ؟

قُلْتُ : اَمَّا اَلنَّبِيُّ فَلَمْ يَعْمَلْ مُعْجِزَةً اِلاَّ اِذَا طُلِبَتْ مِنْهُ وَغَالِبًا يُنْتَجُ مِنْهَا نَفْعٌ بَاطِنٌ وَظَاهِرٌ. اَمَّا اَلْبَاطِنُ: حُصُولُ اَلْيَقِينِ فِي اَلْقُلُوبِ وَالصِّدْقِ لِمَا ذَكَرَ لَهُمْ[١] مِنْ جَانِبِ اِللَّهِ تَعَالَى، وَأَمَارَهُمْ[٢] بِهِ وَنَهَاهُمْ عَنْهُ. وَاَمَّا اَلظَّاهِرُ: يَكُونُ فِيهِ نَفْعٌ ظَاهِرٌ لِلنَّاسِ[٣]. مِثَالُ ذَلِكَ اَنْ يَغِيثَ جَيْشًا مِنْ مَخْلُوقَاتِ اِللَّهِ[٤] تَعَالَى بِالْمَاءِ اَوْ بِالْطَعَامِ. وَلَوْ لَمْ يَفْعَلْ ذَلِكَ لَمَاتُوا جَمِيعًا؛ كَمَا وَقَعَ لِنَبِيِّنَا - صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مِرَاراً، فَهَذَا نَفْعٌ ظَاهِرٌ، اَوْ يَطْلُبُ اَلْمَطَرَ، اَوْ يَشْفِي مَرِيضاً. وَاَمَّا مَا يَكُونُ مُسْتَعْمَلٌ[٥] مِنْ اَلشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ لاَ يَعُودُ اَلنَّفْعُ اِلاَّ عَلَى خَاصَّةِ نَفْسِهِ لاَ لِغَيْرِهِ.

---

١ س: للناس .

٢ س: وأمرهم به .

٣ س: واما الظاهر يكون النفع للناس .

٤ س: من خلق ا لله .

٥ س: مستعملاً.

وَاَمَّا بِالشَّعْوَذَةَ: فَإِنَّهُمْ يَصْنَعُونَ ذَلِكَ مِنْ غَيْرِ أَنْ يُطْلَبَ مِنْهُمْ وَلاَ يَحْصَلُ مِنْهَا نَفْعٌ حَقِيقِي اَبَدًا - لاَ ظَاهِرًا وَلاَ بَاطِنًا - وَهُمْ اَلَّذِينَ يَجْذَبُونَ اَلنَّاسَ (٨٧ ب) لِيَرَوْا مَا يَعْمَلُونَهُ[١]. وَإِذَا طَلَبَهُمْ اَحَدٌ[٢] اَنْ يَصْنَعُو شَيْئًا مِنْ خَوَارِقِ اِلْعَادَاتِ غَيْرَ اَلَّذِي يَظْهرُونَ، فَلاَ يَقْدِرُونَ عَلَيْهَا. وَصَاحِبُ اَلشَّعْوَذَةِ يَعْمِلُ اَلْعَجَايِبَ لَعَلَّهُ بِذَلِكَ يُفَرِّحُ اَلنَّاظِرِينَ[٣] وَيَعْطُونَهُ شَيْئًا لِيَعِيشَ بِهِ. وَلَوْ قِيلَ لَهُ: عَلِّمْنِي هَذَا اَلَّذِي اَنْتَ تَعْمِلَهُ وَاَعْطِيكَ دَرَاهِمَ فَيُعَلِّمَهُ حَتَّى يَكُونُ مِثْلَهُ فِي اِلْعَمَلِ.

حِينَئِذٍ قَالَ اَلْحَكِيمُ: صَدَقْتَ فِيمَا قُلْتَ! هَذَا هُوَ اَلْحَقُّ.

وَبَعْضُ اَلْعُلَمَاءِ هُنَالِكَ[٤] اَتَوْنِي بِكِتَابٍ عَرَبِي، قَالُوا[٥] لِي: اَتَعْرَفُ تَقْرَأُ هَذَا ؟

فَلَمَّا طَالَعْتُهُ[٦]، كَانَ يَتَكَلَّمُ فِي اَلتَّصَوُفِ؛ وَاَنَّ بَعْضَ اَلْصَالِحِينَ لَمْ[٧] يَتَكَلَّمْ فِي اَلْجَامِعِ مَعَ اَحَدٍ مِنْ اَلنَّاسِ[٨]، وَإِذَا اَحْتَاجَ اَنْ يَرُدَّ اَلْجَوَابَ يَخْرُجُ إِلَى بَابِ اِلْجَامِعِ، وَيَرُدُّهُ. قُلْتُ لَهُمْ: فَهِمْتُ مَا فِيهِ؛ وَاَقْدِرُ أَنْ اُتَرْجِمَهُ بِالاَعْجَمِيَةِ.

---

[١] س: يعملون .

[٢] س: احد للسحارين واهل الحيات ان يصنعوا .

[٣] س: يفرح الناس الناظرين .

[٤] لم ترد في س .

[٥] س: وقالوا .

[٦] س: فلما طالعته كان مكتوبا بالعربية يتكلم في التصوف.

[٧] س: كان لم .

[٨] س: الناس في امور الدنيا .

فَتَعَجَبُوا فِيمَا بَيْنَهُمْ، وَقَالُوا لِي: هَذَا اَلْكِتَابُ سَاقُوهُ مِنْ جَزِيرَةِ كَذَا مِنْ اَلْهُنُودِ اِلْمَشْرِقِيَةِ اِلَّتِي بَيْنَنا وَبَيْنَهَا فِي الْبَحْرِ زَمَنْ طَوِيلْ؛ اَقَلّ مِنْ سَنَةٍ فِي الْبُلُوغِ اِلَيْهَا. وَهَذَا عَجَبٌ! لاَنَّ بَيْنَ بِلاَدِكَ وَبَيْنَهَا شَيْءٌ كَثِيرٌ وَاَنْتَ تَفْهَمُ مَا (١٨٨أ) فِي الْكِتَابِ. وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى اَنَّ اَلْعَرَبِيَةَ لِسَانٌ وَاحِدٌ عَامٌ فِي كُلِّ بَلَدٍ. وَكَلاَمُنَا فِي هَذِهِ الْبِلاَدِ مُخْتَلِفٌ لِسَائِرِ اَلاَلْسَانِ؛ لِأَنَّ فِي بِلاَدِ الاَنْجلِزِ كَلاَمٌ وَاحِدٌ؛ وَاَهْلُ فَرَنْجَهْ بِلُغَةِ أُخْرَى، وَكَذَلِكَ بِبِلاَدِ الاَنْدَلُسْ عَجَمِيَةٌ أُخْرَى، وَكَذَاكَ فِي اِطَالِيَهْ وَاَلاِمَانِيَهْ وَمُشْقُبِيَه[١]. وَكُلُّ لِسَانٍ مُخْتَلِفٌ عَنْ غَيْرِهِ. وَهَذَا اَلْعَرَبِيَةُ وَاحِدَةٌ فِي الدُّنْيَا.

وَقَالُوا اَلْحَقَ فِي ذَلِكَ فَهُوَ كَلَامٌ مُبَارَكٌ؛ وَمَنْ يَتَكَلَّمُ بِهَا لاَ بُدَّ يَذْكُرُ اَللَّهَ، وَلِذَلِكَ كَانَ يَقُولُ بَعْضُ مِنْ الاَنْدَلُسَ: لاَ عَرَبِيَةَ بِلاَ اَللَّهِ وَلاَ عَجَمِيَةَ بِلاَ شَيْطَانِ؛ لانّ النَّصَارَى يَذْكُرُونَهُ كَثِيرٌ فِي كَلَامِهِم. وَلَا يَكْرَهُ الْعَرَبِيَةَ وَاَلْكَلَامُ بِهَا اِلاَّ مَنْ لاَ يَعْرِفُ فَضْلَهَا وَبَرَكَتِهَا[٢]؛ اَنْتَهَى. وَصَحَ مِنْ هَذَا اَلْكِتَابِ اَلْعَرَبِي اَلَّذِي اَتَوْ بِهِ مِنْ اَلْجُزُرِ اَلْمَشْرِقِيَةِ اَنَّهُمْ سُكَانِهَا مُسْلِمُونَ.

ثُمَّ مَشَيْنَا مِنْ مَدِينَةِ لَيْذًا اِلَى مَدِينَةِ الْهَايَهْ، فِيهَا دَارُ اَمِيرِهِمْ وَالدِّيوَان، وَاَلْتَقَيْتُ هُنَالِكَ بِرَسُولِ اَلاَمِيرِ، كُنْتُ عَرَفْتَهُ[٣] بِمَرَّاكُشْ، وَكَانَ شَاكِراً لِي كَثِيرٌ؛ عَلَى مَا وَقَفْتُ مَعَهُ فِي سِجْنِهِ حَتَّى خَلَّصْتُهُ

---

[١] س: ومسقوبيه .

[٢] س: فضلها قالت الصالحة مريم عليها السلام في كتاب مواهب الثواب لعباد الله المومنين فضل لسان العربية على ساير الالسن كفضل الشمس على دراري السماء ثم مشينا الى الهايه .

[٣] س: اعرفه .

[٤] لم ترد في س .

مِنْهُ. وَسَبَبُ قُدُومِهِ اِلَى مَرَّاكُشْ[١] ؛ اَنَّ سُلْطَان بِلَادَ الاَنْدَلُسْ بَعَثَ الاَغْرِبَةَ اِلَى اَلْجُزُرِ اِلَّتِي قُلْنَا اَنهَا عَلَى غَيْرِ (٨٨ ب) طَاعَتِهِ؛ فَخَرَجَ اِلَيْهِمْ اَهْلَ اَلْجُزُرِ وَاَخَذُوا الاَغْرِبَةَ[٢]؛ وَرَمَوْا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ اَلنَّصَارَى فِي اِلْبَحْرِ - كَذَا قِيلَ[٣] - وَفَكُّوا كُلَّ مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ اَلْمُسْلِمِينَ؛ وَكَانُوا اَكْثَرَ مِنْ ثَلَاثِ مِائَةٍ؛ وَجَعَلُوهُمْ فِي سَفِينَةٍ عَظِيمَةٍ وَبَعَثُهُمْ اَهْلَ فَلَنْضِسْ هَدِيَةً اِلَى سُلْطَان مَرَّاكُشْ - وَكَانَ اَبْنُ مَوْلَاي اَحْمَد اَسْمُهُ بُو فَارِس وَكَانَ ذَلِكَ[٤] فِي نَحْوَ اَرْبَعَةَ عَشَرَةَ سَنَةً وَاَلْفُ.

وَمَشَى بِهِمْ رَسُولاً بِدْرُ مَرْ تِينَ اَلَّذِي اَلْتَقَيْتُ بِهِ مِنْ غَيْرِ ظَنٍّ وَذَلِكَ[٥] بِالْهَايَه؛ وَهِيَ بِلَادَهُ. وَبَعْدَ اَنْ جَلَسَ هَذَا اَلرَّسُولُ بِمَرَّاكُشْ سِنِينَ فِي زَمَنِ اِلْهَرَجِ وَالشَّرِّ، ثُمَّ ثَبَتَ فِي اَلْمَمْلَكَةِ اِلسُّلْطَان مَوْلَايْ زَيْدَان، فَسَجَنَ[٦] هَذَا اَلرَّسُول لاَنَّهُ مَا مَشَى بِالْهَدِيَةِ فِي زَمَانِهِ؛ وَبَعْدَ اَنْ جَازَ زَمَن عَلَى اَلرَّسُولِ فِي سِجْنِهِ، بَلَغَنِي اِلْخَبَرُ وَتَذَكَّرْتُ اَلْخَيْرَ اَلَّذِي عَمِلُوا لِلْمُسْلِمِينَ حِينَ بَعَثُوهُمْ هَدِيَةً اِلَى مِلَّتِهِمْ. وَوَقَفْتُ وَدَبَّرْتُ وَكَلَمْتُ اَلْمُفْتِي اَلْعَالِمُ اَلشَّهِيرُ مُحَمَّدُ اَبَا عَبْدُ اللَّهِ؛ وَكَلَّمَ اَلسُّلْطَان وَاَنْطَلَقَ مِنْ اَلسِّجْنِ.

فَلَمَّا اَنْ رَأَنِي بِبِلَادِهِ مَشَى اِلَىَ اَلاَمِيرِ وَاَعْلَمَهُ وَحَمَلَنِي اِلَى عِنْدِهِ، وَاِسْمُ (٨٩أ) الاَمِيرِ مَوْرِسِيُ - وَاَقْبَلَ عَلَيَّ؛ وَعَرَّ رَاسَهُ وَاَخَذَ بِيَدِي

---

[١] س: الى بلد المسلمين .

[٢] س: واخذوا خمسين من الأغربة .

[٣] س: قيل لي .

[٤] لم ترد في س .

[٥] لم ترد في س .

[٦] س: فسجن .

وَأَجْلَسَنِي مَعَهُ؛ وَزُرْتُهُ أَرْبَعُ مَرَّاتٍ. وَبَعْدَ أَنْ جَلَسْتُ يَوْمًا قَالَ لِي: مَاذَا تَعْرِفُ مِنَ الأَلْسَانِ؟

قُلْتُ لَهُ : اَلْعَرَبِيَةَ وَلِسَانِ إِشْبَّانِيَةَ وَلِسَانِ أَهْلِ بُرْتُقَالَ؛ وَكَلاَمُ الْفَرَنْجِ نَفْهَمُهُ وَلاَكِنْ مَا نَعْرِف نَتَكَلَّمُ بِهِ.

قَالَ لِي : فَأَنَا نَعْرِفُ كَلاَمَ الْفَرَنْجِ وَنَفْهَمُ كَلاَمَ اَشْبَّانِيَه -وَهُوَ كَلاَمُ أَهْلِ بِلاَدِ الاَنْدَلُسْ كَمَا قُلْنَا مِرَارًا - وَلاَ أَعْرِفُ أَتَكَلَّمُ بِهِ؛ وَإِلَى هَذَا فَأُكَلِّمُكَ بِالْفَرَنْجِ وَتُكَلِّمُنِي بِلِسَانِ أَهْلِ بِلاَدْ الاَنْدَلُسْ الْعَجَمِي.

قُلْتُ: نَعَمْ!

قَالَ لِي: مَا السَّبَبُ الَّذِي ظَهَرَ لَكَ حَمَلَ سُلْطَانْ اِشْبَانِيَه عَلَى إِخْرَاجِ الاَنْدَلُسْ مِنْ بِلاَدِهِ ؟

قُلْتُ: اَعْلَمْ أَنَّ الاَنْدَلُسْ كَانُوا مُسْلِمِينَ فِي خَفَاءٍ مِنْ النَّصَارَى، وَلاَكِنْ تَارَةً يَظْهَرُ عَلَيْهِمْ الاِسْلاَمْ؛ وَيَحْكُمُونَ فِيهِمْ، وَلَمَّا تَحَقَّقَ مِنْهُمْ ذَلِكَ لَمْ يَامَنْ فِيهِمْ؛ وَلاَ كَانَ يَحْمَلُ مِنْهُمْ اَحَداً إِلَى الْحُرُوبِ وَهِيَ الَّتِي تَفْنِي كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ. وَكَانَ أَيْضًا يَمْنَعَهُمْ مِنْ رُكُوبِ الْبَحْرِ لِئَلاَ يَهْرُبُوا[١] إِلَى أَهْلِ مِلَّتِهِم. وَالْبَحْرُ يَفْنِي كَثِيرًا مِنَ الرِّجَالِ. وَأَيْضًا فِي النَّصَارَى كَثِيرُونَ (٨٩ ب) قِسِيسُونَ وَرُهْبَانْ وَمُتَرَهِبَاتٍ؛ وَبِتَرْكِهِمْ الزِّوَاجِ يَنْقَطِعُ فِيهِمْ النَّسْل؛ وَفِي الاَنْدَلُسْ لَمْ يَكُنْ فِيهِم قِسِيسُونَ وَلاَ رُهْبَان وَلاَ مُتَرَهِبَات إِلاَّ جَمِيعِهِمْ يَتَزَوَّجُونَ وَيَزْدَادُ عَدَدُهُمْ بِالاَوْلاَدِ وَبِتَرْكِ الْحُرُوبِ وَرُكُوبِ الْبَحْرِ. وَهَذَا الَّذِي ظَهَرَ لِي حَمَلَهُ عَلَى إِخْرَاجِهِمْ ؛ لأَنَّهُمْ بِطُولِ الزَّمَنِ يَكْثُرُونَ .

ثُمَّ قُلْتُ لَه: اَتَفْهَمُ كَلاَمِي؟

---

[١] س: يهربون .

قَالَ لِي بِالفرنج: كُلَّمَا قُلتَ فَهِمتُهُ وَمَا ذَكَرتَ هُوَ اَلْحَقُّ.

قَالَ لِي: لَوْ اتـَفَقْنَا مَعَ كُبَرَاءِ اِلانْدَلُسْ وَنَبْعَثُ لَهُمْ عِمَارَةَ مِنْ سُفُن كَبِيرَةٍ لِيَرْكَبُوا فِيهَا مَعَ جُنُودِنَا نَاخذُ اِشْبَّانِيَهْ؟

قُلْتُ: لاَ يُمْكِنُ لِلاَنْدَلُسْ اَنْ يَتـَفَقُوا عَلَى هَذَا اِلاَّ بِإِذْنِ اِلسَّلاَطِينِ الَّذِيـنَ خَرَجُوا بِبِلاَدِهِمْ وَسَكَنُوا بِهَا.

قَالَ: لَوْ كُنَّا نَتـَفِقُ مَعَ سُلْطَانِ مَرَّاكُشْ وَنَبْعَثُ لِلسَّـيِدِ الْكَبِـيرِ - اَعْنِـي اَلسُّلْطَانْ اَلاَعْظَم سُلْطَان اَلاِسْلَام وَاَلدِّين - وَنَتَفِقُ جَمِيعًا عَلَى سُلْطَان اِشْبـَّانِيَه نَظفَرُ بِهِ وَنَاخذُ بِلاَدَهُ.

قُلْتُ لَهُ: هَذَا اَمْرٌ عَظِيمٌ لَوْ حَصَلَ وَفِي تَحْصِيلِهِ شَكٌّ. وَاَمَّـا لَـوْ كَـانَ هَذَا اَلاتِفَاق فَيَاخُذُونَ بِلاَدْ اَلاَنْدَلُسْ - اَعَادَهَا اَللَّهُ اِلَى اَلاِسْلَامِ!

وَقَالَ لِلرَّسُول: اَكْتُبْ رَمْزاً فِي الْحُرُوفِ (١٩٠أ) وَاَعْطِهِ نُسْخَةً لِتَكُونَ اَلْمُكَاتَبَةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ. وَاَعْطَانِي نُسْخَةً.

ثُمَّ قَالَ لِيْ: تَمَنَّى عَلَيَّ؛ مَعْنَى هَذَا اَلْقَـوْل: اطْلُـبْ مَـا تُحِـبْ مِنِّـي؛ - وَهِيَ عَادَةٌ عِنْدَ مُلُوكِ اِلنصَارَى - إِنْ قَالُوا لإِنْسَانِ أَطْلُــب) مِنِّـي مَـا شِئْتَ: إِنَّهُمْ يُعْطُونَهُ مَا يَطْلُبَهُ مِنْهُم؛ وَلاَ يَقُولُونَ ذَلِكَ إِلاَّ نَـادِراً لِمَـنْ رَضَوْا عَنْهُ غَايَةَ اَلرِّضَا.

قُلْتُ فِي نَفْسِي: اَلنصَارى تَقُولُ عَنْ اِلْمُسْلِمِينَ اَنَّهُـمْ طَمَّـاعُونَ كَثِيرًا فِي مِتَاعِ اَلنَّاسِ؛ وَهَذَا لَـمْ يَـرَ مِـنَ اَلْمُسْلِمِينَ إِلاَّ قَلِيـلاً مِنْهُـمْ - وَاَنَـا اَحَدُهُم - وَلِيَعْلَمْ وَيَتَحَقَّقَ اَنَّ اَلَّذِي يَقُولُونَه فِيهِمْ. لَيْسَ بَصَحِيحٍ، وَأَنَّ فِيهِمْ مَنْ لاَ يَطْمَعُ فِي مَالِهِ، فَلاَ نَطْلُبُ مِنْهُ مَالاً.

قُلْتَ لَهُ: اَطْلُبُ مِنْ فَضْلِكُمْ مَسْئَلَةً اَوْ شَيْئاً[1].

---

[1] لعل الصواب كان: «لا اطلب» فسقطت لفظة «لا».

قَالَ: مَا تَطْلُبُ ؟

قُلْتُ: اَنْ تَوَصِّي بِنَا رَايسَ اَلسِّفِينَةِ اِلّتِي نَمْشِي فِيهَا٠

قَالَ: هَذَا فَقَطْ ؟

قُلْتُ: نَعَمْ!

قَالَ: فَابْحَثْ حَتَّى تَتَحَقَقَ مِنَ السِّفِينَةِ اِلّتِي تَمْشِي وَاعْرَفْ اِسْمَ اَلرّايِسِ وَاَيْضاً اسْمَ اَلتَّاجِرِ مَوْلاَ اَلسِّفِينَةِ؛ وأَتِنِي٠

فَاخْبَرْتُهُ بِأَسْمَائِهِمَا، وَأَمَرَ لِكَاتِبِ اِلسِرِّ[1] أَنْ يَكْتُبَ لِكُلِّ وَاحِدٍ بَرَاءَةً بِالْوَصِيَّةِ عَلَيْنَا وَعَلِّمَ عَلَيْهَا، وَفَرِحَ كُلُّ وَاحِدٍ (٩٠ ب) بِكِتَابِهِ؛ فَالتَّاجِرُ اَسْتَعْمَلَ لَنَا مِنَ السُكَّرِ اَنْوَاعاً مِنَ الاَطْعِمَةِ، وَأَعْطَانَا حَتَّى اَلتَّمْرَ اَلّتِي هِيَ غَرِيبَةٌ عِنْدَهُمْ، لأَنَّهَا مَجْلُوبَةٌ مِنْ بِلاَدِ اِلْمُسْلِمِينَ، إذْ لَيْسَ هِيَ فِي الدُّنْيَا إلاَّ فِي بِلاَدِهِمْ٠

وَأَمَّا اَلرَّسُولُ اَلّذِي فَرِحَ بِي فِي بِلاَدِهِ؛ قُلْتُ لَهُ: اِنَّ[2] تُرْكِيَتَيْنِ بِبِلاَدِ اِلْفَرَنْجِ: بِبِّرِيشْ وَاتِّفَقَ لَهُمَا بِأَنْ دَخَلَتَا فِي دِينِ اِلنَّصَارَى؛ وَطَلَبَتَا مِنِّي أَنْ أدَبِّرَ عَلَيْهِمَا حَتَّى تَرْجِعَا اِلَى بِلاَدِ اِلْمُسْلِمِينَ؛ وَأَنَا رَاجِعٌ اِلَى مَرّاكُشْ فِي هَذِهِ اِلأَيَّامِ – اِنْ شَاءَ اَللَّهُ تَعَالَى – وَكَيْفَ يَكُونُ اَلتَّدْبِيرُ عَلَيْهِمَا؟

قَالَ: أُكْتُبْ لَهُمَا تَأتِيَانِ اِلَى دَارِي؛ وَأَنَا أُدَبِّرُ عَلَيْهِمَا حَتَّى تَرْجِعَا اِلَى بِلاَدِهِمَا.

وَكَتَبْتُ لَهُمَا بِذَلِكَ، وَبَعَثْتُ اَلبَرَاةَ اِلَى رَجُلٍ اَنْدَلُسِي؛ وَبَلَّغَهَا لَهُمَا؛ وَسَتَرَهُمَا اَللَّهُ تَعَالَى فِي اِلطَّرِيقِ مِنَ اَلْفَرَنْجِ حَتَّى بَلَغَتَا اِلَى فَلَنْضِسْ٠

---

[1] س: لكاتب سره .

[2] س: قلت له اعلم ان .

وَوَقَعَ اَلتَّدْبِيرُ مَعَ الاَمِيرِ[١] وَبَعَثَهُمَا فِي سَفِينَةِ تُجَّارٍ اِلَى اِصْطَنْبُولَ، وَبَلَغَتَا سَالِمَتَانِ. وَصُنِعَ مَعَهُمَا ذَلِكَ بَعْدَ أَنْ مَشَيْتُ مِنْ تِلْكَ اَلْبِلاَدِ وَلاَ رَايْتُهُمَا، وَالْخَيْرُ يَاتِي بِخَيْرٍ. وَاَمَّا اَلرَّايِسُ كَانَ يَفْرَحُ بِنَا (١٩١أ) فِي سَفِينَتِهِ وَذَلِكَ مَقْصُودُنَا.

وَأَمَّا مَدِيْنَةُ اَلْهَايَهْ اَلَّتِي كَانَ فِيهَا اَلاَمِيرُ؛ فَعَرْضُهَا اِثْنَانِ وَخَمْسُونَ دَرَجَةً، وذَلِكَ فِي اِلاَقْلِيمِ اَلسَّادِسِ مِنَ اَلدُّنْيَا. وَاَصَابَنَا اَلْحَالُ وَنَحْنُ فِيهَا فِي اَطْوَلِ اَيَّامِ اِلْعَامِ عِنْدَ حُلُولِ اِلشَّمْسِ بِالسَّرَطَانِ وَلَيْسَ طُلُوعُ اَلشَّمْسِ وَغُرُوبِهَا كَهَذِهِ اِلْبِلاَدِ – اَعْنِي مِصْرَ وَالْمَغْرِبِ وَالشَّامِ وَبِلاَدِ الاَنْدَلُسْ – فَالْيَوْمُ هُنَالِكَ مِنْ[٢] أَوَّلِ اِلْفَجْرِ مِنْ نَحْوَ تِسْعَةَ عَشَرَةَ سَاعَةٍ بِتَقْرِيبٍ؛ وَلاَ ظُلْمَةَ فِي اِلَّيْلِ إِلاَّ قَلِيْلَةٌ؛ وَغُرُوبُ اَلشَّمْسُ مُنْحَرِيفَةٌ، وَتَبْقَى اَلْحُمْرَةُ فِي اِلسَّمَاءِ اِلَى قَرِيبٍ مِنْ نِصْفِ اِلَّيْلِ؛ ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ بِسَاعَةٍ وَنِصْفٍ بِتَقْرِيبٍ نُصَلِّي اَلصُّبْحَ.

---

[١] زيادة في س: "بواسطة الرسول وكان قد قال لي الرسول ان المسلمين الذين وجدوا في بلدهم في الاغربة حين اراد الامير ان يبعثهم هدية الى بلد المسلمين جاء التجار اليه وقالوا له ان يبيع لهم المسلمين ليفدوا بهم نصارى اسارى عند المسلمين قال لهم: نبعثهم هدية للمسلمين ليعملوا الخير مع اهل بلدنا الذين يريدون عليه. حينئذ قالوا: المسلمون طماعون ولا يرون بالخير. قال لهم: ان لم يكن فيهم الا واحدا من يرى بهذا الخير لوجه هاذا الواحد نعطي هؤلاء الاسارى كلهم. ولما ان وقفنا مع الرسول في مراكش حتى خرج من السجن وردوا له حصانه وغير ذلك قال انه كتب للامير واخبره وقال له هذا ك الواحد الذي قلتم انه يرى بالخير الذي عملتم مع المسلمين الذين بعثتوني بهم قد ظهر وذكر ذلك الخير حتى بلغ السلطان واطلقني من السجن ، ولنكذب التجار الذين قالوا العيب في المسلمين ما اردت نطلب شيئا من المال ورضى المسلمين عندي افضل من كل متاع الدنيا " .

[٢] س: من انشقاق الفجر على غروب الشمس من نحو تسع عشرة ساعة ولا ظلمة .

وَيطُولُ اَلْكَلاَمُ عَلَى مَا رَأيْنَا بِفِلِنْضِسْ، ذَكَرْنَا شَيْئاً[١] فِي اِلرِّحْلَةِ، وَأَيْضاً حِكَايَةَ اَلسِّتَتَ رِجَال[٢] اِلَّذِيْنَ جَاءُوا فِي سَفِينَتِهِمْ مِنَ اَلْبَحْرِ اِلَّذِي يَكُونُ فِيهِ اِلْيَوْمُ مِنْ سِتَّتِ اَشْهُرٍ اَوْ قَرِيباً مِنْ ذَلِكَ لاَ لَيْلَ فِيهَا • وَبِعَكْسِ ذَلِكَ فِي زَمَنِ اِلشِّتَاءِ لاَ شَمْسَ فِيهَا فِي مِثْلِ ذَلِكَ اَلزَّمَنِ مِنَ اِلشِّتَاءِ[٣] •

وَامَّا مَا ذَكَرْتُهُ فِي هَذَا اَلْبَابِ (٩١ب) مِمَّا جَوَّبْتُ بِهِ لِلاَمِيرِ فِي شَانِ اِلاَسْبَابِ اِلَّتِي حَمَلَتْ لِسُلْطَانِ اِلنَّصَارَى عَلَى اَخْرَاجَ اِلاَنْدَلُسْ مِنْ بِلاَدِهِ، فَنَذْكُرُ هُنَا شَيْئاً، وَلَمْ نَذْكُرْهُ فِي اِلنُسَخِ اِلَّتِي سَبَقَتْ لِهَذَا اَلْمُخْتَصَرِ •

اَعْلَمْ اِنَّ سُلْطَانَ اَلْبِلاَدِ اِلْمُسَمَّى: بِفِلِبٍّ اِلثَّانِي، مِنْ اِسْمِهِ – اَعْنِي مِمَنْ سُمِّيَ مِنْ اَلسَّلاَطِينِ بِفِلِبٍّ – وَبَيَنْتُ هَذَا لاَنِّي طَالَعْتُ بَعَضَ كُتُبِ اِلتَّوَارِيخِ لِلْمُسْلِمِينَ فِيمَا وَقَعَ لَهُمْ مِنَ اَلْحُرُوبِ مَعَ سُلْطَانِ اَلْبِلاَدِ اِلْمُسَمَّى بِاَلْفُنْشْ؛ وَلَمْ يُبَيِّنُوا اَيُّهُمْ كَانَ؟ لأَنَّ بِبِلاَدِ اِلاَنْدَلُسْ كَانَ فِيهَا اَكْثَرَ مِنْ اِثْنَا عَشَرَ سُلْطَاناً مَنْ سُمِّيَ بِالْفُنْشْ؛ اِلاَّ اَنَّهُمْ يَذْكُرُونَ كُلَّ وَاحِدٍ بِحِسَابِهِ مِنَ اَلاِسْمِ، مِثْلُ اَنْ يَقُولُوا: اَلْفُنْشْ اَلرَّابِعِ أَوْ اَلثَّامِن اَوْ اَلْعَاشِرِ. وَالْمُؤَرِّخُونَ اَلْمُسْلِمُونَ لاَ يَذْكُرُونَ دَرَجَةً لِلاِسْمِ. وَهَذَا فِلِبٌّ اَلثَّانِي اَمَرَ فِي بِلاَدِهِ كُلِّهَا قَبْلَ خُرُوجِي مِنْهَا أَنْ يُزَمِّمُوا جَمِيعَ

---

[١] س: ذكرنا شيئاً كم ذلك في الرحلة.

[٢] س: وايضا حكايات ستة رجال.

[٣] س زيادة هي: " في ذلك الزمان ولنذكر هنا ما قال ساطان بلد الأندلس في كتابه انه سبب اخراج الاندلس من بلدة وترجمتها للسلطان مولاي زيدان رحمه الله اعلم ان من التيسير لخروج المسلمين الاندلس من بين الكفار المشركين غلى بلد المسلمين امر سلطان البلد المسمى فلب الثالث اسمه اعني ممن سمي من سلاطين النصارى بفلب في بلده كلها ان يزمواجميع الاندلس ...

اَلاَنْدَلُسْ صِغَارًا وَكِبَارًا؛ حَتَّى اِلَّتِي فِي رَحْمِ اِلنِسَاءِ بِظُهُـورِ اِلْحِمْلِ. وَلاَ عَلِمَ اَحَدٌ اَلسِّرٌّ فِي ذَلِكَ.

ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ بِنَحْوَ اَلسَّبِعَ عَشْرَةَ سَنَةٍ عَمَلُوا زَمَامًا آخَـرَ مِثْـلُ اَلاوَّلِ – كَمَا أعْلَمُونِي (١٩٢أ) بِمَرّاكُشْ – وَلَمْ يَدْرِ اَحَدٌ اَلسِّرٌّ فِي ذَلِكَ حَقِيقَـةً؛ وَلاَكِنْ قَالَ لِسَانَ اَلْحَالِ: أَنَّهُمْ أَرادُوا يَعْلَمُوا هَـلْ كَـانُوا فِـي زِيَـادَةٍ اَمْ لاَ؟ وَلَمَّا وَجَدُوا زِيَادَةً كَثِـيْرَةً أَمَـرُوا بِقُـرْبِ ذَلِكَ بِـإِخْرَاجِهِمْ. وَكَتَـبَ اَلسُّلْطَانِ فِلِـبٌ اِلثَّـالِثُ – مَـنْ اِسْـمِهِ – كِتَابًا لِقَرِيبِـهِ وَخَلِيفَتِـهِ بِمَدِينَـةِ بَلَنْسِيهْ يَامِرْهُ اَنْ يَشْرَعَ فِي اِخْـرَاجِ اِلاَنْدَلُـسْ. وَتَرْجَمْتُ نُسْـخَةً مِـنَ اَلْبَرَاءَةِ لِلسُّلْطَانِ مَوْلاَي زَيْدَانِ اِبْنُ اَلسُّلْطَانِ مَوْلاَيْ اَحْمَدْ بِمَرّاكُشْ، وَكَانَ تَارِيخُ اَلْكِتَابِ – وَاَللَّهُ اَعْلَمْ – فِي اَوَّلِ عَامْ ثَمَانِ عَشْرَةَ وَاَلْـفٍ مِنَ اَلْهِجْرَةِ[١]، قَالَ فِيهِ:

"مَرْكِشْ ذَا قَرَسِنَا قَرِيبُنَا وَخَلِيفَتُنَا فِي سِلْطَنَتِنَا بِلِنْسِيَهْ سَلاَمٌ! قَدْ عَلِمْتَ مَا صَنَعَ وَعَمِلَ مَعَ اَلنَّصَـارَى اَلْجُـدُودِ اِلاَنْدَلُـسْ اَهْلِ تِلْـكَ اَلسَّلْطَنَةِ وَقَشْتَالَةَ عَلَى طُولِ اِلسِّنِينَ اَلْكَثِيرَةِ اَلْمَاضِيَـةِ مِـنْ اَلتَّحْرِيـضِ وَالارْشَادِ لإثْبَاتِهِمْ فِي دِينِنَا اَلْمَجِيدِ وَإِيمَانِنَا. وَلاَ نَفَعَ مَعَهُمْ قَلِيْـلاً وَلاَ كَثِيرًا لاَنَّهُ لَمْ يُجَدْ فِيهِمْ وَاحِدٌ مَنْ هُوَ نَصْرَانِي حَقِيقَةً. وَاَلْغَرَرُ وَالشَّرُّ اَلَّذِي يُمْكِنَ اَنْ يَحْدُثَ (٩٢ ب) بِسَبَبِ مَـا تَعَامَيْنَـا عَلَيْهِمْ؛ قَـدْ ذَكَـرَهُ اِلَيْنَا رِجَالٌ عُلَمَاءٌ وَصُلَحَاء وَاَنَّه لَزِمَنَا اِصْلاَحْ ذَلِـكَ اَلاَمْـرَ لِـنَرْضِي بِهِ اَللَّهَ؛ وَتَزِلُ غَضَبَهُ مِنْ اَجْلِ هَذِهِ اِلاُمَّةِ، وَاَفْتَوا فِيهِمْ اَنَّهُ يَجُـوزُ لَنَـا مِنْ غَيْرِ شَكٍّ أَنْ نُعَاقِبَهُمْ فِي اَنْفُسِهِمْ وَاَمْوَالِهِمْ؛ لاَنَّ اَلاسْـتِمْرَارَ عَلَـى سُوءِ اَفْعَالِهِمْ خَتَمَ وَحَكَمَ عَلَيْهِمْ اَنَّهُمْ مُنَـافِقُونَ وَاَعْدَاءَ لِلْمَقَـامِ اَلإلَهِـي

---

[١] س: من حسابنا .

وَالإِنْسَانِي[١]، وَهَبْ إِنَّنَا قَادِرٌ عَلَى أَنْ نُجَزِيهِمْ وَنُعَاقِبَهُمْ بِمَا أَوْجَبَ سُوءِ فِعْلِهِمْ وَلَوْمَتِهِمْ. فَمَعَ ذَلِكَ اخْتَرْتُ مُعَامِلَتِهِمْ عَلَى طُرُوقِ الْحِلْمِ وَاللينِ وَتَرْكِ الْمُوَاخذَةِ. وَبِسَبَبِ ذَلِكَ أَمَرْنَا بِاجْتِمَاعِ الْمَحْفَلِ الَّذِي حَضَرْتُ فِيهِ مَعَ الْعُلَمَاءِ وَالأَكَابِرِ فِي تِلْكَ الْمَدِينَةِ لَعَلِّي نَجِدُ سَبِيلاً لِتَرْكِ إِخْرَاجِهِمْ مِنْ مِمْلَكَتِنَا؛ وَنَحْنُ فِي هَذَا تَحَقَّقْنَا وَصَحَّ مِنْ وُجُوهٍ: إِنَّهُمْ بَعَثُوا لِلتُّرْكِي الْكَبِيرِ بِإِصْطَنْبُول وَمَوْلاَيْ زَيْدَان بِمَرَّاكُشْ رُسُلَهُمْ يَطْلُبُونَ مِنْهُمْ أَنْ يَنْجِدُوهُمْ وَأَنَّهُمْ عِنْدَهُمْ مِائَةُ وَخَمْسُونَ أَلْفَ رَجُلاً مُسْلِمُونَ؛ مِثْلُ الَّذِينَ بِبِلاَدِ الْمَغْرِبِ الافْرِقيَه؛ وَأَيْضاً بَعَثُوا لأَعْدَائِنَا (١٩٣أ) الْبَحْرِيَّةَ بِالْجِهَةِ الشِّمَالِيَهْ الَّتِي تَحْتَ الْقُطْبِ[٢] وَأَنْعَمُوا أَنَّهُمْ يُعِينُهُمْ بِسُفُونِهِمْ. وَأَمَّا سُلْطَان إِصْطَنْبُول قَدْ اصْطَلَحَ مَعَ سُلْطَان الْفُرْسِ لأَنَّهُ كَانَ يُشْغِلُهُ؛ وَأَمَّا سُلْطَان مَرَّاكُشْ فَقَدْ عَزَمَ عَلَى تَدْوِيخِ الْبِلاَدِ وَتَسْكِينِهَا؛ وَإِذَا اتَّفَقُوا جَمِيعاً مَعَ هَؤُلاَءِ نَرَوْ نُفُوسَنَا فِي الأَمْرِ الَّذِي لاَ يَخْفَى.

وَلِلْقِيَامِ بِمَا لَزِمَنَا مِنْ حِفْظِ مَمْلَكَتِنَا، وَدَفْعِ مَا يَعْرُضُ لَهَا اتَّفَقَ نَظَرُنَا – بَعْدَ أَنْ دَعَوْتُ اللَّهَ وَأَمَرْتُ بِالدُّعَا لَهُ طَامِعاً وَمُتَوَكِلاً فِي تَأْيِيدِهِ وَنَصْرِهِ لِمَا يَجِبُ لِمَجْدِهِ وَفَضْلِهِ – عَلَى اخْرَاجِ جَمِيعِ الأَنْدَلُسْ الَّذِينَ هُمْ فِي تِلْكَ السَّلْطَنَةِ لأَنَّهُمْ اقْرَابُ لِلْغَرَرِ؛ وَالانْجَاز بِذَلِكَ أَمَرْنَا بِإِشْهَارِ هَذَا الأَمْرِ وَيُنَادَى بِهِ.

فَأَوَّلاً يُعْرَفُ مِنْهُ أَنَّ جَمِيعَ الأَنْدَلُسْ الَّتِي فِي تِلْكَ الْمَمْلَكَةِ رِجَالاً وَنِسَاءً بِأَوْلاَدِهِمْ فِي ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ مِنْ شُهْرَةِ هَذَا الأَمْرِ بِالْبِلاَدِ الَّتِي هُمْ

---

[١] هنا يبدأ سقط آخر في س.

[٢] يعني: الجمهورية الهولندية.

سَاكِنُونَ أَنْ يَخْرُجُوا وَيَمْشُوا لِيَرْكَبُوا اَلْبَحْرَ فِي اِلْمَوْضِعِ اِلَّذِي يُومَرُ بِهِ؛ وَأَنْ يَحْمِلُوا مِنْ اَلْعُرُوضِ وَاَلاَثَاثِ مَا يَسْتَطِيعُونَ عَلَيْهِ؛ لِيَرْكَبُوا فِي اِلسُّفُنِ وَاَلاَغْرِبَةَ (٩٣ ب) اِلَّتِي هِيَ مَوْجُودَةٌ لِحَمْلِهِمْ اِلَى بِلاَدِ اِلْمَغْرِبِ؛ وَيَنْزِلُونَهُمْ مِنْ غَيْرِ مَضَرَّةٍ لاَحَدٍ فِي اِلنُّفُوسِ وَاَلاَمْوَال وَيَعْطُونَهُمْ مَا يَحْتَاجُونَ اِلَيْهِ مِنَ اَلطَعَامِ مَا دَامُوا فِيهَا. وَمَنْ اَرَادَ أَنْ يَحْمِلَ لِنَفْسِهِ مَا يَقْدَرُ عَلَيْهِ فَلْيَفْعَلُ. وَمَنْ يَتَعَدَّى عَنْ هَذَا اَلأَمْرِ فَلْيُقْتَلُ فِي اِلْحِينِ.

وَاَنَّ كُلَّ مَنْ يُوْجَدُ بَعْدَ ثَلاَثَةِ أَيَّامِ اِلَّتِي يُنَادَى بِاَلاَمْرِ خَارِجاً عَنْ بَلَدِهِ؛ يَجُوزُ لِكُلِّ مَنْ لَقِيَهُ اَنْ يَنْهَبَ مَا عِنْدَهُ؛ وَيُسَلِّمَهُ لِلْحُكَّامِ[1] وَاِنْ اَمْتَنَعَ يَجُوزُ لَهُ قَتْلُهُ.

وَاَنَّ كُلَّ مَنْ يَسْمَعَ اَلنِدَا لاَ يَخْرُجُ مِنْ بِلَدِهِ اِلَى غَيْرِهِ حَتَّى يَمْشِي مَعَ مَنْ يَقُودُهُمْ اِلَى رُكُوبِ اِلْبَحْرِ.

وَاَن كُلَّ مَنْ يَدْفَنَ شَيْئاً مِنْ اَمْتِعَتِهِ إِنْ لَمْ يَسْتَطِعَ اَلرُّقُودَ مَعَهُ؛ اَوْ يَحْرِقَ شَيْئاً مِنَ اَلزَرْعِ أَوْ اَلاَشْجَارِ، أَنْ يُقْتَلَ عَلَى ذَلِكَ؛ وَأَمَرْنَا جِيرَانَهُ بِتَنْفِيذِ اِلْحُكْمِ فِيهِمْ.

وَلِمَا يُصْلِحُ بِالْبِلاَدِ فَي مَعَاصِرِ اِلسُكَّرِ وَاَلرُّوْزِ وَسَقْيِ اِلْبِلاَدِ لِيَعْلَمُوا اَلسُكَّانَ اَلْجُدُودِ؛ أَمَرْنَا بِقُعُودِ سِتَتٍ مِنَ اَلاَنْدَلُسْ بِأَوْلاَدِهِمْ اِلَّذِينَ لَمْ يَتَزَوْجُوا، فِي كُلِّ بَلَدٍ يَكُونُ مِنْ مِائَةِ دَارٍ وَاَلاَمْرِ فِي ذَلِكَ لِتَعْيِينِهِمْ فَهُوَ لِمَوْلِ كُلِّ بَلَدٍ وَيَكُونُ مِنَ اَلفَلَّحِينَ اَلقُدَمَاءِ اَلَّذِينَ (٩٤أ) ظَهَرَ عَلَيْهِمْ اَلقُرْبُ وَاَلْمَيْلُ لِدِينِنَا، وَيُرْجَى فِيهِمْ اَلثَّبَاتُ عَلَيْهِ.

---

[1] يريد: حكام محاكم التفتيش.

وَإِنَّ الرُّمَاةُ وَالنِّصَارَى الْقُدَمَا لاَ يَاخُذُوا شَيْئاً مِنْ اَمْوَالِهِمْ وَلاَ يَقْرَبُوا اِلَى نِسَائِهِمْ وَاَوْلاَدِهِمْ وَلاَ يَكْتُمُ مِنْهُمْ اَحَداً فِي دَارِهِ؛ وَمَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ يُجْعَلُ فِي مُقَدَفِ الاَغْرِبَةِ سِتَّ سِنِينَ وَيُزَادُ عَلَى ذَلِكَ مَا يَظْهَرُ لَنَا.

وَلِيَعْلَمُوا أَنَّ اَلسُّلْطَانَ[١] مَا مُرَادُهُ إلاَّ اِخْرَاجِهِمْ مِنْ بِلاَدِهِ اِلَى بِلاَدِ الْمَغْرِبِ؛ فَلاَ يَضُرُّهُمْ اَحَدٌ بِوَجْهٍ مِنَ الْوُجُوهِ؛ وَأَنَّهُ يَنْفِقُ عَلَيْهِمْ وَيَحْمَلَهُمْ فِي سُفُنِهِ، وَاِذَا بَلَغُوا فَلْيَرْجِعُوا عَشَرٌ مِنْهُمْ لِيَعْلَمُوا لِغَيْرِهِمْ وَكُبَرَاءِ الاَغْرِبَةِ وَالسُّفُنْ فَلْيَعْمَلُوا بِهَذَا الاَمْرِ.

وَاَنَّ اَلصِبْيَانَ وَاَلاَيْتَامَ مِنْ اَقَلِّ مِنْ اَرْبَعِ سِنِينَ؛ اِذَا اَرَادُوا اَلْقُعُودَ بِرِضَاءِ وُكَلاَئِهِمْ وَاَلاَوْصِيَا؛ فَلْيَقْعُدُوا.

وَاَنَّ اَلصِّبْيَانَ اَلَّذِينَ يَكُونَ اَوْلاَدَ نَصَارَى لاَ يُخْرَجُوا وَلاَ لاَمَهَاتِهِمْ مَعَهُمْ وإِنْ كَانَتْ اَنْدَلُسِيَةً. وَاِنْ كَانَ اَبُوهُمْ اَنْدَلُسِي وَاُمَهُمْ نَصْرَانِيَةً فَتَقْعُودُ[٢] اَلْمَرْأَةُ بِأَوْلاَدِهَا اَلَّتِي مِنْ سِتَتِ فَأَقَلِّ وَهُو يَذْهَبُ وَيَخْرُجُ.

وَشُهِرَ هَذَا الاَمْرُ وَنُودِيَ بِهِ فِي اَلثَّانِي والْعِشْرِينَ (٩٤ب) مِنْ شَهْرِ شُتَنْبِر مِنْ عَامِ تِسْعَ وَسِتُّ مِائَةَ وَأَلْفُ مِنْ مِيْلاَدِ سَيِّدِنَا عِيسَى - عَلَيْهِ اِلسَّلاَمُ -"[٣] اَنْتَهَى.

وَبَعْدَ أَنْ خَرَجُوا اَهْلُ سَلْطَنَةِ بَلَنْسِيَه؛ فَأَمَرَ بِالْخُرُوجِ لِلَّذِين كَانُوا بِالاَنْدَلُسِيَةِ وَغَيْرِهَا مِنَ اِلْبِلاَدِ اَلْقَرِيبَةِ اِلَيْهَا اَنْ يَخْرُجُوا. وَبَعْدَ اَنْ

---

[١] هنا ينتهي السقط في س.

[٢] س: فتقعد .

[٣] س: ثم بعد ذلك أمر أمراً عكس هذا الذي فرعنا منه ان كل من يكرى سفينة للخروج في بلد المسلمين ياخذ اولاده كل من كان من نحو العشر سنين او سبعة واخذوا منهم شيئا كثيرا من الاولاد والبنات واخرجوا من عشرين سفينة كل من كان فيها من الاولاد واخذوا لأهل الحجر الأحمر...

اَكْتَرَوا اَلسُّفُن – وَهُمْ فِي وَادِ اِشْبِيلِيَه – بَعَثَ اَلسُّلْطَان أَمْرَاً عَكْسِ اِلاَوَّل؛ وقَالَ: أَنَّ كُلَّ مَنْ اَكْتَرَى سَفِينَةً لِيَمْشِي لِبِلاَدِ اِلْمُسْلِمِينَ اَنْ يَاخُذُوا لَهُمْ كُلّ مَنْ كَانَ مِنْ اَقَلّ مِنْ سَبْعَ سِنِينَ مِنْ اَلاَوْلاَدِ وَاَلْبَنَاتِ. وَاَخْرَجُوا كُلَّ مَنْ كَانَ فِي عِشْرِين سَفِينَةٍ. وَاَخَذُوا لاهْلِ اِلْحَجَرْ اَلاَحْمَرَ نَحْوَ اَلْفِ مِنَ اَلاَوْلاَدِ، وَكُلُّ مَنْ جَازَ عَلَى طَنْجَه وَسَبتَه، فَأَخَذُوا لَهُمْ اَوْلاَدَهُمْ مِثْلَ اَلاَخَرِينَ. وَاِللّهُ تَعَالَى قَادِرٌ عَلَى اَخْذِ اِلْحَق مِنْهُمْ فِي اِلدُّنْيَا عَلَى يَدِيْ مَنْ فَضَّلَهُ اَللّهُ وَاَخْتَارَهُ مِنْ سَلاَطِين اِلْمُسْلِمِينَ[١].

---

[١] س: انه على ذلك قدير انه نعم المولى ونعم النصير .

الباب الثاني عشر

فيما اتفق لنا في مصر مع راهب عالم كان بالغاً في فنون العلم ويقرا بالعربية، وايضاً ما وقع لي من المكاتبة لراهب من اكابر علماء النصارى بمراكش

وَذَلِكَ أَنَّهُ جَاءَ فِي الْبَحْرِ (١٩٥أ) فِي سَفِينَةٍ مِنَ الْهُنُودِ قَاصِداً اِلَى بِلاَدِ الاَنْدَلُسْ، لِيَحْضَرَ فِي الدِّيوَان الْكَبِيرِ لِلْقَسِيسِينَ لِيَبْعَثُوا الرُّهْبَان لاِقْطَارِ الدُّنْيَا[١]، كَمَا هِيَ مِنْ عَادَتِهِمْ، لاَنَّهُمْ لاَ يَتْرُكُونَهُمْ[٢] لِلسُّكْنَى فِي الْبِلاَدِ الَّتِي يَمْشُونَ اِلَيْهَا اِلاَّ نَحْوَ الْعَامَيْنِ اَوْ ثَلاَثْ[٣]؛ ثُمَّ يُرَحِّلُونَهُمْ[٤] اِلَى بِلاَدٍ غَيْرِهَا.

وَرَايِسُ السَّفِينَةِ جَاءَ اِلَى مَرْسَى اَزْمُورْ مِنْ بِلاَدِ الْمُسْلِمِينَ، وَظَنَّ اَنَّهَا مِنْ بِلاَدِ النِّصَارَى، وَدَخَلَ فِيهَا وَبَقِيَ اَسِيراً هُوَ وَجَمِيعِ مَنْ كَانَ فِي السَّفِينَةِ؛ وَمِنْ جُمْلَتِهِمْ الرَّاهِبُ الْكَبِيرُ؛ وَأَتَوْ[ا] بِالْجَمِيعِ اِلَى مَرَّاكُشْ؛ وَقَبْلَ اَنْ جَاءَ كُنْتُ تَكَلَّمْتُ مَعَ السُّلْطَان مَوْلاَيْ زَيْدَان - رَحِمَهُ اللَّهُ - فِي فِدَاءِ رَاهِبٍ اَسِيرٍ؛ وَدَفَعَ الْمَالَ فِي فِدَائِهِ؛ وَذَهَبَ اِلَى بِلاَدِهِ وَفَرِحْتُ بِذَلِكَ لاَنَّهُ كَانَ يُثَبِّتُ كُلَّ مَنْ يَسْلِمَ مِنَ النِّصَارَى فِي دِينِ الْكُفَّارِ فِي خَفَاءٍ مِنَ النَّاسِ؛ وَلَوْ تَحَقَّقَ سَلاَطِينَ الْمُسْلِمِينَ مِنْ سُوءِ فِعْلِ الْقَسِيسِينَ وَالرُّهْبَان وَاَنَّهُمْ يَحْتَالُونَ عَلَى اَكْثَرِ مِنْ

---

[١] س: لاقطار بلدهم.

[٢] س: لا يتركون .

[٣] س: او ثلاث سنين .

[٤] س: يرحلون .

يَرْجِعَ مُسْلِماً مِنَ النصارى[١] لِيَرْتَدَ فِي خَفَاءٍ عَنْ دِينِ الإسْلاَمِ؛ وَأَنْ يَكُونَ عَدُوّاً لِلْمُسْلِمِينَ؛ لاَ يَتْرُكُونَ اَبَداً وَاحِداً مِنْهُمْ فِي بِلاَدِهِمْ. وَهَذِهِ نَصِيْحَةٌ (٩٥ب) منّي اِلَيْهِمْ؛ وَمَا قُلْتُ فِيهِمْ فَهُوَ صَحِيحٌ لاَشَكٌ فيه.

ثُمَّ اَنَّ اَلرَّاهِبَ اَلَّذِي جَاءَ مِنْ اَلْهُنُودِ بِلَغَهُ اَلْخَبَرُ بِأَنِّي تَكَلَّمْتُ فِي فِدَاءِ اَلرَّاهِبِ اِلَّذِي كَانَ قَبْلَهُ وانْفَدَا وَمَشَى. وَبَعَثَ لِي كِتَاباً بِالاعْجَمِيَةِ[٢] يَطْلُبُ مِنِّي أَنْ اُكَلِّمَ اَلسُّلْطَان فِي فِدَائِهِ، وَقَرَأْتُ اَلرِّسَالَةِ؛ وَبَانَ لِي مِمَّا كَتَبَ اَنَّهُ مِنْ اَكَابِرِ عُلَمَائِهِمْ. وَكَانَ فِي اَعْلاَ اَلْبَرَاءَةِ صَلِيبٌ مَكْتُوبٌ كَمَا هِيَ مِنْ عَادَتِهِمْ. فَكَتَبْتُ لَهُ اَلْجَوَابَ وَقُلْتُ لَهُ: اَنْ يَصْبِرَ حَتَّى نَجِدَ مَفْصَلاً[٣] لِلْكَلاَمِ مَعَ اَلسُّلْطَان؛ وَلَمَّا اَنَّهُ صَدَّرَ فِي أعلا كِتَابِهِ اَلشِّرْكُ بِصُوْرَةِ اِلصَّلِيبِ اِلَّذِي يَعْبُدُونَهُ؛ كَتَبْتُ اَنَا فِي اَعْلاَ اَلْكِتَابِ تَوْحِيدِ اِللَّهِ تَعَالَى اَلَّذِي هُوَ ضِدُّ اَلشِّرْكِ؛ وَكَتَبْتُ بِالاَعْجَمِيَةِ: بِسْمِ اِللَّهِ اِلْوَاحِدِ فِي ذَاتِهِ، وَاحِدٌ فِي صِفَاتِهِ، وَاحِدٌ فِي اَفْعَالِهِ.

وَبَعْدَ اَنْ قَرَا اَلْجَوَابَ كَتَبَ لِي بَرَاةً ثَانِيَةً؛ وَذَكَرَ فِيهَا كَلاَماً عَنْ اِلذَّاتِ اِلْكَرِيمَةِ وَالصِفَاتِ وَالاَفْعَالِ؛ مُوَافِقَا لِتَوْحِيدِ اَلْمُسْلِمِينَ. ثُمَّ قَالَ: اَللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى خَلَقَ آدمَ عَلَى هَيْئَتِهِ اَوْ عَلَى مِثَالِهِ. وَهَذَا اَلْقَوْلُ هُوَ اِبْتِدَاء شِرْكِهِمْ، لاَنَّ مُرَادَهُمْ بِالْتَّشْبِيهِ اَنَّ سَيِّدِنَا (٩٦أ) عِيسَى – عَلَيْهِ اِلسَّلاَمُ – لَهُ اَصْلٌ فِي ذَلِكَ اَلْخِلْقَةِ لِلأُلُوهِيَّةِ اَلَّتِي يَقُولُونَ فِيهِ – لَعَنَهُمْ اَللَّهُ وَاَخْزَاهُمْ!

---

[١] لعله يعني بعض الاندلسيين المهجَّرين، فإن المعروف أن بعضهم بقي على نصرانيته.

[٢] س: بالعجمية .

[٣] س: موصلا .

ثُمّ كَتَبْتُ لَهُ اَلْجَوَابَ عَلَى اِلْكُفْرِ اِلَّذِي ذَكَرَ فِـي كِتَابِـهِ؛ وَقُلْتُ لَـهُ: اَللّهُ تَعَالَى مُنَزّهٌ عِنْ اِلْتَشْبِيهِ وَالْمِثَـال؛ وَبُرْهَـانُ ذَلِكَ اَنّ اَبَانَـا آدَم - عَلَيْهِ اِلسّلاَمُ - وَلاَ شَيْءَ مِنْ جَمِيعِ اِلْمَخْلُوقَاتِ؛ فَـلاَ تَشْبَهُ اِلَـى اَللّـهِ تَعَالَى فِي ذَاتِهِ وَلاَ فِي صِفَاتِهِ وَلاَ فِي اَفْعَالِهِ. اَمّا ذَاتُ اَلاِنْسَانَ فَهِـيَ حَادِثَةٌ؛ وَاَللّهُ تَبَارَكَ وَتَعَـالَى قَدِيـمٌ وَالاِنْسَـانُ فَـان؛ وَاَللّـهُ تَعَـالَى بَـاقٍ عَلَى اَلْدّوَامِ؛ وَالاَنْسَانُ مُفْتَقِرٌ اَبَدَاً اِلَى اَلْمَحَلّ؛ وَاَللّهُ تَعَالَى غَنِـيٌّ عَنْـهُ وَقَائِمٌ بِنَفْسِهِ؛ وَالاِنْسَانُ مُفْتَقِرٌ اَبَـدَاً وَاَللّـهُ تَبَـارَكَ وَتَعَـالَى هُـوَ اَلْغَنِـيُّ؛ وَكُلُّ مَا سِوَاهُ مُفْتَقِرٌ اِلَيْهِ.

وَاَمّا اِلاِنْسَانُ فَلَهُ صِفَاتٌ مُخْتَلِفَةٌ لِصِفَاتِ اِللّهِ تَعَالَى، فَالاِنْسَـانُ لَـهُ سَمْعٌ وَبَصَرٌ وَكَلاَمٌ وَقُدْرَةٌ حَادِثَةٌ وَعِلْمٌ وَغَيْر ذَلِكَ مِنْ اَلْصِفَاتِ. اَمّـا اَلْسّمْعُ فَيَسْمَعُ اَلانْسَانُ مَا هُوَ قَرِيْبَاً مِنْهُ، وَاِذَا تَكَلّـمَ اِلَيْـهِ جَمَاعَـةٌ مِـنَ اَلْنّاسِ فِي حِين وَاحِدٍ فَـلاَ يَفْهَـمُ مَـا يَقُولُـونَ اِلاّ اَنْ يَتَكَلّـمَ كُـلُّ وَاحِـدٍ وَحْدَهُ؛ وَيَكُونُ اَلْكَلاَمُ بِاللُّغَةِ اَلّتِـي يَعْرِفُـهُ هُـوَ؛ وَاَللّـهُ تَبَـارَكَ وَتَعَـالَى يَسْمَعُ (٩٦ب) اَلْبَعِيدَ وَاَلْقَرِيبَ، وَمَا تَقُولُهُ جَمِيْـعُ اِلْمَخْلُوقَـاتِ بِلِسَـانِ اِلْمَقَالِ وَلِسَانِ اِلْحَالِ وَمَا فِـي اَلضّمَـائِرِ فِي حِيـنٍ وَاحِـدٍ؛ وَلاَ يُشْـغِلُهُ شَيْءٌ عَنْ شَيْءٍ.

وَاَمّا اِلْبَصَرُ فَالاِنْسَانُ يَبْصُرُ اَلْقَرِيبَ بِشُرُوطٍ مِثْلَ اَلضّوْءِ، وَاَنْ لاَ يَكُونَ حَائِلاً بَيْنَهُ وَبَيْنَ اَلْمَنْظُرُ[١] اِلَيْهِ. وَاَللّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَرَى اَلْبَعِيدَ وَاَلْقَرِيبَ وَمَا تَحْتَ اَلثّرَى وَمَا فِي دَاخِلَ اِلاَحْرَام[٢]. وَاَمّا اَلانْسَانُ فَـلاَ يَعْلَمُ مِنْ اَلْعِلْمِ اِلاّ قَلِيلاً؛ وَاَللّهُ تَعَالَىاَحَاطَ بِكُـلّ شَـيْءٍ عِلْمَـاً، وَكَذَلِـكَ

---

[١] س: المنظور إليه .

[٢] س: الارحام .

سَائِرُ اَلصِّفَاتِ اَلانْسَـانِيَةِ كلُّهـا نَاقِصَـةٌ مَحْدُودَةٌ عَـاجِزَةٌ فَانِيَـةٌ؛ كُلُّهَـا مُخْتَلِفَةٌ لِصِفَاتِ اِللّهِ تَعَالَى.

وَامَّا فِعْلُ اَلانْسَان فَلاَ يَخْرُجُ عِنْ عَادَتِـهِ فِـي اِلاَعْمَـالِ اِلاَّ نَـادِراً، حَتَّـى اَنَّ اَلْخَـطَّ اَلَّذِي يَكْتُـبُ يَكُـونُ مَعْرُوفـاً لَـهُ حَتَّـى تَشْـهَدُ اَلنَّـاسُ وَتَقُولُ: هَذَا خَطُّ فُـلاَنٍ؛ وكَذَلِـكَ سَـائِرُ اِلْعَمَـالاَتِ واِلصَنَـايِع. وَانْظُـرْ وَتَأَمَّلْ فِي اَفْعَال اِللّهِ تَعَـالَى اَلْخَـالِقُ اَلْعَظِيـمُ؛ اِنَّ جَمِيـعَ مَخْلُوقَاتِـهِ لاَ يَشْبَهُ لَحَدٌ احَدَاً؛ وَلَوْ اِجْتَمَعَ كُلٌّ مَنْ خَلَقَ مِنْ بَنِي آدَم فِي اِلْدُّنْيَـا وَمَـا يَخْلُقُ، فَلاَ يَشْبَهُ اِنْسَانٌ اخَـرَ غَـيْرَهُ، وَاِذَا شَـبِهَهُ فِـي بَعْـضِ الاَعْضَـا (١٩٧أ) لاَ بُدَّ اَنْ يَخْتَلِفَ عَنْ غَيْرِهِ فَي شَيْءٍ؛ اَمَّا فِي الصَّوْتِ اَوْ غَيْرِ ذَلِكَ، فَهُوَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَاحِدٌ فِي ذَاتِهِ وَصِفَاتِهِ وَاَفْعَالِهِ؛ لاَ شَبَهَ لَهُ.

وَنَزِيْدُ فِي هَذَا اَلْمَعْنَى شَيْئاً؛ وَلاَ تَذَكَرْتُ هَلْ كَتَبْتُهُ فِـي اَلْبَرَاءةِ اَمْ لاَ؟ وَهُوَ اَنَّ[1] اِذَا دَخَلَ فِي غَابَةِ اَشْجَارٍ مِنْ نَوْعٍ وَاحِدٍ مِثْلَ اِلسُّنُوبَرِ اَوْ قَسْطَل اَوْ بُلُوطٍ اَوْ غَـيْرُ ذَلِكَ؛ وَيَنْظُـرُ فِـي اِلاَشْـجَارِ فَـيَرَى كُـلَّ شَـجَرَةٍ مُخْتَلِفَـةً عَـنْ جَمِيعِهَـا فِـي اِلْطُـولِ اَوْ اَلْعَـرْضِ اَوْ بَعْـضِ اِلاَغْصَان اَوْ غَيْرِ ذَلِكَ. وَهَذَا ظَاهِرٌ لِلْعِيَانِ؛ دَلَّ هَذَا اَنَّ اَللّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لاَ نِهْيَةَ وَلاَ حَدَّ لَهُ فِي عِلْمِهِ وَقُدْرَتِهِ وَاِرَادَتِهِ وَجَمِيعِ صِفَاتِهِ.

وَاَمَّا اَلانْسَانُ فَبِخِلاَفِ ذَلِكَ فِي فِعْلِهِ وَعَمَلِهِ. وَقَدْ رَأَيْتُ يَوْمَاً رَجُلاً اَشْتَرَى بَعْضَ اَلصَبَابطِ[2] اَوْ رَوَاجِـي صِغَـاراً لِصِبْيَانِـهِ؛ وَفِـي اِلزَّنْقَـةِ اَلْتَقَى بِمُعَلِّمٍ خَرَّازٍ؛ قَالَ لَهُ: هَذَا اَلصَّبَابِطُ[3] مِنْ دُكَانِي؟ قَـالَ لَـهُ: وَكَمْ

---

[1] س: ان الإنسان اذا دخل .

[2] لم ترد في س .

[3] س: هذه السبابط هي من دكاني .

مِنْ حَوَانِيتِ فِي مَرَّاكُشْ عَامِرَةٌ بِمِثْلِ هَذَا! قَالَ ٱلْخَرَّازُ: لَوْ كَانَ شُغْلِي بَيْنَ مِائَةٍ مِثْلِهِ اَعْرِفُهْ.

وَقَالَ رَجُلٌ فَخَّارٌ: كُنَّا نَخْدَمُ نَحْوَ ٱلثَّمَانِيَةِ مِنَ ٱلصُّنَّاعِ فِي (٩٧ب) عَمَلِ اِلْقِلَلِ اَوْ قُدُورٍ[١] اَوْ غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ ٱلْمَوَاعِينِ مِنْ عَجْنَةٍ وَاحِدَةٍ، لَيْسَ فِيهَا اِلاَّ ٱلطِّينِ وَٱلْمَاء. وَٱلْمَوَاعِينِ عَلَى مِقْدَارٍ وَاحِدٍ؛ وَبَعْدَ ٱلْعَمَلِ؛ فَنَعْرِفُ وَنُمَيِّزُ شُغْلَ كُلٍّ وَاحِدٍ، وَمَنْ هُوَ ٱلَّذِي عَمَلَهُ مِنَ اِلصُّنَّاعِ. وَهَذَا مِنْ جُمْلَةِ مَا ذَكَرْنَا مِنْ خَطِّ اِلاِنْسَانِ اَنَّهُ يَعْرَفُ كَاتِبُهُ.

وَبَعْدَ اَنْ فَرَغْتُ مِنَ ٱلْجَوَابِ لِلرَّاهِبِ، كَتَبْتُ لَهُ سُؤَالاً فِي دِينِهِ – لِمَا عَلِمْتُ مِنْ سُوءِ اِعْتِقَادِهِمْ – وَهَذَا مَعْنَاهُ: مَا قَوْلُكُمْ فِي دِيْنِكُمْ فِي رَجُلٍ زَنَا بِاِمْرَأَةٍ مُحْصَنَةٍ وَحَمَلَتْ مِنْهُ وَوَلَدَتْ، وَزَوْجُ ٱلْمَرأَةِ يَعْتَقِدُ اَنَّ ٱلْمَوْلُود كَانَ اَبْنُهُ حَتَّى كَبَرَ زَوَّجَهُ وَاَعْطَاهُ حَظّاً مِنْ مَالِهِ؛ وَاَشْتَكَى يَوْمَ ٱلْحِسَابِ لِلَّهِ سُبْحَانَهُ مِنْ زَوْجَتِهِ وَمِمَّنْ زَنَى بِهَا وِٱلْمَالَ ٱلَّذِي اَنْفَقَ وَاَعْطَى لاَبْنِ ٱلَّذِي زَنَى بِهَا؛ فَأُحْضِرَ ٱلزَّانِي وَٱلزَّانِيَةُ، وَقِيْلَ لَهُمَا فِي ذَلِكَ، فَقَالَتْ ٱلْمَرْأَةُ: اَنَا ذَكَرْتُ ذَنْبِي لِلْقَسِيسِ اِلْفُلاَنِي وَغَفَرَ لِي؛ وَقَالَ ٱلزَّانِي: اَنَّهُ ذَكَرَ ذَنْبَهُ لِقَسِيسٍ فِي اِلْدُّنْيَا وَغَفَرَ لَهُ ذَنْبَهُ. وَالْسُّؤَالُ (١٩٨أ) مِنْكُمْ – اَيُّهَا اَلرَاهِبُ ٱلْعَالِمُ فِي دِينِهِ – هَلْ بَقِيَ لِلْرِّجُلِ اِلْمَظْلُومِ مَا يَطْلُبُ أَمْ لاَ ؟

وَكَتَبَ ٱلْجَوابَ وَقَالَ: لَيْسَ لِلْرِّجُلِ مَا يَطْلُبُ مِنْ زَوْجَتِهِ وَلاَ مِمَّنَ زَنَى بِهَا بَعْدَ اِسْتِقْرَارِهِمَا فِي اِلْدُّنْيَا لِلْقَسِيسِ مِنَ ٱلذُّنُوبِ لاَنَّهُ غَفَرَ لَهُمَا؛ وَلَمْ يَبْقَ لِلزَّوجِ حَقٌّ عَلَيْهِمَا؛ اَنْتَهَى.

---

[١] س: في عمل واحد قلل وقدور وغير ذلك.

فَانْظُرْ هَذَا اَلاعْتِقَادَ اَلْفَاسِدِ اَلَّذِي عِنْدَهُمْ فِي دِينِهِمْ؛ اَلاَصْلُ فِيهِ يَقُولُونَ بِأُلُوهِيَةِ سَيِّدِنَا عِيسَى - عَلَيْهِ اِلسَّلاَمُ - وَاَنَّ اَلْبَابَ خَلِيفَتَهُ وَجَمِيعِ اَيِيمَةِ دِينِهِمْ كُلٌ وَاحِدٌ خَلِيفَةُ اَلْبَابِ[1]. وَيَامُرُونَ اَلنَّاسَ فِي كُلِّ عَامٍ فِي اَيَّامِ صِيَامِهِمْ اَنْ يَمْشِي كُلُّ مَنْ هُوَ بَالِغٌ مِنْ ذَكَرٍ اَوْ اَنْثَى اِلَى اَلْكَنِيسَةِ؛ وَيَذْكُرَ لِلْقَسِيسِ جَمِيعَ ذُنُوبَهُ وَيَعْطِيهِ بَرَاءَةً بِالْمَغْفِرَةِ وَيَاخُذَ اَلدَّرَاهِمَ عَلَيْهَا. حِينَئِذٍ يَذْهَبُ مَغْفُوراً لَهُ. وَفِي سَائِرِ اَلاَيَّامِ اِذَا كَانَ مَرِيضاً يَمْشِي اِلَيْهِ اِلْقَسِيسُ اِلَى بَيْتِهِ وَيَغْفِرُ لَهُ وَيَاخُذُ أُجْرَتَهُ دَرَاهِمَ[2]. وَقَدْ طَالَعْتُ كِتَابَ اَلتُّرْجُمَانِ - رَحِمَهُ اَللَّهُ - وَقَالَ فِي اِلْقَاعِدَةِ اَلْخَامِسَةِ مِنْ كِتَابِهِ فِي اِلرَّدِّ عَلَى اَلنَّصَارَى، وَذَكَرَ مِثْلُ هَذَا (٩٨ب).

وَإِنِّي اَعْطَيْتُ دَرَاهِمَ سِنِينَ عَدِيدَةٍ فِي بَرَوَاتِ اِلْغُفْرَانِ مُعْتَقِداً فِي كُفْرِهِمْ، وَلاَكِنَّ كَانُوا يَطْلُبُونَ لِكُلِ وَاحِدٍ بَرَاءَتَهُ بَعْدَ اَيَّامِ اِلصِّيَامِ مَكْتُوبٌ فِيهَا اَنَّ فُلاَناً اَسْتَقَرَّ لِلْقَسِيسِ اِلْفُلاَنِي بِذُنُوبِهِ وَاَنَّه غَفَرَ لَهُ؛ وَيُعَلِّمْ بَرَاءَتَهُ وَاِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُ اَلْبَرَاءَةُ يُحَكَّمْ فِيهِ[3].

وَاَمَّا رَاهِبُ مِصْرَ؛ كَانَ يَقْرَا بِالْعَرَبِيَةِ، وَكَانَ عِنْدَهُ اَلْقَامُوس بِالْعَرَبِيَةِ وَالْعَجَمِيَةِ. وَقَدْ اَلْتَقَيْتُ بِهِ مِنْ اَجْلِ كِتَابِ **تَعْدِيلِ اِلْكَوَاكِبِ**[4]؛ لِنَعْرِفَ مِنْهُ فِي اَيِّ يَوْمٍ تَكُونُ اَلْوَقْفَةُ بِعَرَفَةِ، وَغَيْرُ ذَلِكَ فِي اَيَّامِ

---

[1] س: اليابا .

[2] لم ترد في س.

[3] في س: وهم بهذا الاعتقاد الفاسد يعينون الرجال والنساء على الفساد لان اذا علم الانسان ان الذنب الكبير يغفره له القسيس فيسهل عليه عمله.

[4] كتاب **تعديل الكواكب** لعمر بن محمد بن خالد المرورذي، الذي كان حيا في النصف الأول من القرن الثالث للهجرة انظر: سزكين ١٥٩/٦ .

الاَهِلَّةِ؛ وَاِنْ لَمْ يَكُنْ اَلْعَمَلُ بِقَوْلِ الْمُنَجِّمِينَ فِي الاَهِلَّةِ اِلاَّ بِالْرُؤْيَةِ لِلْهِلاَلِ؛ فَلاَ يَضُرُّ اَلْنَظَرُ فِي ذَلِكَ.

وَسَأَلَنِي الرَّاهِبُ عَنْ اِعْتِقَادِنَا فِي الْجَنَّةِ: هِلْ فِيهَا اَكْلٌ وَشُرْبٌ؟ قُلْتُ لَهُ: نَعَمْ فِيهَا ذَلِكَ وَاَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ؛ كَمَا شَهِدَ بِهِ الاَنْجِيلُ اِلَّذِي عِنْدَكُمْ. لاَنَّ سَيِّدَنَا عِيسَى – عَلَيْهِ السَّلامُ – قَالَ لِتَلاَمِذَتِهِ: اِنِّي لاَ اَشْرُبُ مِنْ عَصِيرِ هَذِهِ اِلْكَرْمَةِ اِلَى ذَلِكَ اَلْيَوْمِ اِلَّذِي اَشْرُبُه مَعَكُمْ فِي مَلَكُوتِ اَبِي. وَفِي مَوْضِعٍ اَخَرُ فِي الاِنْجِيلِ: (١٩٩أ) "مَلَكُوتِ اِللَّهِ". قَالَ اَلْرَّاهِبُ: لَيْسَ ذَلِكَ اَلْكَلاَمُ عَلَى ظَاهِرِهِ! وَنَكَرَ ذَلِكَ اَشَدَّ الاَنْكَارِ؛ كَمَا هُوَ فَي اِعْتِقَادِهِمْ.

وَأَمَّا قَوْلُ سَيِّدِنَا عِيسَى – عَلَيْهِ اَلسَّلاَمُ – "فِي مَلَكُوتِ اَبِي"، فَلاَ يُفْهَمُ مِنْهُ اَنَّهُ يَعْتَقِدُ اَنَّهُ اَبُوهُ حَقِيقَةً؛ وَالْمُرَادُ بِذَلِكَ أَنَّ اَبَاهُ هُوَ اِلَّذِي اَخْرَجَهُ مِنْ اَلْعَدَمِ اِلَى اَلْوُجُودِ؛ كَمَا لِغَيْرِهِ فِي اَكْثَرِ مِنْ عَشْرَةِ مَوَاضِعِ مِنَ الاَنْجِيلِ؛

اَلاَوَّلُ: فِي مَعْنَى اَلْعِبَادَةِ فِي شَهَادَةِ مَتَّى اِلَّذِي كَتَبَ رَبْعَ اَلانْجِيلِ.

قَالَ فِي اَلْفَصْلِ اِلسَّادِسِ: اَنَّ اِبْلِيسَ جَاءَ اَلَى سَيِّدِنَا عِيسَى – عَلَيْهِ اِلسَّلاَمُ – وَقَالَ لَهُ: هَذَا العَالَمُ وَمَجْدَهِ اَعْطِيهِ لَكَ اِنْ سَجَدْتَ لِي؛ قَالَ لَهُ عِيسَى – عَلَيْهِ اِلسَّلاَمُ –: اِذْهَبْ يَا شَيْطَانُ؛ لِلرَّبِّ اِلَهُكَ أَسْجُدُ وَلَهُ وَحْدَهُ اَعْبُدُ، اَنْتَهَى. اَلْبُرْهَانُ فِي هَذَا اَلْقَوْلِ: اِنَّ اَلْعِبَادَةَ لاَ تَكُونُ اِلاَّ لِلَّهِ وَحْدَهُ، وَاَنَّهُ – عَلَيْهِ اِلسَّلاَمُ – كَانَ يَعْبُدُهُ؛ اِذْ هُوَ لَيْسَ بِاِلَهٍ.

واَمَّا مَا قُلْنَا: اَنَّ اِللَّهَ تَعَالَى اَبُو اَلْمُومِنِينَ، وَمِنْ جُمْلَتِهِمْ سَيِّدُنَا عِيسَى؛ مِنْهَا فِي اِلْفَصْلِ [الخامس][1] لِمَتَّى قَالَ: قَالَ سَيِّدِنَا عِيسَى

---

[1] في الأصل وس بياض وهذا ما اراد الحجري.

(٩٩ب) – عَلَيْهِ السَّلاَمُ –: طُوبَى لِلْنَقِيَّةِ[1] قُلُوبِهِمْ فَإِنَّهُمْ يُعَايِنُونَ اَللّـهَ، طُوبَى لِصَانِعِي اِلسَّلاَمَةِ، فَإِنَّهُمْ يُدْعَوْنَ أَبْنَاءِ اِللّهِ. ثُـمَّ قَـالَ بَعْدَ كَـلاَمٍ اَخرَ: هكَذَا فَلْيُضِـيءُ نُوركُـمْ قُدَّامِ اِلنَّـاسِ لِيَروْا اَعْمَـالِكُمْ اَلصَّالِحَـةِ، وَيُمَجِّدُوا اَبَاكُمْ اِلَّذِي فِي اِلسَّمَاءِ.

وَاَقُولُ هَذِهِ اِلتَرْجَمَةُ وَعِبَارَتِهَا هِـيَ مِـنْ اِنْجِيلِ مَكْتُـوبٍ بِالْعَرَبِيَـةِ كَانَ عِنْدَ اَلْقَسِيسِ اَلَّذِي وَقَعَ لِي اَلْكَـلاَمُ مَعَـهُ بِمِصْـرَ كَتَبْتُ مِنْـهُ كَمَـا كَانَ. وَاَلْمَطْلُوبُ هُوَ اَلْمَعْنَى[2].

اَلْفَصْلُ اَلْتَاسِعُ : اَحْسِنُوا اِلَى مَنْ اَبْغَضَكُـمْ، وَصِلُـوْا مَـنْ يَطْرُدُكُـمْ وَيَغْتَصِبُكُمْ، لِكَيْمَا تَكُونُوا اَبْنَاءَ اَبِيْكُمْ اَلَّذِي فِيْ اِلسَّمَوَاتِ اِلَّـذِي يَشْـرِقُ شَمْسُهُ عَلَى الاَخْيَارِ وَالاَشْرَارِ، وَيَمْطُرُ عَلَى اَلصِدِّقِينَ وَالظَّالِمِينَ.

وَقَالَ اَيْضاً: كُونُوا اَنْتُمْ مِثْلُ اَبِيكُمْ اَلسَّمَائِي فَهُوَ كَامِلٌ.

وَقَالَ اَيْضاً وَصِيَاتِ وَفِي آخِرِهَا: اَبُوكَ اَلَّذِي يَرَى مَا فِـي اِلْخَفَـاءِ يَجْزِيكَ عَلاَنِيَةً.

اَلْفَصْلُ اَلْعَاشِرُ: صَلِّ لاَبِيكَ سِرّاً؛ وَاَبُوكَ اَلَّذِي يَرَى اَلسِّرَّ يُعْطِيْـكَ (١٠٠أ) عَلاَنِيَةً.

وَقَالَ أَيْضاً: لاَنَّ أَبَاكُمْ عَالِمُ بِمَا تَحْتَاجُونَ اِلَيْهِ قَبْلَ اَنْ تَستَلُوهُ.

وَقَالَ اَيْضاً: فَهَكَذَا تِصَلُّونَ اَنْتُمْ؛ اَبُونَا اَلَّذِي فِي اِلسَّـمَوَاتِ لِيَتَقَـدَّسَ اِسْمُكَ.

وَقَالَ اَيْضاً: فَإِنْ غَفَرتُمْ لِلنَّاسِ خَطَيَاكُمْ، غَفَرَ لَكُمْ اَبُوكُمْ اَلسَّمَاوِي؛ وَاَنْ لَمْ تَغْفِرُوا لِلنَّاسِ خَطَيَاهُمْ، فَلاَ اَبُوكُمْ يَغْفِرُ لَكُمْ خَطَيَاكُمْ.

---

[1] س: للنقيين في قلوبهم .

[2] "المطلوب هو المعنى" لم ترد في س .

وَقَالَ: إِذَا صُمْتُمْ فَلاَ تَكُونُوا كَالْمُرائيينَ؛ لأَنَّهُمْ يُعَبِّسُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَنْتَ اَغْسِلْ وَجْهَكَ.

وَقَالَ أَيْضًا: وَصيَات؛ ولِئَلاَّ يَظْهَرُ لِلنَّاسِ صِيَامُكُمْ، لَكِنْ لأَبِيكَ اَلَّذِي فِي السرِّ وَأَبُوكَ اَلَّذِي يَرَى اَلسِّرَّ يُجَازِيكَ عَلاَنِيَةً.

اَلْفَصْلُ اَلثَّانِي عَشَر: قَالَ: اُنْظُرُوا اِلَى طُيُورِ اِلسَّمَاءِ وأَبُوكُمْ اَلسَّمَاءِي يَقُوتُهَا.

اَلْفَصْلُ اَلثَّامِنُ وَالْعِشْرُون: قال: "عَصْفُرَانِ يُبَاعَانِ بِفَلْسٍ وَوَاحِدٌ مِنْهُمَا لاَ يَسقُطُ عَلَى اَلاَرْضِ اِلاَّ بِإِرَادَةِ أَبِيكُمْ؛ وَاَنْتُمْ فَشُعُورُ رُؤُسَكُمْ كُلِّهَا مُحْصَاةٌ، فَلاَ تَخَافُوا! فَإِنَّكُمْ اَفْضَلُ مِنْ عَصَافِرِ كَثِيرَةٍ. كُلُّ مَنْ يَعْرِفَنِي (١٠٠ب) قُدَّامَ اَلنَّاسِ اَعْتَرِفُ اَنَا بِهِ قُدَّامِ اَبِي اِلَّذِي فِي السَّمَاء"، اَنْتَهَى.

قَدْ بَانَ فِي سِتَتِ عَشَرَ مَوْضِعاً مِمَّا كَتَبْنَا مِنَ اِلانْجِيلِ اِنَّ سَيِّدْنَا عِيسَى - عَلَيْهِ اِلسَّلاَمُ - لَمْ يَخْتَصّ بِإِسْمِهِ: اِبنُ اَللَّهِ مِنْ دُونِ اِلنَّاسِ، لاِنَّهُ كَانَ مَخْلُوقَاً مِثْلُهُمْ مِنْ غَيْرِ اَنْ يَكُونَ لَهُ اَبٌ؛ كَمَا كَانَتْ أُمُّنَا حَوّى مِنْ غَيْرِ أَنْ يكُونَ لَهَا أُمٌّ.

ثُمَّ اَخَذَ اَلرَّاهِبُ فِي ذِكْرِ سَيِّدِنَا عِيسَى - عَلَيْهِ اِلسَّلاَمُ - يَقُولُ فِيهِ: اِنَّهُ اِلَهٌ وَاِبنِ اَللَّهِ حَقِيقَةٌ - تَعَالَى عَنْ قَوْلِهِ!

وَجِئْتُ اِلَى اَلدَّارِ؛ وَتِلْكَ اَلَيْلَةُ قِيلَ لِي فِي اِلنَّوْمِ: "كبرت كلمة تخرج من افواههم"، وَفُقْتُ بِهَذِهِ اِلْكَلِمَةِ وَفَهِمْتُ اَنَّ اَلقَوْلَ كَانَ عَلَى مَا قَالَ[١] اَلرَّاهِبُ فِي ذَلِكَ اَلْيَوْمِ مِنْ اُلُوهِيَةِ سَيِّدْنَا عِيسَى. وانْظُرْ مَا فِي اِلاَيَةِ اِلْكَرِيمَةِ، قَالَ تَعَالَى فِي اَوِّلِ سُورَةِ اِلْكَهْفِ: ﴿ وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ

---

[١] هنا يبدأ سقط كبير في س يقع في حوالي ١٤ورقة لم يتنبه له الناسخ.

اللّهُ ولَدًا ۝ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾[١].

ثُمَّ مَشَيْتُ عِنْدَهُ بَعْدَ الصبْحِ (١٠١أ)؛ وتَقوى عزْمِي مِنْ اجْلِ الآيَةِ الْكَريمَة. وَاخذْنَا فِي الْكَلامِ،

وقُلْتُ لَهُ: نَحْنُ فِي دِينِنَا وَجَمِيعُ الانْبِيَا وجَمِيعِ الْكُتُبِ السَّمَاوِيَة لَمْ تَذْكُرْ الاَّ الِهاً وَاحِداً، وَانْتُمْ تَذْكُرُونْ ثَلاثَةً؛

قَالَ: ايْضاً نَقُولُ واحِداً!

قُلْتُ لَهُ: هَذَا الْوَاحِدُ اتَفَقْنَا فيه لاَ خِلافَ بَيْنَنَا،

قال: نعَمْ!

قُلْتُ: مَنْ هُمَا الإثْنَانِ اللَّذَانِ فِي الالُوهِيَةِ؟ اذْكُرْ لِي واحِداً مِنْهُمَا! وَانَا اعْرِفُ مَاذَا يُجَوِّب بِهِ.

قَالَ: سَيِّدُنَا عِيسَى!

قُلْتُ لَهُ: الإلَهُ يَجْهَلُ شَيْئاً؟

قَالَ: لاَ!

قُلْتُ: هِيَ صِفَةُ الْعِلْمِ فِي الالُوهَيَةِ الْمُتَعلِقَةُ بِكُلِّ مَا كَانَ وَمَا يَكُونُ؟

قَالَ: نعَمْ!

قُلْتُ: قَالَ فِي الانْجيلِ: انَّ ارْبَعَةَ اوْ خَمْسَةَ مِنْ تَلامذِ سَيِّدُنَا عِيسَى – عَلَيْهِ السَّلاَمُ – اتَوْا الَيْهِ فِي جَبَلِ الزَّيْتُون؛ بَعْدَ انْ ذكَرَ لَهُمْ أَنَّ هَذَا الْعَالَمُ يَفْنَى، قَالُوا: "اعْلَمْنَا عَلَى وَجْهِ السِّرِّ مَتَى يَكُونُ انْقِضا الْعَالَمِ؟ قَالَ لَهُمْ: امَّا هَذِهِ الْمَسْئَلَةُ فَلاَ يَعْلَمُهَا احَدٌ، حَتَّى مَلائِكَةُ السَّمَاء، لاَ يَعْلَمُهَا الاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ".

---

[١] سورة الكهف ٥.

قُلْتُ: هَكَذَا هُوَ؟

قَالَ: نَعَمْ!

قُلْتُ: قَدْ تَقَدَّمَ لَنَا اِنَّ اَلإِلَـهَ لاَ يَجْهَلُ شَيْئاً. وَهَـذَا بُرْهَـانٌ قَطْعِـي (١٠١ب) وَبَايِنٌ اَنَّهُ لَيْسَ بِإِلَهٍ، وَبِهَذَا تَبَيَّـنَ وَاتَّضَـحَ اَنَّ اَحَـدَ الاِثْنَيـنِ اَللَّذِينَ زِدْتَ لِلْوَاحِدِ ذَهَبَ. وَذَكَـرَ اَلْمَلاَئِكَـةَ عَلَـى وَجْـهِ اِلْمُبَالَغَـةِ فِـي اِلْعِلْمِ، اَنَّهُمْ اَعْلاَمُ[١] مِنْهُ. وَبَقِيَ لَنَا وَاحِدٌ مِنَ الاِثْنَيْنِ، مَنْ هُوَ؟

قَالَ: هُوَ الرُّوحُ اَلْقُدْسِ؛

قُلْتُ: هَذَا رُوحُ اَلْقُدْس هُوَ اَلَّذِي ذُكِرَ فِي اِلانْجِيل اِنَّهُ اَلْبَارَقْلِيطُ ؟

قَالَ: نَعَمْ هُوَ ذَلِكَ!

قُلْتُ لَهُ: قَالَ سَـيِّدُنَا عيسَـى: "اِذَا جَـاءَ اَلْبَـارَقْلِيطُ فَهُـوَ يُرْشِـدُكُمْ اِلَـى جَمِيـعِ اِلْحَقِّ، لاَنَّـهُ لَيْـسَ يِنْطِـقُ مِـنْ عِنْـدِهِ، بَـلْ يَتَكَلَّـمُ بِكُلِّمَـا يَسْـمَعُ وَيَخْبِرُكُمْ بِمَا يَاتِي".

قُلْتُ لَهُ: هَكَذَا هُوَ فِي اِلانْجِيلِ؟

قَالَ: نَعَمْ!

قُلْتُ لَهُ: اَلإِلَهُ لاَ يَتَكَلَّمُ بِمَا يَسْمَعُ، بَلْ يَتَكَلَّـمُ مِـنْ نَفْسِـهِ؛ وَالَّـذِي يَتَكَلَّـمُ بِمَا يَسْمَعُ فَهُوَ نَبِيّ يَتَكَلَّمُ بِمَا يَسْمَعُ مِنْ جَانِبِ اِلْحَقِّ تَعَالَى؛ فَهَذَا اَيْضاً ذَهَبَ بَالْبُرْهَان. لَمْ يَبْقَ اِلاَّ اَلْوَاحِدُ اَلَّذِي لاَ يَزُولُ.

فَخَرِسَ اَلرَّاهِبُ، وَقَالَ: اَلاَنْبِيَاءُ اَلْمُتَقَدِّمُون قَالُوا وَاَخْبَرُوا بِهِ – اَعْنِـي بِسَيِّدِنَا عِيسَى.

قُلْتُ: لَمْ تَقُلْ اَلاَنْبِيَاءُ ذَلِكَ!

---

[١] يريد: أعلم.

وَإِذَا قَالُوا: ابن (١٠٢أ) الله؛ فَقَد تَبَيِّنَ ان من كان مومنا، وعمل صالحا كَانَ يسمِّى بإبن الله. وقال ايضا في التورية: ان الصلحاء هم ابناء الله تعالى. والنِّص فيما ذكرنا ان تلامذه سألوا سيدنا عيسى - عليه السلام - قال مَتِيُ في الباب الرابع وعشرين: قال سيدنا عيسى: "فاما ذلك اليوم والساعة لايعرفها احد ولا الملائكة السموات إلا الأب وحده". وهذا اقرار من سيدنا عيسى- عليه السلام - ان الملائكة اعلم منه.

وقال مَرْكُشْ في الباب الثالث عشر، والمقالة اثنان وثلاثون: سال مَرْكُشْ وبِدْرُسْ ويعقوب وجوان واندرس سيدنا عيسى في جبل الزيتون في خفاء من الناس عن الساعة متى تكون؟ قال: "فاما ذلك اليوم وتلك الساعة لايعرفها احد والملائكة التي في السماء ولا الابن إلا الاب وحده". وهذا برهان الذي قلت للراهب أن سيدنا عيسى -عليه السلام- ليس بإله كما شهد على نفسه اِنّ (١٠٢ب) الملائكة اعلم منه حيث قال : "ولا الملائكة"، على وجه المبالغة.

وايضا في الانجيل؛ ما ينسب لما قلت للراهب، ان سيدنا عيسى - عليه السلام - انسان وليس بإله ، قال في الفصل السابع والسِّتين لمَتَيُّ: ان سيدنا عيسى - عليه السلام - كان راجعا الى المدينة فجاع، ونظر شجرة تين على الطريق، فجاء إليها، فلم يجد فيها شيئا، إلا ورقا. فقال لها: لا تخرج منك ثمرة الى الابد، فيَبِسَت تلك الشجرة للوقت؛ فلو كان إلهاً - كما تعتقد الكفار انه انسان وإله - فلو كان إلهاً لعلم من موضعه ان الكرمة ليس فيها تين؛ اليس هذا برهان انه انسان مقهور يجهل الغيب ولا يبصر الا الظاهر فقط ؟

وايضا في الانجيل انه كان يسأل عن قبر لعازر حتى حملوه إليه.

وأما ذكر البارقليط فهو فيما كتب يوحنا في الفصل الثالث والثلاثين، وخمس وثلاثين، قال: "فإذا جاء روح الحق ذاك فهو يعلمكم جميع الحق؛ لانه ليس ينطق من عنده، بل يتكلم بكل مايسمع و(١٠٣أ) يخبركم بما ياتي، وهو يمجدني لانه ياخذ مما هو لي ويخبركم.

وقد سألت الراهب: مامعنى البارقليط؟

قال: هو اسم يوناني، ومعناه: الشفيع بالعربية. فهذا هو رسول الله – صلى الله عليه وسلم – لأنه لم يتكلم من ذاته، بل يتكلم في امور الدين بكل مايسمع من الوحي من عند الله تعالى.

واما معنى ماقال سيدنا عيسى – عليه السلام – للحواريين: "يعلمكم جميع الحق، ويخبركم"؛ فتقول النصارى: انه جاء اليهم؛ وبذلك قال لي قسيس بمدينة بَرِّيشْ حين قلت له: ان البارقليط شخص يتكلم، وانه نبينا – صلى الله عليه وسلم –؛ والصحيح ان سيدنا عيسى – عليه السلام – كان يتكلم مع المومنين، وليس الكلام معهم فقط؛ لأنه قال لهم ما يكون في اخر الزمان، بقوله: اذا رأيتم كذا وكذا، والصحيح انهم لا يعشون لآخر الزمان٠ والبرهان في ذلك، قال مَتِيٌّ في الفصل الثامن وسبعين: فجاء اليه تلاميذه في خلوة (١٠٣ب) قائلين: قل لنا متى يكون هذا؟ وما علامة مجيئه وانقضا الزمان؟ فاجاب وقال لهم: انظروا لا يضلكم احد؛ كثير ياتون بإِسْمي، قائلين: انا هو المسيح، ويضلون كثيرا. فإذا سمعتم

بالحروب واخبار الحروب انظروا! لا تقلقوا فلا بد ان يكون هذا كله". ثم قال : "فإذا رأيتم رذلة الخراب الذي قيل في ذانيال النبي قايما في المكان المقدس"؛ فليفهم القاريء، والكلام كثير في هذاالمعنى، وهو من علامات القيامة. وكان الخطاب لهم. وكذلك الكلام على البارقليط معهم بأن قال: "ياتيكم"؛ والمفهوم: بعدهم - كما ذكر في هذا الباب.

واما قوله: " كثير ياتون باسمي قائلين انا هو المسيح ويضلون كثيرا"، فهذا والله اعلم - هم البَّابّ؛ لانهم يضلون الناس، بان يشركون بالله ويعبدون الخبز والخمر (١٠٤أ) وآلات الصليب والانام. وسيدنا عيسى - عليه السلام -، تقدم لنا؛ حين جاء إليه ابليس وقال له: ان يسجد له؛ قال سيدنا عيسى -عليه السلام - "مكتوب، هو الاله وحده نعبد واليه نسجد". وتقدم إني سألت الراهب: ما معنى البارقليط ؟ قال: هو اسم يوناني؛ ومعناه بالعربية: الشفيع. وهذا شخص مخلوق يشفع في المذنبين والإله كيف يشفع ؟ أو ممن يطلب ويرغب؟ وقال يوحنا في الفصل الثالث والاربعين: قال سيدنا عيسى - عليه السلام - لامراة اسمها مريم مَضَالِّينَ - وليست بأم سيدنا عيسى - عليه السلام -: "امض إلى اخواني وقلي لهم: اني صاعد إلى أبي وابيكم والهي والهكم". انتهى. فهذا كلامه - عليه السلام - فهو بَيِّنٌ (١٠٤ب) كالشمس بغير غمام انه انسان حقيقة، اذ قال: "أبي وأبيكم والهي والهكم"، انتهى.

اعلم إن النصارى أخذوا كفرهم وشركهم مما كتب يوحنا المُنَجيلي؛ مما شهد في ابتداء كلامه وخطبته في الباب الاول؛ قال: "البدء كان الكلمة، والكلمة كانت عند الله، والله هو الكلمة، كان هذا قديما عند الله، كله به كان وبغيره لم يكن شيء مما كان وبه كانت الحياة، والحياة هي نور الناس، والنور أضاء في الظلمة، والظلمة لم تدركه"، إنتهى.

هذا هو الأساس الى شركهم؛ لانهم يجعلون الكلمة إلهاً. وقال العلامة الاسكندر احمد الفيلسوفي الدربزوني[١]– في تأليفه في الردّ على النصارى – : " كلام الله لاينحصر صدقه على عيسى – عليه السلام – فقط؛ بل يصدق على كثير؛ وهو موافق بآية كريمة: ﴿ يُلقِي الروح من أمره على من يشاء من عباده﴾؛ وليس كلام الله عين ذاته الله؛ اذ الكلام غير المتكلم، لأنه شبيه الكلام بالبذر (١٠٥أ) والمتكلم بالحرّاث.

فإذن لو كان عيسى– عليه السلام– إلهاً على تقدير كونه كلام الله؛ لزم أن يكون كلما أصدق عليه انه كلام الله ايضا إلهاً؟ فحينئذ لزم إلهات متعددة فاللازم باطل بالبداهة، والملزوم مثله. وهو موافق بآية كريمة: ﴿ لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا﴾. انتهى.

وقال لي بمراكش شيخنا، الخيِّر الامام الفقيه، سيدي أحمد بن الحاج أحمد التواتي: أن فقيها من المسلمين كان أسيراً عند كافر نصراني يقرأ بالعربية؛ وقال للمسلم: عندكم في القرءان ان عيسى هو روح من الله؛ واتى بآية قال: ﴿ وروح منه﴾، وعزم انه ينتقم من

---

[١] في الأصل: الدرين وني، فلعله يريد الدرينوي او الدريني.

المسلم اذا لـم يـات بحجـة تفُكَـهُ مـن يـده. قـال الفقيـه: ان شـاءَ اللـه بالقـرءان العزيـز ننجـوا منه. فتوضى، وقرأ من أوله الـى أن قـال: ﴿ وسخر لكم ما في السموات والارض جيعا منه﴾ ففـرح بذلـك؛ وقـال لِلكـافر: إسمع قول الله تعالى في القرءان العزيـز، وقـرأ الآيـة؛ وقـال: هـذه الآية مثل الذي قال الله تعالى:﴿وروح منه﴾ ؛ فكمـا خلـق السـموات والارض، خلـق سـيدنا عيسـى. ولمـا رأى النصرانـي الحـق تـرك (١٠٥ب) المسلم مما عزم عليه. ولـو ذكـر لـه قولـه تعـالى: ﴿ فإذا سويته ونفخت فيه من روحي﴾؛ وكذلك: ﴿ وايده بروح منه ﴾؛ فكان ينجوا من الكافر.

واعلـم ان النصـارى فتشـوا برهـان التثليـث فـي الالوهيـة؛ ولا وجـدوه، لأنّ البـاطل كـان زهوقـا. وقـالوا: ليـس لنـا [إلا][1] الإيمـان بذلك، ويحصل به الاجر. وهي قاعدة في دينهم ان يومنـوا بمـا فـي الكنيسة الكبرى التي برومة؛ وهي عامرة بالاصنام والصلبان؛ وهـي الباب الكبير للدخول في النيران، يقودهم إليها وليهم الشيطان؛ لعنهم الله تعالى بقوله في القرءان: ﴿ ألا لعنة الله على الكاذبين﴾.

---

[1] زيادة اقتضاها السياق اللفظي.

الباب الثالث عشر

في ذكر ما أنعم الله تعالى عَلَيَّ من فضله في بلاد الأندلس وغيرها من البلاد

إعلم – رحمك الله تعالى – ان هذا الباب توقفت فيه من وجوه. وكنت نتردد فيه، بما نعرف من نفسي (١٠٦أ) من التقصير وَالْجَهْلِ وَالذُّنُوبِ – نسئَلُ اَللَّهَ اَلْمَغْفِرَةَ وَالسَّعَادَةَ – وَلَكِنَّ بَعْدَ اَنْ رَأَيْتُ مَا انْعَمَ اَللَّهُ تَعَالَى بِهِ عَلَيَّ مِنَ اَلْيَقِينِ فِي اِلاعْتِقَادِ فِي تَوْحِيدِهِ؛ لاَ سِيَّمَا بَعْدَ اَنْ طَالَعْتُ كُتُبَ الاَدْيَان الثَّلاَثَةِ، حَتَّى لَمْ يَبْقَ لِلْنَفْسِ والشَّيْطَانِ بَابَاً مِنْ كَثْرَةِ بِيبَانِهَا مِنَ اَلشُّكُوكِ وَالاوْهَام وَالظُّنُون فِي دِينِ اِلاسْلاَمِ؛ حَتَّى تَمَنَيَتُ لِكَثِيرِ مِنَ اَلْمُسْلِمِينَ اَنْ لَوْ كَانُوا كَذَلِكَ، فَعَزَمْتُ عَلَى كَتْبِهِ وَكُنْتُ نَتَرَدَدُ فِي ذِكْرِ بَعْضِ اِلاُمُورِ، لِمَا ذَكَرَ اَلسَّنُوسِي – نَفَعَ اَللَّهُ بِهِ – فِي شَرْحِ اِلصُغْرَى فِي لِلتَوْحِيدِ – فِي بَابِ ذِكْرِ اِللَّهِ –: "اَنَّ بَعْضَ مَنْ اَنْعَمَ اَللَّهُ عَلَيْهِ مِنَ اَلْمُلاَزِمِينَ لِقَوْلِ لاَ اِلَهَ اِلاَّ اَللَّهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اَللَّهِ – صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – كَانَ يَجِدُ تَحْتَ اَلسِّجَادَةِ دَرَاهِمَ حَتَّى شُهِرَ ذَلِكَ اَنْقَطَعَ عَنْهُ؛ وَكُنْتُ اَخَافُ اِنِّي اِذَا ذَكَرْتُ اَمْرَاً مِمَّا اَنْعَمَ اَللَّهُ تَعَالَى عَلَيَّ بِهِ يِعِينُنِي عَلَى عِبَادَتِهِ يَذْهَبُ عَنِّي؛ حَتَّى رَاَيْتُ لَيْلَةً فِي اَلنَّوْمِ اَنِّي اَتْلُوا اَيَاتِ مِنَ اَلْقُرْءَانِ اَلْعَزِيزِ اِحْدَنهُنَّ؛ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾؛ وَالثَّانِيَةُ: ﴿سَنُرِيهِمْ (١٠٦أ) آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ؛ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾. والثالثة: ﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِب بِّهِ وَلَا تَحْنَثْ﴾.

وَفَهِمْتُ مِنَ اَلايَتيْنِ الاباحَتِ لِكَتْبِ اِلْبَابِ، بَلْ الاَمْرُ بِذَلِكَ، فَالآيَةُ اَلاخِرَةُ مَا فَهِمْتُ مَعْنَاهَا؛ وَتَكَلَّمْتُ مَعَ اَلْعَلاَمَةِ اَلشَّيْخِ عَلِي اِلاَجْهُورِي بِذَلِكَ؛ وَقَالَ لِي: حَتَّى اَلايَتَ اَلاخْرَةَ هِيَ مِثْلُ اَلَّتِي قَبْلَهَا بِالاَمْرِ: اَنْ لاَ تَتَوَقَفُ، وَاُذْكُرْ، وَاَكْتُبُ؛ فَفِي ذَلِكَ خَيْرٌ اِنْ شَاءَ اَللَّهُ٠

وَبَعْدَ اَنْ كَتَبْتُ وَذَكَرْتُ اَلْمَسْئَلَةَ اَلَّتِي تَعِينَنِي عَلَى عِبَادَةِ اِللَّهِ؛ فَبَقِيَ الاَمْرُ اَحْسَنُ مِمَّا كَانَ قَبْلَ ذَلِكَ – لِلَّهِ اِلْمِنَةِ وَالشُّكْرُ عَلَى نِعَمِهِ وَعَلَى فَضْلِهِ وَاِحْسَانِهِ –؛ وَبَعْدَ اَنْ تَكَلَّمْتُ مَعَ اَلشَّيْخ اَوْ بِقُرْبِ ذَلِكَ اَلْيَوْمِ اَوْ فِي اِلَّيْلَةِ بِنَفْسِهَا ذَكَرْتُ الاَمْرَ اَلَّذِي مَا ذَكَرْتُهُ قَطّ اِلاَّ لِوَاحِدٍ مَرَةً؛ بَعْدَ اَنْ ذَكَرَ لِي بَعْضَ الاَسْرَارِ اِلرَّبَّانِيَةِ. فَفِي اِلَّيْلَةِ اَلَّتِي ذَكَرْتُهَا هُنَا بِمِصْرَ رَايْتُ اَلْمَسْئَلَةَ فِي اِلْيَقَظَةِ عَلَى عَادَتِهَا٠ ثُمَّ ذَكَرْتُهَا لاخٍ مِنَ اَلْمُحِبِّينَ فِي اِللَّهِ وَلَمْ تَذْهَبُ (١٠٧أ) عَنِّي٠

وَهَلْ يَخْفَى عَلَى اَحَدٍ اَنَّ قِرَأَتِي فِي اَقَلِّ مِنْ يَوْمٍ وَاحِدٍ كَانَ ذَلِكَ هِيبَةً وَتَوْفِيقاً مِنَ اَللَّهِ سُبْحَانَهُ وَذَلِكَ بِبَرَكَةِ اِلاَنْدَلُسْ، كَمَا ذَكَرْنَا فِي اِلرِحْلَةِ: اِنَّ اَللَّهَ تَعَالَى كَانَ يُسَهِّلُ عَلَى أَهْلَ اَلْعِلْمِ عَلَى قَدْرِ حَالِهِمْ اِذْ لَيْسَ لاحَدٍ تَيْسِيرٌ فِي اِلْحَالِ لِيَقْرَا فِي اِلاَلْوَاحِ [وما] فِي اَلْوَرَق بِجَمْعِ فِكْرٍ؛ فَاِذَا قَرَا يَخْفَى اَلْوَرَق [....][1] مَنْ مِنْهُ٠ وَلَمَّا اَنْ جِئتُ لاَبِي قُلْتُ [....] قَالَ: كَيْفَ ذَلِكَ ؟ قُلْتُ لَهُ: هَذَا [....] فَكُنْتُ اَقْرَا اِلاَسْمَا اَلْمَذْكُورَةَ [....] لَهُ اَلْقَصِيدَةُ، قَالَ لِي: سِرْ عَنِّي [....] وَتَقُولُ اَنِّهَا فِي اَلْوَرَقِ؟ وَكُنْتُ [....] مِراراً، اِنَّ ذَلِكَ حَقٌ؛ وَلَمْ يَذْهَبْ عَنْهُ اَلشَّكُ حَتَّى جَاءَ اِلَى دَارِنَا اِبْنُ عَمِّهِ – رَحِمَهُ اَللَّهُ – وَقَالَ لَهُ: قَدْ فَتَحَ اَللَّهُ عَلَيْهِ٠

---

[1] مطموس في الاصل.

وَقَدْ كَتَبْتُ اَلسَّبْعَ هَيَاكِلُ فِي وَرَقَةٍ وَجَعَلْتُهَا عَلَيَّ حِرْزاً، رَجَاءَ بَرَكَاتِهَا؛ وَنِمْتُ لَيْلَةً؛ وَعِنْدَ اَلصُّبْحِ فَتَشْتُ اَلْوَرَقَةَ فَلَمْ نَجِدْهَا، وَظَنَنْتُ اَنَّهَا وَقَعَتْ مِنِّي فَتَغَيَّرْتُ (١٠٧ب) عَلَيْهَا مِنْ وُجُوهٍ لِئَلاَّ يَجِدَهَا نَصْرَانِي وَيَنْضَرُّ اَلْمُسْلِمُونَ؛ وَاَيْضاً اِذَا اَصَابَهَا مُسْلِمٌ فَرُبَّمَا يَعْرِفُ خَطِّي، وَيَكْثُرْ اَلْكَلاَمُ عَلَيَّ عِنْدَ اَلاَنْدَلُسْ. وَلَمَّا اَنْ صَلَّيْتُ اَلصُّبْحَ اَخَذْتُ فِي اَلدُّعَاءِ اِلَى اَللّهِ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - مُتَضَرِّعاً بِنَبِيِّهِ اِنْ يَرُدَّ عَلَيَّ اَلْحِرْزَ؛ وَكُنْتُ اَقْرَا دُعَاءً كَانَ [الوالدان رحمهما] اَللّهُ يَحْفِظَانِهِ، فَلَمْ نُتِمَّهُ بِالْقِرَأَةِ، وَالْوَرَقَةُ [....] كَانَتْ نَزَلَتْ فِي كَفِي فَفَرَحْتُ [فرحا عظيما] وَشَكَرْتُ اَللّهَ تَعَالَى عَلَى ذَلَكَ، وَاَزْدَادَ [....] اَنَّ اُخْتِي رَحِمَهَا اَللّهُ - [....] فَرَفَعَتْ حَوَايِجَ اَلْفِرَاشِ وَوَجَدَتْ اَلْوَرَقَةَ، فَرَمَتْ بِهَا عَلَى بُعْدٍ؛ فَجَاءَتْ فِي اِلْهَوَاءِ وَنَزَلَتْ فِي كَفِّي وَهِيَ مَبْسُوطَةٌ، وَمَرْفُوعَةٌ اِلَى اَللّهِ تَعَالَى.

وَقَالَ رَسُولُ اَللّهِ - صَلَّى اَللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: "اِنَّ اَللّهَ يُنْزِلُ اَلْبَلاَءَ وَيَسْتَخْرِجُ بِهِ اِلدُّعَاءَ".

وَهَذَا هُوَ اَلدُّعَاءُ اَلْمُبَارَكُ اَلَّذِي كُنْتُ اَقْرَأُهُ:

بِسْمِ اِللّهِ اِلرَّحْمَنِ اِلرَّحِيمِ

اَللَّهُمَّ اِنِي اَسْأَلُكَ يَا اَوَلُ يَا قَدِيمُ، يَا فَرْدُ، يَا وِتْرُ، يَا اَحَدُ (١٠٨أ) يَا صَمَدُ، يَا اَللّهُ، يَارَحْمَنُ، يَا رَحِيمُ، يَا حَيُّ، يَا قَيُّومُ، يَا عَزِيزُ، يَا ذَا اَلْجَلاَلِ وَالاِكْرَامِ، يَا نُورَ اَلسَّموَاتِ وَاَلاَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا، وَرَبُّ اَلْعَرْشِ اِلْعَظِيمِ، يَا مَنْ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا اَحَدْ، يَا كَافِي، يَا هَادِي، يَا بَارِي، يَا عَالِمُ، يَا صَادَقُ [....] يَاحَمِعِسِق، يَا رَبَّ اَلاَرْبَابِ [يا مجري السحاب] يَا مَالِكَ اَلْمُلُوكِ يَا وَلِيَّ اِلْعَالَمِينَ

[....] اَللّٰهُمَّ يَا اَللّٰهُ، اَنْتَ [....] اِلاَرْضْ وَلاَ إِلَهَ فِيهِمَا غَيْرُكَ [....] فِي اَلْسَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي اِلاَرْضِ [....] وَمَا بِيْنَهُمَا غَيْرُكَ؛ قُدْرَتُكَ فِي اِلاَرْضِ كَقُدْرَتِكَ فِي اَلسَّمَاءِ. سُلْطَانُكَ فِي اِلاَرْضِ كَسُلْطَانِكَ فِي اِلسَّمَاءِ. اَسْأَلُكَ اَللَّهُمَّ بِأَسْمِكَ اَلْكَبِيرِ، وَوَجْهِكَ اَلْمُنِيرِ، اَنْ تَجْعَلْ لِي مِنْ اَمْرِي فَرَجاً وَمَخْرَجاً اِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ"؛ اَنْتَهَى.

وَمِمَّا مَنَّى[١] اَللَّهُ عَلَيَّ بِهِ اَنْ شَفَا لِي مَرْضَى بِالنَّشَرْ فَقَطْ وَالرُّقَا بِآيَاتٍ مِنْ اَلْقُرْءَانِ اَلْعَزِيزِ. وَلْنَذْكُرُ (١٠٨ب) هُنَا بَعْضُ مَا تَذَكَّرْتُ اِلَيْهَا. وَمِنْ ذَلِكَ اِنَّ مَمْلُوكَةَ سُودَانِيَةَ اَسْمُهَا مُبَارَكَةَ كَانَتْ بِدَارِنَا بِمَرَّاكُشْ وَخَرَجَ فِي جَسَدِهَا اَلبَرَصْ اَلْكَثِيرِ، وَهُوَ فِي زِيَادَةٍ [....] كَمَا هِيَ اَلعَادَةَ فِي تِلْكَ اَلْعِلَّةَ وَذَكَرْتُهَا [لطبيب فقال: ان] دَاءَوهَا صَعْبٌ وَتَحْتَاجُ اَدْوِيَةٍ كَثِيرَةٍ [....] اَلْصَيْفُ يُلِيقُ اَلْعِلاَجُ. فَتَوَقَّفْتُ [....] فِي كِتَابِ اَلدُّرُّ اِلنَّظِيمِ فِي [....] اِلْوَادِيَاشِي، قَالَ [....] اِنْ لَمْ يَدْهَنُ بِمَاءِ وَرْدٍ وَزَعْفَرَانِ [....] اِلْبَرَصْ اِنَّهُ يَزُولُ عَنْهُ اَوْ يُوقَفْ [....] هَذَا دِوَاءٌ اَسْهَلُ وَاَقْرَبُ مِمَّا ذَكَرَا [....] فَكَتَبْتُ اَلسُّورَةَ كُلَّهَا فِي اِنَاءِ لَمْ يَدْخُلَهَا طَعَامٌ. وَمَحَوْتُ اَلْحُرُوفَ بِمَاءِ نَقِي وَاَعْطَيْتُ اَلْمَاءَ لِلْمَبْرُوصَةِ وَشَرِبَتْهُ؛ وَلاَكِنْ اَخَذْتُ مِنَ اَلْمَاءِ شَيْئاً وَنَشَرْتُ اَوْ وَضَعْتُ مِنْهُ عَلَى مَوَاضِعِ اِلْبَرَصِ؛ وَمِنْ ذَلِكَ اَلْيَوْمِ بَدَأَتْ كُلُّ لَمْعَةٍ تَصْغُرُ عَلَى قَدْرِهَا. وَبَعْدَ سِتَتِ اَشْهُرِ اَوْ اَكْثَرِ (١٠٩أ) صَارَتْ مَوَاضِعَ اَلْبَرَصْ حُمْرًا بَعْدَ اَنْ كَانَتْ بِيضاً؛ ثُمَّ اَسْوَدَّتْ مِثْلَ سَائِرِ اِلْجَسَدِ؛ وَشَفَاهَا اَللَّهُ.

---

[١] يريد: مَنَّ.

وبَعْدَ عامَيْنِ اوْ اكْثَرِ خرَجَ فيهَا اِلْبَرَصُ مرّةً ثانيَةً حتّى انّ بعْضَ اَللُمَعِ كَانَتْ قَدْرَ اَلدينَار؛ فكَتَبْتُ لَهَا مَرّةً ثانيَةً اَلسُورَةَ اَلْمُبَارَكَة وَشَرِبَتْ مَاءَهَا، وبدَاهَا اَلشّفَا منْ ذَلِكَ اِلَى ثمَانيَةِ أَشْهُرٍ؛ ولَمْ يَعُدْ اِلَيْهَا اِلَى انْ جَازَتْ نَحْوَ اَلْعَشْرِ سِنِينَ وَمَاتَتْ. وَهَذَا مِنْ اَلْعَجَبِ اِذْ لَيْسَ فِي هَذَا اَلْعِلاَجِ شَيْءٌ مِنَ اَلْعَقَاقِيرِ وَلاَ مِنَ اَلادْوِيَةِ اَلّتِي تُعَالَج بِهَا اَلامْرَاض؛ اِنّمَا ذَلِكَ شَيْءٌ مِنْ زَعْفرَان مَحْلُولاً فِي قَلِيلِ مَاءِ وَرْدٍ لِتَظْهَرْ اَلْحُرُوفِ فَقَطْ.

وَقَدْ جَاءَنِي بِبِلاَدِ اِلانْدَلُسْ رجُلٌ مَرِيضٌ بالاسْتِسْقَا، وَهُوَ مَنْفُوخٌ مَتْرُوكٌ مِنَ اَلاطِبَا، وكَتَبْتُ لَهُ نَشْرَةً بآيَاتِ اِلْقُرءَان، ومَحوتُهَا وَاَعْطَيْتَهُ اَلْمَاء وَشَرِبَهُ فِي نَحْوَ اَلسّبْعَةِ ايَامٍ وبَرأ. وجَاءَنِي وقَالَ: مَا كُنْتُ نَظُنُّ اَنّنِي نَبْرَا مِمّا اصَابَنِي؛ وَاَلانَ شَفَانِي اَللّهُ تَعَالَى بِالْمَاءِ اَلّذِي اَعْطَيْتَنِي، ولَيْسَ لِي بِمَا نَكْفِيكَ اِلاّ انْ تُحِبُّ اَنْ اخْدَمَكَ فَأَكُونُ كَأَنِي مَمْلُوكٌ لَكَ. ونُحِبُّ مِنْكَ اَنْ تَخْبِرْنِي (١٠٩ب) بِمَا دَاوَيْتَنِي؟ قُلْتُ: لاَ اَطْلُبُ مِنْكَ شَيْئاً، وَلاَ أَقُولُ لَكَ بِمَا دَاوِيْتُكَ؛ وَذَهَبَ سَالِمَاً فَارِحاً.

وَجَاءَنِي رَجُلٌ، وَاشْتَكَى انّهُ مَهْمَى يَمُدُّ يَدَهُ لِلْوُضُوءِ وَابْتَدَا بِهِ تَبْطُلُ يَدَهُ اَلْيُمْنَى؛ وَكُنْتُ فِي مَوْضِعٍ مَا أَمْكَنَنِي انْ اَكْتُبْ لَهُ شَيْئاً؛ وَقَبَضْتُ يَدَهُ مِنْ مَرْفَقِهِ وَقَرَأتُ مَا شَاءَ اَللّهُ مِنْ آيَاتِ اَلْقُرْءَان اِلْعَزِيز؛ وَبَدَا يَبْرَأ مِنْ حِينِهِ اِلَى يَوْمٍ اخَرٍ؛ قَرَأْتُ اَيْضاً وَلاَ كَانَ يَحْتَاجُ ذَلِكَ، وَشَفَاهُ اَللّهُ.

وَمِمَّا اتَّفَقَ لِي بِبِلاَدِ الْفَرَنْجِ بَعْدَ انْ جَازَتْ عَلَيْنَا السَّنَتَيْنِ وَنَحْنُ فِيهَا؛ اِنِّي كُنْتُ اَسْمَعُ حِسّاً فِي الْبَيْتِ الَّذِي أَكُونُ فِيهِ وَحْدِي فِي الْيَقَظَةِ، يَضْرِبُ فِي الْحَايِطِ شَيْئاً اَوْ قَرِيباً مِنِّي فِي لَوْحٍ اَوْ غَيْرِ ذَلِكَ، وَبَيْنَ الضَّرْبَةِ وَالاُخْرَى قَدْرِ مَا يَعُدُّ الاِنْسَانُ ثَلاَثَةً مِنْ وَاحِدٍ اِلَى اَرْبَعَتٍ؛ وَدَخَلَ فِي قَلْبِي الْخَوْفُ وَالرُّعْبُ مِنْ ذَلِكَ حَتَّى خِفْتُ مِنَ الْجِنِّ اَنْ يَصْرِعَنِي؛ وَاشْتَغَلْتُ نَذْكُرُ اللَّهَ تَعَالَى بِلاَ فَتْرَةٍ؛ لَعَلِّي نَتَقَوَّى بِذَلِكَ وَنَنْجُوا مِنْ الْجِنِّ؛ وَكَانَ ذَلِكَ كُلَّ يَوْمٍ وَيَضْرِبُ فِي الْبَيْتِ وَفِي غَيْرِهِ، وَاِذَا اَكُونُ وَحْدِي وَنَغْضَبُ عَلَيْهِ، وَنَضْرِبُ (١١٠أ) اِلَى جِهَتِهِ، يَزِيدُ هُوَ فِي الضَّرْبِ. وَرَأَيْتُ اَنْ الصَّبْرَ اَوْلاَ بِي؛ وَلاَ كُنْتُ اَدْرِي مَاذَا كَانَ مُرَادَهُ، ثُمَّ فَهِمْتُ اَنَّهُ كَانَ يُرِيدُ اَنْ اَخْرُجَ مِنْ بِلاَدِ الْكُفَّارِ.

وَبَعْدَ اَنْ وَلَّيْتُ اِلَى بِلاَدِ الْمُسْلِمِينَ كَانَ اَيْضاً يَعْمَلُ لِي حِسّاً يُلْهِمَنِي اِلَى الصَّلاَةِ اِذَا نَتَعَطَّلُ عَنْهَا، وَاَيْضاً بَعْضَ الَّيَالِ عِنْدَ السَّحَرِ يَضْرِبُ فِي الْبَيْتِ اِلَى أَنْ اَقُومَ، اَوْ نَقْرَا فِي الْفِرَاشِ وَكُنْتُ مُتَحَيِّرَاً فِي اَمْرِهِ، قُلْتُ: هَذَا جِنٌّ مُومِنٌ، وَلاَ اَسْتَعْمَلْتُ قَطٌّ عَزَايِمَ لِنَتخِذَ خَدِيماً مِنَ الْجِنِّ؛ ثُمَّ بَانَ مِنْهُ اِذَا اَكُونُ وَحْدِي نَقْرَا الْقُرْءَان الْعَزِيزَ وَتَاتِينِي سِنَةٌ مِنَ النَّوْمِ حَتَّى يَلْتَوِي لِسَانِي بِالْقِرَاءَةِ فَيَضْرِبُ لِي فِي الْبَيْتِ لِنَفِيقَ وَنَقْرَا. ثُمَّ اِذَا جَانِي النَّوْمُ يَضْرِبَ اَيْضاً حَتَّى نَخْتِمُ الْقِرَاةِ.

وَبَعْضَ الَّيَالِي بِالسَّحَرِ لاَ يَهْدَي عَنِ الضَّرْبِ اِلَى اَنْ اَقُومَ؛ وَتَارَةً اِذَا كَانَ اَحَدٌ مَعِي فِي الْفِرَاشِ يَطْلِقُ عَلَيٍّ شَيْئاً قَلِيلاً مِنْ التُّرَابِ اَوْ حِجَارَةً صِغَاراً قَدْرَ الْحِمْصِ؛ وَيَضْرِبُ بِهِ قَرِيباً مِنْ وَجْهِي؛ وَنَأْخُذُ

اَلْحَجَرَةِ بَعْضَ اِلْمَرَّاتِ بِيدِي؛ وَنَعرِفُ اَنَّهُ لَيْسَ مُرَادُهُ اِلاَّ اَنْ اَقُومَ نَقْرًا فَقَطْ. وَاِذَا كَانَ فِي اِلْبَيْتِ (١١٠ب) اَلَّذِي نَبِيتُ فِيهِ نَجَاسَةٌ خَاثِرَةٌ؛ فَيَضْرِبُ وَيَعُودُ لِلْضَرْبِ حَتَّى نَخْرِجُهَا، وَتَارَةً نَسْتَعْمِلُ مِنْ نَفْسِي اِنَّ اَلْنُعَاسَ جَاءَنِي وَنَظْهِرُ ذَلَكَ بَاَلْقِرَاةِ وَهُوَ لَيْسَ بِاَلْقُرْبِ مِنِّي لَعِلِّهُ يَضْرِبُ فَلاَ يَضْرِبُ اَبَدًا اِلاَّ عِنْدَ اِبْتِدَاءِ اَلْنَوْمِ حَقِيقَةً.

ثُمَّ تَحَقَّقْتُ مِنْهُ اَنَّهَ يِحْفَظُ اِلْقُرْءَانِ، فَكَمْ مَرَّةٍ اَكُونُ أَقْرَا وَيَضْرِبُ؛ وَنَنْظُرُ مَاذَا اَقْرَا؟ وَنَرَى اَنَّهُ وَقَعَ مِنِّي غَلَطٌ فِي اِلْقِرَاَةِ.

وَكُنْتُ يَوْمًا بِمَدِينَةِ مَرَّاكُشْ جَالِسًا اُتَرْجِمُ رِسَالَةً بِاللَّطِينِ تَتَكَلَّمُ عَلَى اَلْكُورَةِ اِلاَرْضِيَةِ وَالْفَلَكِيَةِ، وَالْكُرَتَانِ كَبِيرَتَانِ، كُلٌّ وَاحِدَةٍ فِي كُرْسِي مَرْسُومٌ فِي اَلسَّمَاوِيَةِ اِلْنُجُومُ الثَّوَابِتْ وَالْبُرُوج فِي اَلْفَلَكِ وَالصُّوَرِ اِلْمَعْرُوفَةِ عِنْدَ اِلْمُنَجِّمِينَ بِأَسْمَائِهَا، وَكَذَلِكَ فِي اِلاَرْضِيَةِ، كُلُّ مَدِينَةٍ مَعْرُوفَةٍ فِي الدُنْيَا وَالاَقْطَارِ وَاَلْبُلْدَانِ وَالاَقَالِيمِ، وَكُلُّ بَلَدٍ بِإِسْمِهِ مَكْتُوبٌ عَلَيْهِ، وَاَلاَبْحُرِ وَالاَنْهَارِ، كَانَ قَدْ اَمَرَنِي اِلسُّلْطَانِ مَوْلاَيْ زَيْدَان - رَحِمَهُ اَللَّهُ - بِتَرْجَمَةِ ذَلِكَ اَلرِّسَالَةِ، قُلْتُ لَهُ: هِيَ بِلُغَتِ اَللِّطِينِ، وَلاَ نَعْرِفُهَا، قَالَ: مَنْ يَعْرِفُ اَللِّطِينِ؟ قُلْتُ: اَسِيرٌ رَاهِبٌ مِنْ اَسَارَى اَلْمَقَامِ (١١١أ) اِلْعَلِي؛ قَالَ: يَقْعُدُ مَعَكَ.

وَكُنَّا فِي دَارِ اَلْسُلْطَانِ نُتَرْجِمُ ذَلِكَ وَاَلرَّاهِبُ مَعِي وَجَاءَ وَقْتُ اَلظُهْرِ؛ وَتَعَطَّلْتُ لِنُتِمَّ بِالْكِتَابَةِ مَا بَقِيَ مِنْ وَجْهِ وَرَقَةٍ. وَسَمِعْتُ الضَرْبَ فِي وَرَا لُوحِ مِنْ خَشَبٍ؛ قَالَ اَلرَّاهِبُ: مَا هَذَا اَلضَرْبُ؟ قُلْتُ: لاَ اَدْرِي. وَقَامَ مِنْ مَوْضِعِهِ وَمَشَى اِلَى ظَهْرِ اِللَّوْحِ اِلَّذِي كَانَ الضَّرْبُ فِيهِ؛ وَلاَ رَأَى شَيْئًا وَبَقِيَ مُتَعَجِّبًا. وَعَلِمْتُ اَنَّ الضَّرْبَ كَانَ يَقُولُ لِي اَنْ اَتْرُكَ كُلَّ شَيْءٍ وَاُصَلِّي اَلظُهْرَ.

وكَانَ اِبْتِدَاءُ هَذَا الامْرِ قَبْلَ هَذَا اَلْتَارِيخِ بِنَحْوِ اَلْخَمْسَ وَعِشْرِينَ سَنَةً؛ ونَعْرِفُ اَنَّهُ مَعِي ايْنَ ما أَكُونُ وَلاَ نَرَاهُ وَلاَ يُجَاوِبْنِي بِأَمْرَةٍ؛ وَقَدْ طَلَبْتُهَا مِنْهُ وَلاَ ظَهَرَ لِي مِنْهُ اِنْتِقَال اِلاَّ يَرْعَى مَا نَقُول اَوْ مَا نَعْمَلُ، حَتَّى اِظُنُّ انَّهُ اَلْمَلَكُ اَلَّذِي عَلَى اَلْيُمْنَى؛ وَاَنْ كَانَ هَذَا اَلظَنُّ غَرِيبٌ وَبَعِيدٌ، وَاَنَا مُتَعَجِبٌ مِنْهُ بَعْدَ اَنْ عَرَفْتُ، وَتَحَقَّقْتُ مِنْهُ اَنَّهُ يَحْفَظُ اَلْقُرْءَانَ؛ وَتَارَةً اَقْرأُ سُورَتَينِ اَوْ مَا شَاءَ اَللَّهُ؛ وَنَتْرُكُ اَلْقِرَاةَ وَيَضْرِبُ لِي انْ اَزِيدَ. وَأَظُن اَنَّ بَعْضَ اَللَّيَالِي حِينَ يَضْرِبُ لِي اَنْ اَقُومَ اَنَّ تِلْكَ سَاعَةُ اَلاِجَابَةِ (١١١ب) لِلْدُّعَاءِ.

وَكُنْتُ لَيْلَةً أُرِيدُ اَنْ اَخْتِمَ اَلْقِرَاةَ اِلَى سُورَةِ "النَاس"؛ وَكُنْتُ اَقْرَا حِزْبَ صَبْحِ[1] وَتَسَلَّطَ عَلَيَّ النَّوْمُ – وَكَانَ ذَلِكَ فِي الزَّمَنِ اَلَّذِي كُنْتُ مَشْغُولاً بِتَأْلِيفِ هَذَا اَلْكِتَابِ – وَاِذَا قَرَأْتُ سُورَةً اَوْ سُورَتَينِ اَوْ اَكْثَر يَبْدَوْنِي اِلنُّعَاس قَلِيلاً مِنْ غَيْرِ تَرْكِ اِلْقِرَاةِ فَيَضْرِبُ حَتَّى نَتَقَوَّى؛ وَلاَ خَتَمْتُ اَلْحِزْبَ حَتَّى ضَرَبَ نَحْوَ اَلسِّتَ مَرَّاتٍ. وَلَمَّا خَتَمْتُ وَقَفَ عَنِ الضَّرْبِ؛ وَالشُّكْرُ لِلَّهِ اَلَّذِي رَزَقَنِي مَنْ يَعِينَنِي عَلَى عِبَادَتِهِ. وَكُنْتُ أَوَّلَ اَلْحَالِ نَكْرَهُهُ اَشَدَّ اَلْكَرَاهَةِ؛ وَقَالَ اَللَّهُ اَلْعَظِيم: ﴿ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾.

وَاَزِيدُ فِي هَذِهِ النُّسْخَةِ مَا لا هُوَ فِي النسخ التِي كَتَبْتُ قَبْلَهَا. وَذَلِكَ اَنَّ فِي عَامِ خَمْسِينَ والف كُنْتُ بِمَدِينَةِ تُونُسْ اَلْمَحْرُوسَةُ بِاللَّهِ سَاكِنًا فِي بَيْتٍ وَحْدِي؛ وَاِذَا خَرَجْتُ نَسُدُّ بِالْمُفْتَاحِ، وَوَجَدْتُ يَوْمَا شُمَيْسِيةً مِنْ ذَهب – اعْنِي: مِمَّا يَنْتَضِم فِي شِرْكَةٍ اَوْ قِلاَدَةٍ، مِمَّا تَجْعَلُ اَلنِّسَاء فِي اَلْعُنُق، وعلمتُ اَنَّ شَيْئاً رَبَّانِياً أَتَانِي بِهَا؛ فَمَشَيْتُ

[1] يريد: حزب سَبِّح.

اِلَى صَايغٍ وقَالَ: هِيَ (١١٢أ) مِنْ ذَهَب، فَرفعتُهَا وانا أقُول: لاَ اَدْرِي مَا اَلْمُرَادُ بِهَذَا؟ ثُمَّ بَعْدَ اَشْهُرٍ جَاءَ ابْنِي بِزَوْجَتِهِ مِنْ تَسَتُرْتَ - بِلاَدُ - وَنَزَلَ عِنْدِي. ثُمَ اَنَّ زَوْجَتْ اَبْنِي اَرَادَتْ تَمَشِي لِمَوْضَعِ آخَر وَاوْدَعَتْ عِنْدِي شِرْكَةٍ اَزَالَتْهَا مِنْ عُنُقِهَا بِتِسْعٍ شُمَيْسِيَاتْ مِثْلَ اَلَّتِي كَانَتْ عِنْدِي مِنْ ذَهَب. وَلَمَّا اَنْ جَاءَتْ اَعْطَيْتُهَا الشِرْكَة، وقُلْتُ لَهَا: كَمْ فِيهَا مِنْ شُمَيْسِيَاتْ؟ قَالَتْ: تِسْعَةً؛ وكَانَتْ عَشْرَةً، وقَبْلَ هَذِهِ الاَيَّام بِأَشْهُرٍ تَلِفَتِ لِي وَاحِدَةٌ فِي تَسَتُرْتْ، فَأَخْرَجْتُ اَلَّتِي كَانَتْ عِنْدِي وَاَعْطَيْتُهَا لَهَا، وَقُلْتُ: اَلْمُعَلِّمُونَ يَعْمَلُونَ مِثْلَ اَلَّتِي عِنْدَك. وَظَنَنْتُ اَنَّنَا اَمَرْتُ بِعَمَلِهَا. فَتَعَجَبْتُ مِنْ هَذَا الاَمْر، كَيْفَ عَلِمَ حِينَ اَتَانِي بِالشُمَيْسِيتِ اَنَّ زَوْجَة اَبْنِي سَتَاتِي وَتَطْرَحُ عِنْدِي اَلْقِلاَدَةَ اَلَّتِي خَصَّتْ مِنْهَا اَلَّتِي تَلِفَتْ؟ وَاَلْمَعْلُومُ اَنَّهُ لاَ يَعْلَمُ اَلْشَيْءَ قَبْلَ وُقُوعِهِ اِلاَّ اَللَّهُ تَبَارَكَ وتَعَالَى، اَوْ مَنْ يُوحَي اِلَيْهِ ذَلِكَ.

وَمِمَّا اَنْعَم اَللَّهُ تعالى عَلَيَّ بِهِ فِي اَلْعَام اَلْمَاضِي؛ وَكَانَ عَامْ سَتٌّ وَارْبَعون وألف، فِي نَحْوَ اَلْعِشْرِينَ مِنْ شَوَّال، يَوْمُ اَلسَبْتِ، وَاَنَا فِي مِصْرَ؛ (١١٢ب) وَكَانَ لِي كِتَابٌ كَتَبْتُهُ بِيَدِي يَتَعَلَّقُ بِجُمْلَةِ اَلاَسْمَاء اَلْحُسْنَى لِسَيِّدِي اَحْمَد زَرُّوق بَنْ عُتْبَة اِلْحَضْرَمِي - نَفَعَ اَللَّهُ بِهِ - وغَيْرِ ذَلِكَ فَجَعَلْتُهُ عَلَى نَفْسِي بَيْنَ قَفْطَنَين اِلَى جَانِبِ اَلْقَلْبِ وَمَشَيْتُ اِلَى دُكَّانِ مُحَمَّدِ اِبْنُ اَبِي اَلْعَاصِي اَلاَنْدَلُسِي؛ كُنْتُ فِيهِ اَمِينَاً عَلَى قَبْضِ مَا يَبِيعُ اَلتَّاجِرُ اَلَّذِي كَانَ فِيهِ لِلْبَيْعِ؛ وَفِي اَلْطَّرِيقِ حِينَ كُنْتُ مَاشِيَاً اَشْتَرَيْتُ رَغِيفَاً وَجَعَلْتَهُ بَيْنَ اَلْكِتَابِ وَالْجَسَدِ؛ وَلَمَّا وَصَلْتُ اِلَى الدُكَّان اَرَدْتُ نَقْبِضُ اَلْكِتَابَ وَالْرَغِيفَ وَلاَ وَجَدْتُ كِتَابَاً وَلاَ رَغِيفَاً. وَجَلَسْتُ فِي حُزْنٍ وَتَغْيِير مَا لاَ رَأَيْتُ ذَلِكَ مِنْذُ زَمَنٍ. وَتَذَكَّرْتُ اِلَى

كُتُبِ سُرِقَتْ لِي بِمَرَّاكُشْ مِمَّا كَتَبْتُ بِيَدِي فِي اَلتَّوْحِيدِ وَغَيْرِ ذَلِكَ، بِقُرْبِ اَلْعَهْدِ اَلَّذِي جِئْتُ اَوَّلَ مَرَّةٍ مِنْ بِلاَدِ اَلْكُفَّارِ؛ وَاَيْضاً لِلْكُتُبِ اَلَّتِي كَتَبْتُ بِيَدِي وَمَشَتْ لِي مَعَ اَلْجَمَلِ سَنَةً قَبْلَ ذَلِكَ فِي طَرِيقِ اَلْحَجِّ. وَتَذَكَّرْتُ لَمَّا قَرَأْتُ فِي كِتَابِ اَلْيَافِعِي؛ وَهُوَ اَلشَّيْخُ الاِمَامُ اَلْعَارِفُ بِاللَّهِ عَبْدُ اَللَّهِ اَلْيَافِعِي- نَفَعَ اَللَّهُ بِهِ - قَالَ: سَمِعْتُ مِنْ بَعْضِ اَلْعَارِفِينَ وَهُوَ يَقُولُ: (١١٣أ) "ان لِكُلِّ وَضَعْ فِيهِ حَيٌّ وَهَّابٌ، وَلِيٌّ، جَوَادٌ، اَبْدِلْ وَاحِداً بِجَوَادٍ؛ لاَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ يَنْقُطُ اَرْبَعَةَ عَشَرَ"، اَنْتَهَى مَا كَتَبْنَا مِنْ كِتَابِ اَلْيَافِعِي.

وَلَمَّا اَنْ قَرَاْتُ مَا ذَكَرَ عَجَبَنِي كَثِيرٌ، وَاَخْتَرْتُ ذَلِكَ اَلْعَمَلَ، وَنَظَرْتُ فِي اَسْمَاءِ اَللَّهِ تَعَالَى مَا تَنْقُطُ ثَلاَثاً وَخَمْسِينَ، وَهُوَ عَدَدُ اِسْمِ اَحْمَدُ، وَوَجَدْتُ ذَلِكَ فِي ثَلاَثَةِ اَسْمَا وَهِي وَاحِدُ، هَادِي، وَهَّابُ. وَيَكُونُ بَدَلاً عَنْ "وَهَّابُ"، "جَوَّادُ"، وَبَدَلاً عَنْهُ اَيْضاً "وَاحِدُ"، وَلَكِنْ وَرَدَ فِي "وَهَّابُ": اِنَّهُ اَلاِسْمُ اَلاَعْظَمُ لِقَوْلِ سَيِّدِنَا سُلَيْمَان - عَلَيْهِ السَّلاَمُ -: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي﴾.

وَاَمَّا اَلسَّاعَةُ اَلَّتِي اَصَابَنِي فِيهَا اَلتَّغْيِيرُعَلَى اَلْكِتَابِ اَلَّذِي ذَكَرْتُ اَنَّهُ وَقَعَ مِنِّي فِي اَلطَّرِيقِ؛ فَاَلْهَمَنِي اَللَّهُ تَعَالَى اَنْ نَقْرَا تِلْكَ اَلاَسْمَاءِ، وَكُنْتُ عَزَمْتُ عَلَى اَنْ نَجْعَلَهُمْ فِي وَفْقٍ حَسْبَمَا ذَكَرَ مِنْ اَلْعَمَلِ لاِسْمِ مُحَمَّدٍ، فَلَمْ يَتَيَسَّرْ فِي تِلْكَ اَلسَّاعَةِ؛ وَنَوَيْتُ فِي نَفْسِي اَنْ نَقْرَا اَلاَسْمَا وَنَطْلُبُ مِنَ اَللَّهِ تَعَالَى اَنْ يَعْطِينَنِي عَوْضَ (١١٣ب) اَلْكِتَابِ اَلَّذِي ذَهَبَ لِي وَاَلْهَمِّ اَلَّذِي اَصَابَنِي بِسَبَبِهِ مَا يَشَاءُ مِنَ اَلْخَيْرِ، وَلاَ عَايَنْتُ شَيْئاً. فَقَرَاتُ "اَلْفَاتِحَتَ" ثَلاَثاً وَخَمْسِينَ مَرَّةً وَ"اَلْبَسْمَلَةَ" مَعَ كُلِّ وَاحِدَةٍ "وَاَلَمْ نَشْرَحْ" ثَلاَثاً وَخَمْسِينَ وَاَلاَسْمَا ثَلاَثاً وَخَمْسِينَ مَرَّةً. وَجَلَسْتُ

اَلْيَوْمُ فِي اِلدُّكَانِ اِلَى بَعْدَ الْعَصْرِ؛ وَجِئْتُ اِلَى اَلدّارِ، وَوَجَدْتُ اَلْكِتَابَ فِي اِلْمَوْضِعِ اَلَّذِي كُنْتُ اَجْلِسُ فِيهِ، فَفَرِحْتُ بِذَلِكَ فَرْحَاً عَظِيمَاً مِنْ وُجُوهٍ.

وَلاَ يَتَوَهَّمُ قَارِي هَذَا اَلْكِتَابِ اِنِّي تَرَكْتُهُ فِي اِلدّارِ لاَنِّي عَلَى يَقِينٍ بِأَنِّي مَشَيْتُ بِهِ وَجَعَلْتُ اَلْقُرْصَةَ تَحْتَهُ. وَحَصَلَتْ اِلاجَابَةُ؛ وَلاَ اَدْخَلْتُ الاَسْمَا فِي جَدْوَلٍ؛ لاَنَّ اَلْقَلْبَ اَلْحَزِنَ اِلْمُضْطَرَّ لاَ يَفْتَقِرُ اِلَى جَدْوَلٍ. وَلَمْ نَتْرُكْ شَيْئَاً مِمَّا ذَكَرَ اِلْيَافِعِي فِي اِلْعَمَلِ بِنِيَّةِ اِلنَّفْعِ لِلاِخْوَانِ.

وَمِمَّا اَنْعَمَ اَللَّهُ تَعَالَى عَلَيَّ بِهِ اَنْ سَخَّرَ لِي مُلُوكَ اَلمِلَّتَيْنِ، وَعُلَمَاءَهُمْ وَصُلَحَاءَ دِينِنَا.

وَمِنْ نِعَمِ اِللَّهِ تَعَالَى عَلَيَّ بِاَسْمَائِهِ الْحُسْنَى اَنَّ اَمْرَأَةً كَانَتْ بِهَا ثَلاَثُ عِلَلٍ: كَانَ ظَهْرَ يَدِهَا وَاَصَابِعُهَا بِثَالُول كَثِيرَةٍ، فَكَتَبْتُ جَدْوَلاً مُثَمَّنَا حَرْفِيَاً اَدْخَلْتُ (١١٤أ) فِيهِ اِسْمَيْنِ مِنْ اَسْمَاءِ اِللَّهِ اِلْحُسْنَى؛ بَارِيءٌ، مُصَوِّرٌ، وَمَزَجْتُهُ بِكَلاَمِ بَيْتٍ مِنْ اَلضَمْيَاطِي[1] وَهُوَ:

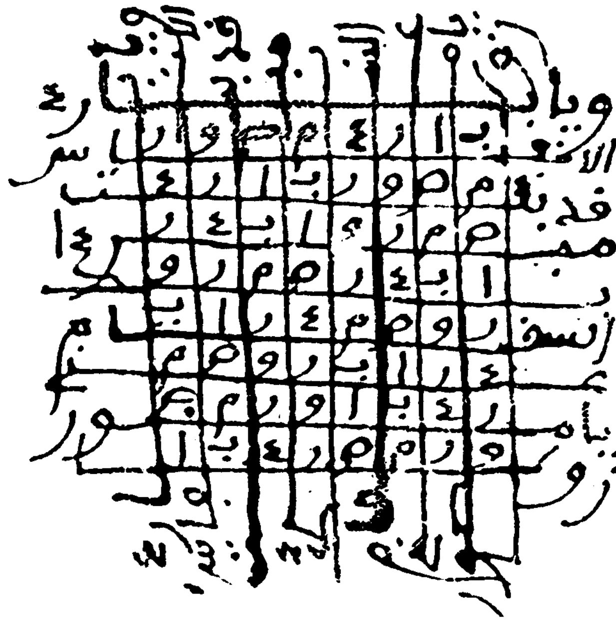
"وَيَا بَارِءُ اَلاَنْفَاسِ قَدْ بِتُّ مُبْرِءَاً بِكَ اَلسَّقْمُ عَنِّي يَامُصَوِّرُ زَوِلاَ"

وَجَعَلْتُهُ عَلَيْهَا. وَفِي نَحْوَ اَلسِّتَّتِ اَيَّامٍ لَمْ يَبْقَ فِي يَدَيْهَا اَثَرٌ لِلثَّالُولِ، وَشَفَاهَا اَللَّهُ مِنَ اِلْعِلَّةِ اِلاُخْرَى، وَمِنْ اَلثَّالِثَةِ نَقَصَ مِنْ دَائِهَا.

وَهَذَا هُوَ اَلْجَدْوَلُ مَمْزُوجٌ فِيهِ اِلْبَيْتُ - كَمَا ذَكَرَ اِبنُ اَلْحَاجِ فِي كِتَابِهِ لِلْمَزْجِ:

---

[1] يريد: الدمياطي



وَأيْضاً رَأيْتُ بُرْهَانا لِلْبَيْتِ الَّذِي يَقُولُ فِيهِ:

"وَيَا مُقْسِطٌ ثَبِّتْ عَلَى الْقِسْطِ نِيَّتِي

وَيَا جَامِعٌ اجْمَعْ لِي رِضَا سَائِرِ الْمَلاَ"

ذَكَرَ فِي الْخَوَاصِّ لِهَذَا (١١٤ب) الْبَيْتِ إنَّهُ نَافِعٌ لِلْضَالَةِ؛ فَكَانَ إذَا تُلِفَ لِي شَيْءٌ نَقْرَاهُ وَيَرُدَّهُ اللَّهُ عَلَيَّ بِبَرَكَةِ اسْمَائِهِ؛ وَقَدْ تُلِفَ لِي مَجْمُوعُ الاَتِ، مِثْلُ مُقَصٌ وَخِدْمِي وَغَيْرُ ذَلِكَ فَفَتَّشْتُهُ فِي اللَّيْلِ وَلاَ وَجَدْتُهُ، فَقَرَأْتُ الْبَيْتَ مِرَاراً، وَرَأَيْتُ فِي النَّوْمِ إنَّهُ كَانَ مَطْرُوحاً فِي بُسْتَانٍ كُنْتُ فِيهِ ذَلِكَ الْيَوْمِ. وَمَشَيْتُ مِنْ الصُبْحِ لِلْمَوْضَعِ بِعَيْنِهِ الَّذِي رَأَيْتَهُ فِيهِ وَوَجَدْتُهُ.

ثُمَّ مَرَةً أُخْرَى تُلِفَ لِي - أظُنُّهُ - مُقَصٌ عَجِيبٌ، وَفَتَشْتُهُ فِي حَوَايْجِي وَفِي الدَّارِ، وَمَا وَجَدْتُهُ؛ وَقَرَاتُ الْبَيْتَ مِرَاراً، طَالِباً مِنْ اللَّهِ تَعَالَى انْ يَرُدَّ عَلَيَّ مَا تُلِفَ لِي. وَمَشَيْتُ إلَى نَاحِيَةِ السُّوقِ

بِمَرّاكُشْ، فِي زَنْقَةِ كُدَيَّةِ حَلْوَانْ، وَسَمِعْتُ حِسَّ اَلْمُقَصِّ بيْنَ قَدَمَيَّ فِي اِلاَرْضِ، وَرَفَعْتَهُ مُتَعَجِّبًا؛ لانِّي عَلَى يَقِينٍ انَّهُ لَمْ يَكُنْ عِنْدِي؛ وَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِشَيْخِنَا اَلْفَقِيهُ اَلْخَيِّرُ سَيِّدِي احْمَدِ بَنْ اَلْحَاجِّ اَلتُّوتِي، اَلَّذِي كَانَ يَقَدَّمُ لِطَلَبِ الْمَطَرِ اِذَا خَصَّ[1]، وَقَالَ لِي: مَنْ سَاقَهُ لَكَ؟ قُلْتُ: لاَ ادْرِي! قَالَ لِي: اَللَّهُ تَعَالَى سَاقَهُ.

وَمِمَّا اَنْعَمَ اَللَّهُ تَعَالَى عَلَيَّ بِمِصْرَ، فِي اَوَّلِ شَهَرِ ذِي اِلْقِعْدَةِ؛ صَلَّيْتُ يَوْمَا (١١٥أ) اَلظُّهْرَ، وَاَتَيْتُ بِسَجْدَتَي اَلسَّهْوِ لاَجْلِ مَا زِدْتُ فِي اِلصَّلاَةِ، ثُمَّ فِي اِلْيَوْمِ بِنَفْسِهِ فِي صَلاَةِ اِلْعَصْرِ وَقَعَ لِي مِثْلُ ذَلِكَ فِي اِلصَّلاَةِ وَرَقَّعْتُهَا، فَأَخَذَنِي اَلْغَيْظُ عَلَى نَفْسِي، وَقُلْتُ: مَا كَانَ يَقَعُ مِنْكِ غَلَطٌ حِينَ كُنْتَ تَدْخُلِينَ اِلَى حَضْرَةِ السُّلْطَانِ وَهُوَ مَخْلُوقٌ مِثْلُكَ! وَحِينَ تَقِفِينَ بِحَضْرَةِ اِلْخَالِقِ اِلْعَظِيمِ وَرَبِّ اِلسَّلاَطِينِ وَخَالِقِهُمْ، تَتَكَلَّمِينَ بِحَضْرَتِهِ وَاَلمَلاَئِكَةُ حَاضِرُونَ! ثُمَّ تَنْتَقِلِينَ بِكَلاَمِكِ اِلَى كَلاَمٍ فِي شَيْءٍ اَخَرَ! ثُمَّ اِلَى اَمْرٍ اَخَرِ مِنَ اَلامُورِ اَلْمَذْمُومَةِ بِحَضْرَةِ اِللَّهِ تَعَالَى، اَلْمَوْلَى اَلْكَرِيمِ! حَتَّى تَقُولُ الْمَلاَئِكَةُ عَنِّي اِنَّنِي مِنْ اَلْكَاذِبِينَ اَوْ مِنْ اَلْحُمْقَا اَوْ مِنْ اَلْمَجَانِينِ! حَتَّى تَفْسَدَ عَلَيَّ صَلاَتِي! وَلاَكِنْ، اِنْ شَاءَ اَللَّهُ، نَشْتَرِي سَوْطًا مِنْ جِلْدٍ وَنَضْرَبُكِ بِهِ عَلَى كُلِّ صَلاَةٍ بَعْدَ سَجْدَتَيْ اَلسَّهْوِ، لَعَلَّكِ تَخَافِينَ مِنْ اَلضَّرْبِ اَكْثَرَ مِمَّا تَخَافِينَ مِنْ اَللَّهِ تَعَالَى اَلَّذِي هُوَ يَرَاكِ وَيَسْمَعُكِ.

وَلَمْ نَتَحَقَّقْ؛ هَلْ قُلْتُ لِنَفْسِي ذَلِكَ اَلْكَلاَمَ[2] جَهْرًا اَمْ سِرًّا[3]. وَفِي ذَلِكَ اَلْيَوْمِ، بَعْدَ اَنْ صَلَّيْتُ اَلْمَغْرِبَ وَجَلَسْتُ فِي اِلْبَيْتِ اَلَّذِي كُنْتُ

---

[1] يريد: إذا قلّ.

[2] من هنا ينقل الناسخ دون ان يتنبه للسقط الكبير .

فِيهِ، فَرَأَيْتُ (١١٥ب) مَعَ اَلشَّفَقِ، قَبْلَ اَنْ اَوْقَدْتُ اَلسِّرَاجِ، قَضِيبًا نَزَلَ قُدَّامِي مِنَ اَلْهَوَاءِ، مِنْ عُودِ اِلطَّرْقَةِ، عَلَى طُولِ ذِرَاعٍ، وَقَبَضْتُهُ. وَفَهِمْتُ اَنَّ ذَلِكَ بَدَلٌ عَنْ اِلسَّوْطِ؛ كَأَنَّ لِسَانَ اِلْحَالِ يَقُولُ: لاَ نُوَخِّرُكَ اِلَى اَنْ تَشْتَرِي سَوْطاً؛ خُذْ هَذَا وَاَضْرِبْ بِهِ يَنُوبُ عَنْ اِلسَّوْطِ، لَعَلَّكَ تُدَاوِي نَفْسَكَ، وَتَخَافِينَ مِنْ ضَرْبِكَ اِيَّاهَا اَكْثَرَ مِنْ خَوْفِهَا مِنْ عَذَابِ اِللَّهِ.

وَرَجَعْتُ نَضْرِبُ نَفْسِي بَعْدَ سَجْدَتَي اَلسَّهْوِ عَلَى رِجْلِي اِلْيُسْرَى بِالْقَضِيبِ، لاَنَّ اَلنَّفْسِ وَالشَّيْطَانِ مِنْ أَهْلِ اِلشِّمَالِ، وَاَلْقَضِيبُ اِلَى اَلاَنَ عِنْدِي، فَاِذَا نَظَرْتُ اِلَيْهِ يَجْتَمِعُ فِكْرِي فِي الصَّلاَةِ بَعْضَ اَلْمَرَّاتِ وَاَنْتَفَعْتُ بِهِ نَفْعاً جَيِّدًا، وَحَصَلَتْ لِي فَايِدَةٌ بِاَلْبُرْهَانِ وَاَلْعِيَانِ بِاَنَّ اَللَّهَ يُرِيدُ مِنَ اَلاِنْسَانِ قَوْلاً بِاللِّسَانِ وَاِخْلاَصاً بِالْقَلْبِ وَعَمَلِ بِالْجَوَارِحِ.
وَفَهِمْتُ مِنْ اَلاَيَةِ اِلْمُتَقَدِمْ[1] ذِكْرِهَا: ﴿وخذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا تحنث﴾ اِنَّهُ اَلاَمْرُ بِالضَّرْبِ بِالْقَضِيبِ بَعْدَ تَرْقِيعِ اِلصَّلاَةِ عَلَى وَجْهِ اِلتَّدَاوِي لِنَفْسِي عَلَى وَجْهِ اِلاخْتِصِاصِ[2]. وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ كُلِّ بِدْعَةٍ غَيْرَ مُسْتَحْسَنَةٍ.

نَسْئَلُ اَللَّهَ سُبْحَانَهُ (١١٦أ) اَلرَّحْمَنَ اِلرَّحِيمِ اَنْ يَعْفُوَ عَنِّي فِيمَا خَصَّنِي[3] مِنَ اَلإِخْلاَصِ فِيمَا مَضَى وَيُوَفِّقَنِي فِيمَا بَقِيَ وَاَنْ يَسْتُرَ عُيُوبِنَا وَيَغْفِرَ ذُنُوبِنَا، وَيَخْتِمُ عَلَيْنَا بِخَوَاتِمِ اِلسَّعَادَةِ؛ وَلِقَارِي هَذَا

---

[3] زيادة في س: لانني كنت عازما على ذلك.

[1] س: المتقدمة .

[2] س: الاختصاص فيما مضى وفيما بقي وان يستر عيوبنا وان يغفر ذنوبنا ....

[3] كتب الحجري فوقها: فاتني.

اَلْكِتَـابِ وَلِكَاتِبِـهِ ومُسْتَمِعِهِ[١] وَلِمَـنْ رَاءَ فِيـهِ عَيْبًـا حَقِيقَــةً وَاَصْلَحَــهُ؛ وَالْمَغْفِرَةَ لِلْوَالِدَيْنِ، وَلِكَافَةِ اَيِمَّتِنَا وَالْمُومِنِينَ وَالْمُومِنَاتِ، وَالْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ، الاَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالاَمْوَاتِ، بِفَضْلِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، سَـيِّدُ الاَوَّلِيـنَ وَالاَخَرِيـنَ وَخَـاتِمُ اَلنَّبِيِيــنَ وَإِمَــامُ اَلْمُرْسَــلِينَ وَحَبِيـبُ رَبِّ اَلْعَالَمِينَ – صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَعَلَى اَلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيماً ٠

وَقَدْ قَرَأْتُ هَذَا اَلْكِتَابُ بِمِصْرَ اَلْمَحْرُوسَةَ بِاللَّهِ عَلَى اَلْعَلاَّمَةِ اِلشَّيْخِ عَلَي اِلاَجْهُورِي[٢]؛ فَقِيهٌ شَهِيرٌ فِي اِلْمَذْهَبِ اِلْمَالِكِي يُثْنَى عَلَيْـهِ فِـي مِصْرِ وَغَيْرِهَا فِي كَثِيرِ مِنْ اَلْبُلْدَانِ وَالاَقْطَـارِ؛ اِلْمِرَّةِ الاُولَـى فِي اِلرِّحْلَةِ اِلْمَذْكُورَةِ فِي أَوَّلِ اِلْكِتَابِ؛ ثُمَّ مَرَّةً ثَانِيَةٌ[٣] اَسْتَخْرَجْتُ هَذَا مِنْهَا عَلَى اَمْرِهِ، وَطَلَبْتُ مِنْهُ: اَنْ كُلُّ مَا يَظْهَرُ لَهُ اَنَّهُ غَيْرَ لاَيِقٍ (١١٦ب) اَنْ يَامِرَنِي بِإِسْقَاطِهِ؛ وَنَصَحَنِي وَنَفَعَنِي بِعِلْمِهِ وَنِيَّتِهِ اِلْصَالِحَةِ، وَدَعَـا لِي بِالْخَيْرِ – جَزَاهُ اَللَّهُ عَنِّي خَيْراً كَثِيراً، وَكَمَّلَ عَلَيْـهِ بِالسَّعَادَةِ فِـي الدَّارَيْنِ؛ أَمِين ٠

وَقَـدْ زِدْتُ[٤] فِـي هَـذَا اَلْكِتَـابِ بِتُونُـسْ مَـا ظَهَـرَ لِـي اَنَّ فِيـهِ نَفْعَــاً وَطَالَعَهُ اَلْعَلاَّمَةُ اِلْمُفْتِـي اِمَـامُ جَـامِعِ اِلتُرْك اِلشَّـرِيْف اَحْمَد اِلْحَنَفِـي؛ وَكَانَ اَلْفَرَاغُ مِنْ[٥] هَذَا التَّالِيفِ لاِحْدَى وَعِشْرِين يَوْماً مِنْ شَهْرِ رَبِيـع الثَّانِي مِنْ عَامَ سَبْعَة وَارْبعين وَألْف، وذلك يَوْمُ الجُمْعَة٠ ولمَّا كَتَبْت

---

[١] س: ولمستعمله

[٢] س: رحمه الله تعالى ورضي عنه.

[٣] س: ثانية حين استخرجت .

[٤] س: وقد في الكتاب .

[٥] س: وكان الفراغ منه اولا في مصر لاحدى وعشرين ...

اخرَ حَرْف منهُ سَمِعْتُ اَلْمُوذِّنْ يقول: اَللّهُ اَكْبَر لِلاَذان الاوّل لِصَلاَةِ الْجُمْعَةِ، فاستَبْشَرْتُ بِخيْر وَبِقُبُول[١] الْكِتَاب.

وَقَدْ ذَكَر الْفَقِيهُ الْجَلِيل اَحْمَدُ بَنْ اَحْمَدْ بَابَ السّوْدَانِي فِي كتاب عَمِلَهُ[٢] بِبِلاَدِ دَرْعَة؛ وَهُوَ مَاشِي إِلَى بِلاَدِهِ وهي بِتُنْبُقْتُ[٣] بِبِلاَدِ السّوْدَان، مِنْ مَرّاكُشْ. وكُنْتُ مِمّنْ خَرَجَ مَعَهُ مِنْهَا وَوَدّعْنَاهُ. وَهُوَ - رَحِمَهُ اَللّهُ - اَلّذِي عَمِل شَرْحاً عَلَى مُخْتَصَرِ خَلِيل، وَسَمِعْتُ فِي مِصْرَ[٤] مَنْ ذَكَرَهُ واستَحسَنَهُ، وكَذلك بِتُونُسْ سَمِعْتُ مِنْ بَعْض الْفُقَهَاءِ مَنْ شَكَرَهُ كَثِيراً. وَبَعْدَ (١١٧أ) اَنْ مشى الى بلاده، كتبت له واعلمته اني مشيت الى بلاد الفَرَنْجِ وفَلَنْضِسْ لاغراض قضيتها، وتعطلتُ بتلك البلاد. وكتب لي - رحمه الله وجزاه عني خيرا، ودعا لي ولأولادي - وقال لي: قصّرت حين ما كتبت كل ما رايت.

واما الكتاب الذي عمل في بلاد دَرْعَة؛ كان أجويبة[٥] على ما سأل محمد بن عبد الله بُو مَحَلّي[٦]، وكان رجل من العلماء - رحمه الله - للشيخ سالم السنهوري[٧] المصري - رحمه الله - وايضا لكل

---

[١] س: وقبوله .

[٢] س: كتاب اللمغه .

[٣] س: تنبكت .

[٤] س: بمصر .

[٥] س: اجوبة .

[٦] س: محمد بن عبد الله وحل من اكابر العلماء .

[٧] هو سالم بن محمد السنهوري المالكي المتوفى سنة ١٠١٥هـ ، بروكلمان ٢/٣٠٥؛ ملحق ٢/٤١٦.

من يريد من الفقهاء والعلماء أن يجاوب عليه. والسؤالات[١] في شأن طابة المسمات: بالدخان والعفيون والمسكرات والمخدرات[٢]. وذكر في عشبة الدخان انها حلال لذاتها في كتابه[٣] وقال: انه في الحين الذي ختمه سمع الاذان للصلوة، وفرح بذلك واستبشر بخير؛ وكذلك فرحت حين سمعتُ التكبير بعد ان كتبت اَخِر حَرْف من الكتاب.

وكنت قد رايت في النوم فقيه زمانه بالمغرب؛ قاضي المسلمين بمدينة مراكش في زمان السلطان مولاي احمد (١١٧ ب) الشريف الحسني، وايضا في زمان مولاي زيدان السلطان[٤] - رحمهم الله جميعا - فقال لي القاضي[٥] ابو عبد الله الرجراجي ومعه محمد بن يوسف، الاستاذ الشهير في قراءة القُرْءَان، وقال لي: بماذا انت مشغول؟ قلت: أُوَلِفُ كتابا وبحلف! قال لي: مبارك؛ ومقلوب اسم "حلف" فهو: "فلح"[٦].

---

[١] س: والسوال .

[٢] س: والمخضرات .

[٣] "في كتابه" لم ترد في س.

[٤] س: في زمان مولاي زيدان ابنه رحمهما ا لله تعالى.

[٥] س: وقال القاضي الذي رايت في النوم ابو عبد ا لله ...

[٦] زيادة في س هي: وفهمت انه رضي بالكتاب لاجل ما قال لي قبل ان مشيت الى بلد النصارى وذلك انه سالني في امر الاندلس الجدود قلت السلطان نصره ا لله اذن لهم ان يعينوا من يمشي لبلد النصارى وهم يقولون ان القايد ابراهيم القلعي الاندلسي يمشي او انا قال لي ما يليق يمشي القلعي لانه عامي والقسيسون النصارى يشككونه في دينه. ما يليق يمشي الا انت. واتفقوا جميعا ان نمشي ومشيت والمشية كانت بسبب الكتاب.

وفي ليلة أخرى؛ قبل أن ختمته بنحو العشرين يوما؛ قيل لي في النوم: إذا تتم الكتاب يكون الذهب[١]. ويوم السبت التالي ليوم الجمعة التي ختمته فيها كان كما قيل لي[٢].

نسئل اللـه العظيم ان يجعلـه نافعـا مقبـولا منـه ومن المسلمين؛ ناصراً لدين رب العالمين. وإن قال قائل: لو كتمت ما ذكرت في الباب الاخرى لكان خيرا من ذكره ، فاقول: لما الفت الكتاب في الرَّدّ على النصارى واليهود من كتبهم؛ ذكرت في الباب ما اتفق لعبد من الامة المحمدية – وانا من المذنبين منهم– ما لا يتفق ابدا بعد النبي محمد – صلى الله عليه وسلم – لنصراني ولا ليهودي وانظر ما يقع في كل زمان (١١٨أ) لأولياء الله تعالى الصالحين.

وقد ذكر الولي عبد الوهاب الشعراني بمصر في كتابه المسمى بـ: **كتاب المنن**: عجائبا وغرائبا ، حتى ذكر ان مما منَّ اللـه تعالى عليه: إنه لا ينام من اربع وعشرين ساعة التي في الِّيل والنهار الا ثلاث ساعات فقط.

وقال بعض المفسرين للقرءان العزيز – في معنى قوله تعالى: ﴿وأما بنعمت ربك فحدث﴾: إنَّ ذِكْرَ نِعَمِهِ تعالى هو من الشكر له عليها.

وقد ذَكَرَ لي بمراكش العلامة الفقيه النبيه الخيِّر قاضي المسلمين سيدي عيسى بن عبد الرحمن السكتي انه من الجهاد الرَّدُّ على الكفار ما يقولونه من الباطل في الاديان. والحمد لله والشكر له

---

[١] يريد: الذهاب.

[٢] زيادة في س بعد هذا هي: فتح ا لله تعالى مسئلة من فضله ان يجعله نافعا ...

علـى مـا جاهدنـا معهـم. نسـئل اللـه العظيـم ان يكـون هـذا الكتـاب **السيف الاشهر على كل من كفر**؛ وبرهانه يظهر؛ يا الله يا واحد يـا هادي يا وهاب. وصلى الله علـى سيدنا ومولانـا محمـد وعلـى الـه وصحبه (١١٨ب) وسلم تسليما كثيرا، ابـدا دايمـا الـى يـوم الديـن؛ ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم.

واعلم - رحمـك اللـه - ان هـذا الكتـاب ذكـرت فيـه انـي قراتـه بمصر المحروسة بالله على العلامة الشيخ سـيدي علـي الاجهـوري المـالكي، وانـي بعـد ان جئـت الـى مدينـة تونـس -حرسـها اللـه - وجدت فيها الكتاب الذي كتب الشيخ الفقيه الاكيْحل الاندلسي - كان في مدينة غرناطه شيخ الترجمـة بالاجـازة - وقـرات عليـه هنـالك وعرفت خطه العجمي والعربي. وبعد ان توفي - رحمه الله تعالى - بقي الكتب بيد الفقيه يوسف قَلْبُ الاندلسـي، واتـى بـه الـى مدينـة تونس ومات فيها، وبقي الكتاب بيد واحد من اخواننا الاندلس وكتمه عن غيره؛ لان بعض الاندلس من اهل العلم كـانوا يطلبـون عليـه. وانا كنت نتمنّى نراه؛ فاعطـاه لي الذي كان بيده (١١٩أ) جزاه اللـه تعالى عنّي خيرا كثيرا؛ حتى توفيت[١] النظـر فيـه وزدت منـه فـي كتابي: **ناصر الدين**؛ في الباب الاول عقيدة تَصَفِيُون ابن العطار في التوحيد؛ وبعضَ المسائل مما ذكرتُ على الكتب التي وجـدت تحـت الارض مكتوبة بالعربية من عهد الصالحت مريم على امرها.

وايضا وجدت فـي تونـس كتابـا كبـيرا مكتوبـا بالقـالب بالعجميـة مترجم من بَالِرَ الاشبيلي؛ مثل الذي قرات بِفَرَنْصَةْ فيه جميـع كتـب

---

[١] س: استوفيت .

التورية والزبور والانجيل، وزدت منه في كتابي قصت بخت نصر وما فسَّر النبي ذانيال - عليه السلام - وغير ذلك زدت من التورية في الباب العاشر٠

وايضا كتبت في الكتاب ترجمة البراة التي كتب سلطان اشبانيه - وهي بلاد الاندلس - وامر بخروج المسلمين منها٠ وذكر الاسباب التي حملته على اخراجهم٠ جاءَت نسخة من البراة الى مراكش وترجمتها للسلطان (١١٩ ب) مولاي زيدان - رحمه الله - والترجمت[١] في اخر الباب الحادي عشر من الكتاب٠

في الباب الثاني عشر ذكرت برات الراهب وما جوبته فيها والفتوة[٢] التي استفتيته في دينه لما علمت من سوء اعتقادهم، وكان في مراكش٠

والباب الثالث عشر: ذكرت الشُمَيسيَة من الذهب التي وجدت في بيتي؛ وما ذكر سيدي احمد باب السّوداني في ذكر الله أكبر عند تمام الكتاب، انتهى.

والحمد لله رب العالمين[٣]

---

[١] س: والترجمة .

[٢] يريد: الفتوى .

[٣] في س زيادة هي: ومما كتبت في مصر في الكتاب الذي الفته المسمى **رحلة الشهاب إلى لقاء الأحباب** ان النصراني المسمى بابرت الذي كان يقرا بالعربية في مدينة بريش العظيمة التي فيها دار الملك الفرنجي قال لي عندنا في هذه المدينة رجل لبيب وعاقل مقبول من الجميع حتى ان اذا عمل احد شعرا ما يظهره للناس حتى يعرضه عليه فان اذن له يظهره والا يتركه فمشينا عنده ومن عادة الفرنصيين اذا يرد عليهم رجل غريب ممن يثنى عليه يقولون له ان يحكي لهم حكاية وكان ابرت الذي مشيت معه سمع مني بعض الحكايات ومشينا عند الرجل الذي ذكرنا وبعد ان قبل علينا بحسن القبول والادب وكان يعرف اللسان العجمي الذي يتكلمون به ببلد الاندلس وقال انه جلس في اخيار

(١٢٠أ) كتب فيها دعوة الاعوان الاربعة وعزائم الجن مما لا علاقة لها بالكتاب، فآثرنا تركها.

مدوننا والفرنجيون يعظمون كثيرا لمن جال في الدنيا ورای بلد كثيرة وقال لي الرجل احك لي حكاية فقال لي ابرت الذي حملني الى عنده ان احكي حكاية اسقوا الاندلسي ولما رايت انه لا بد من ذلك لما جرت به العادة عندهم قلت فيما مضى جاء رجل اندلسي اسمه اسقوا الى مدينة غرناطة بحمل حطب على دابته وساق معه وعاء ليشتري من دراهم الحطب زيتا فلما دخل المدينة التقى بخديم من دار السلطان وقال له هذا الحطب للبيع قال نعم قال له بكم قال بكذا من الدراهم قال له اجي معي نخلصك فمشا معه الى باب دار السلطان ونزل الحطب ودخلها الحريم وبقي الرجل ينتظر الدراهم ولما تعطل عليه غوّش وعيّط واراد الدخول الى دار السلطان قبضه البواب وضربه فاخذ الرجل حماره وحباله ومشا الى دكان فيه الزيت فمدّ له الوعاء وقال لصاحب الدكان عمر هذا بالزيت فصنع ذلك وقال له اعطني كذا من دراهم حق الزيت فطلع الى الدكان وقبض الزيات وضربه ضربا شديدا في جسده فقام الزيات بالعياط واجتمع الناس وقبضوا الحطاب ومشوا به لمن يحكم فيه وهو يقول بالعياط انا با لله وبالسلطان فوصل الخبر للملك وامر باحضاره والناس معه للشهادة عليه والزيات يشتكي وشهدوا بما راوا من الضرب قال له السلطان ما حملك على ضربه قال يا مولاي نصركم الله بسكت السلطان وصرفه يجوز ام لا ؟ قال السلطان تجوز ولا يقدر احد ان يردها قال انا يا مولاي جبت حمل حطب واشتراه مني خديمكم وبعد ان دخل الحطب الى الدار طلبت الدراهم وضربوني في جسدي وقلت هذا صرف السلطان وسكته به ان شاء الله نشتري الزيت ولما اعطاه لي طلب الاخلاص فخلصته بسكة السلطان التي قبضت في الحطب فضحك السلطان وقال له ما اسمك قال اسمي اسقوا قال له اين ساكن قال في البلد الفلاني قال له ارحل باولادك تسكن في مدينتي وتلزم هذه الدار من جملة خدامنا فامتثل الامر وكان يشرح السلطان ويطول الكلام فيما حكي عنه بعد ذلك.

ولما ان فرغت مما ذكر فرح الكاتب وقال لبرت بكلام الفرنج انه استحسن ما سمع وبعد ذلك بايام جاء عنده رجل من اصحابه وقال لي الكاتب احك لنا الحكاية التي ذكرت لان صاحبنا هذا يعرف كلام بلدكم العجمي وانشرح هو وصاحبه حيث ذكرت الحكاية انتهى.

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين وامام المرسلين وسيد الاولين والاخرين والحمد للخ رب العالمين اللهم اغفر لكاتبه ولمن كتبه اليه ولوالدينا ولجميع المسلمين ولا تحاسبنا يا مولانا بما فعلنا وما اسررنا وما اعلنا وما انت اعلم به منا يا ارحم الراحمين يا رب العالمين.

(١٢٠ ب) بسم الله الرحمن صلى الله على سيدنا ومولانا محمد واله وصحبه وسلم تسليما!

يقول العبد الفقير احمد بن قاسم الاندلسي مؤلف الكتاب المسمى بـ: **ناصر الدين على القوم الكافرين** : بعد الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد وأله وصحبه والتابعين له في الدين.

أما الكتب التي ذكرنا انها وجدت في خندق الجنة بقرب غرناطة تحت الارض ؛ فباشرت بيدي بعض ورقها وقراءتها وترجمتها . فكانت كل ورقة قدر كفٍّ اليد مستديرة من رصاص، وبعضها اصغر، منقوشة على خطوط مثل هذا : بسم الله الرحمان الرحيم ومثل الخاتم الذي كتبنا في الباب الاول،

ثم اني طالعت في تونس كتاب الاكَيْحل الاندلسي - رحمه الله - وقال : ان جميع الكتب كانت اثنين وعشرين كتابا٠ وان الصالحة مريم - عليها السلام - نزل عليها جبريل - عليه السلام - بسبعة الواح من الزبرجد الاخضر؛ وقال لها: ان تكتب نسخة منها بيدها (١٢١أ) وتبعثها مع سائر الكتب التي كتب الحواريون؛ بعد أن عرج سيدنا عيسى - عليه السلام - الى السماء؛ الى اشبانية وهي بلاد الاندلس٠

فَكَتَبَتْ نسخة من الكتاب، وهو المسمى بـ: **حقيقة الانجيل** الذي تقدم الكلام عليه في هذا الكتاب عند الخاتم وبعثها مع سائر الكتب مع جماعة من الحواريين وهم : شَنْتَاغُ وتَصفْيُون واخوه سِسِلْيُوه، الذي كتب الرق الذي تكلمنا عليه؛ وهما الذان كتبا الكتب- وكانوا عرب - وخمسة من الحواريين معهم ؛ وجميعهم احرقهم المجوس

الروم في الغار الذي وجدوا الكتب وكل واحد بستر من رصاص في قلب حجر معقود عليه، بعد الف وست مائة سنة. وورق كتاب حقيقة الانجيل اغلظ من سائر ورق الكتب؛ في غلظ ريال كبير واغلظ. وفيه سرٌّ للكتب لان بعد قراته تكون الناس على دين واحد، انتهى. انظر هل يكون (١٢١ب) ذلك في زمن الفاطمي لانه صح عن النبي – صلى الله عليه وسلم – انه قال: " يملأ الدنيا قسطا وعدلا كما يجدها ملأ جورا وظلما"٠

وكتبت نسخة من كتاب **مواهب الثواب**؛ وهو من جملة الكتب التي ساق من غرناطة لتونس الفقيه يوسف قَلْبُ الاندلسي المذكور – رحمه الله – وهي هذه النسخة :

بسم الله الرحمان الرحيم

صلى الله على سيدنا ومولانا محمد واله وصحبه وسلم تسليما نسخة من احد الكتب التي وجدت تحت الارض في خندق الجنة بقرب غرناطة مكتوبة في ورق الرصاص من عهد الصالحة مريم – عليها السلام – بعد ان عرج سيدنا (١٢٢أ) عيسى – عليه السلام – المسمى بـ: **كتاب مواهب الثواب لعباد الله المومنين في حقيقة الانجيل**، والامر بها في التاريخ لاخر الزمن، واللعنة بعكسها للمعاكسين اليها. فيه ثمان مسائل ليَدْرُهْ مع جمهور الحواريين للصالحة العذرة مريم وجوابها اليه. لم يقدر احد على فهم معاني تواريخ الحقيقة تمًّا[١] دوّنه ليعقوب ابن شامخ الحوري؛ عاقبة الدين مكتوب على يدي تلميذه وكاتبه تَصَفْيٌ ابن العطار الاعربي٠

---

[١] كذا في الأصل، فلعلها كانت: "كما".

قال يعقوب الحوري: جماعة جمهورنا الحواريين الاثنى عشر كنا مع الصالحة مريم في بيتها بعد نزول **حقيقة الانجيل** عليها، ووصفها للامر فيه الينا؛ فخاطبتنا بقول قد اسحرت به عقولنا وطابت انفسنا وسكنت قلوبنا وخشعت لما يجب الخشوع اليه من احسن الذكر والعمل الصالح والطاعة لله. ثم خطبتنا بأسرار عظيمة لم يجب ذكرها في كتابي هذا ولاكن أقول ان (١٢٢ ب) خطابها يوقف الملائكة في السماء والانس في الثرى تعظيما لله ووعظا ومعجزة منه للسامعين. وما رأيت ابدا اطيب نفسا من نفسها ولا افصح لسانا من لسانها ولا اكبر علما من علمها بعد سيدنا يصوع. وذلك الوصف كله كان في خواص حقيقة الانجيل العزيز؛ شكرا لله على تلك النعم. واطلب من مجدك وفضلك ان تقصص علينا ثمانية مسائل في مواهب ثوابها؛ وعن المتوكلين للامر بها التابعين اليها بالايمان؛ وعن ثوابهم الموصوفين في وصفك بالتوريخ للعباد في اخر الزمن؛ وما ينبغي بالعكس للمعاكسين اليها من اللعنة والعذاب؛ ليكتسب جمهورنا والعباد من بعدنا في اخر الزمن.

فقالت: يا بدره! صف اولا منهن؟ قال: اخبرنا عن حقيقة الانجيل وعن ثوابه يا مولاتنا؛ فقالت: حقيقة الانجيل هي روح الانجيل، وهي كنز من كنوز العرش فلاح للمومنين (١٢٣أ) ما من عبد يومن حق الايمان باخلاص ونية لم يخالطهما شيء من الشك، ومات على ذلك الا يكتب الله له براءة من النار ويغفر له جميع

ذنوبه ولو كانت لم تُحْص في العدد. وما من عبد مومن ياتي لها على علم بعد شرحها للعباد يرفعه الله في الجنة درجة عالية. والعامل بالعكس لا شفاعة فيه؛ يلعنه الله وملائكته الف مرة في كل يوم؛ و تحت سخط الله ويخلده في نار جهنم الا ان يرجع من ذلك كله حق الرجوع لله.

ثم قالت: يابدره! صف لي الثانية؛ قال: اخبرنا عن فضل العرب انصار الدين في اخر الزمن وعن ثوابهم وعن فضل لسانهم على الالسن يامولاتنا! فقالت: العرب أنصار الدين في اخر الزمن، وفضل لسانهم على الالسن مثل فضل الشمس على دراري السماء؛ اختارهم الله لذلك الامر وايدهم بنصره؛ وفضل المومنين عند الله كبير وثوابهم جسيم. فما (١٢٣ب) من عبد مومن يدعو لهم بالنصر والتأييد – بعد ان يشهر الله حقيقة الانجيل في الموضع المقدس الذي يُرا فيه – إلا وينصره الله النصر المبين ويكتبه الله حقا عبده تابعا لمرضيته، ومنيبا لنصر دينه الرشيد، ومن يردهم بسوء يلعنه الله وملائكته الف مرة في كل يوم وهو تحت سخطه الا ان يرجع عن ذلك كله حق الرجوع لله.

ثم قالت: صف الثالثة، يا بدرة! قال: اخبرنا عن صالح الفقه الذي يشهر الله الحقيقة على يديه وعن ثوابه يامولاتنا. فقالت: انما صالح الفقه حقا؛ المومنون بما وضع الله في الوجود من كلماته التامة بالانجيل العزيز؛ على فيه روح يصوع بالحقيقة؛ روحة من بعده ما دون الشكوك والظن وذلك جمهور المسجد المومن الصالح

العالم المنور بنور الايمان والرحمة والخليفة اليصعية[1] الموكلة عليه بقدرة النهاية؛ والامر والحل والربط لانها (١٢٤أ) ذلك الحقيقة برنامج حقها ونورها فلاح للمومنين. لا نور لهم دونها ولا لاحد من العالمين.

فما من عبد يومن بذلك كله حق الايمان بنية واخلاص لطاعة الله لم يخلطها شيء من الشك؛ ويحث نفسه على تسهيل الامر بالحقيقة للمجتمع الاكبر بجزيرة السبر بمشارق البندقية؛ وشرحها يدخل بها في دين الله، إلا ويكتب عبده صالح الفقه حقا وعصبة متصلة من ذلك الجمهور وصلوحيته ويسيل سلسلة ربقته في عنقه وينظرها بعين عنايتها وكفله بكنف رحمته، وان ينفق لذلك الامر درهما طيبا من ماله في سبيل الله، يغفر الله له جميع ذنوبه ويحشره تحت رضائه ويعطيه في الجنة اجر المصدقة التي بنت مسجد نبي الله سليمان ابن داوود؛ لانه معينا استبناء المسجد للمومنين بالله واليوم الاخر بذلك الصدقة المقبولة منه، وبالعكس ما من عبد يصل توريخها (١٢٤ ب) بيديه وخواص الامر بها في علمها، ويشك فيها ويريد طول الامل بها؛ ويرضى بكتمانها وكتمان توريخها، وكتاب هذا ادنى حينا من الدهر من ذلك الجمهور ومن الخليفة اليصعية ومن العرب الانصار ومن الناصر الساكن في المشرق، ومن ملوك الارض ومن عباد الله ليتبعوا موذيته، ولينالوا من ثواب الحقيقة الموهوبة لهم من فضله، الا ويرفضه الله من ذلك الجمهور وصلوحيته، ويقطع منه عصابته ويخلع سلسلة ربقته من عنقه

---

[1] يريد: اليصوعية (اليسوعية).

ويُكتَبُ في غيبه عدو لـه، معاكسـا لمرضيتـه ويلعنـه اللـه وملائكتـه الف لعنة تلزم فـي الحيـن لكـل مـن يبلـغ قـول هذا وتوريـخ الامـر بالحقيقة عنده كان من كان، ويجعله كمشكوة دون مصباح؛ ويعقـده في نار جهنم ملوما مدحـورا خـالدا فـي عذابهـا مـادام ملكـه؛ إلا ان يرجع من ذلك كله حق الرجوع الى الله، ويغفر عنه٠

ثم قالت: صف لي الرابعة (١٢٥أ) يـا بـدره! قـال: اخبرنـا عـن الناصر الساكن في المشرق وعن ثوابه يـا مولاتنـا فقـالت: النـاصر مَلك من ملوك العرب، وليس باعربي، سـاكن فـي المشـرق بـأرض الانانيين، عدوا بالغا للاجناس العجم ولملتهم ومذهبهم واختلافهم في الدين، يكون له نمائة جميلة لطاعة الله ولنصـر دينـه الرشـيد؛ ايـده الله بنصره والقى نصر حقيقة الانجيل العزيـز فـي حكمـه؛ ويوقـف لواء الدين بيده؛ وايـده بـالنصر والتمكيـن فـي الوجـود علـى سـائر الاجناس في ذلك الزمن؛ وله نـور وعلـم لطاعتـه فـي ذلـك الأمـر؛ وهو في غفلة من قول هذا الـى وقـة يبلـغ الأمـر بالحقيقـة المكفولـة عنده. وذلك كله سابقة في سابق علم الله سـبحانه ليهـب فضلـه مـن شاء حاش ان يكون في ملكه مـا لا يريـد الا مسـترضي لامـره؛ لـه عند الله ثواب كبير ودرجة عالية٠

فما من عبد مومن بالله بالنصر والتأييد ويعينه بنفسه أو مالـه لذلـك الامـر ومـات علـى (١٢٥ب) ذلـك الا يغفـر اللـه لـه جميـع ذنوبـه ويعطيه في الجنة اجر الشهداء الذين يستشهدون علـى الديـن؛ ومـن ياته بالعكس يلعنه الله وملائكته الف مرة في كل يوم؛ ويرفضه من رحمته الا ان يرجع عن ذلك كله٠

ثم قالت: صف لي الخامسة، ابدِرْه! قال: اخبرني عن المتألفين قلوبهم للمجتمع الاكبر؛ وعن ثوابهم يامولاتنا، فقالت انما المتألفين قلوبهم للمجتمع الاكبر الذين تميل وتخشع قلوبهم لله، واستيذانهم الى الانجيل العزيز ولحقيقته وللمومنين بما تجمع اليه الحقيقة؛ كانوا من كانوا من جميع الاجناس؛ وايضا الذين يهبون الصدقة ويحثون نفوسهم والعباد الى الحضور فيه بقدر الاستطاع وبالنية؛ فما من عبد من عباد الله يفعل به ويهب نيته وصدقته الطيبة اليها بنية واخلاص في سبيل الله لذلك الامر؛ ومات على الايمان إلا ويغفر الله له جميع ذنوبه، ولو كانت لم تحص في العدد ويكتبه من المتألفين قلوبهم (١٢٦أ) اليه وان حضر فيه؛ ويومن بالمجموع عليه، الا ويكتب الله له براءة من النار ويعطيه اجر الشهداء المستشهدين على الدين؛ والمعاكس لذلك والمانع للعباد من الحضور فيه لاشك في خلوده في نار جهنم وعذابه الاكبر؛ الا أن يرجع من ذلك كله حق الرجوع لله.

ثم قالت: صف لي السادسة، ابدره! قال: اخبرنا عن المترجمين المفسرين وعلى ثوابهم يا مولاتنا؛ فقالت: انما المترجمون حقا مترجمون للكتاب الذي بحقيقة الانجيل بعد شرحها للعباد في المجتمع الاكبر يبعثهم في ذلك الزمن مصابيح بين اجناس الوجود؛ يتلألئون نورا بنورالعلم والفقه الموهوب ويدخلون في ارض السبّر؛ يزيدهم قوة من فضله في العلم ولغت الالسن للترجمة المذكورة والتفسير؛ ليستفهموا بعضهم من بعض، وقولهم في القوام لشرح دينه الرشيد والاستقام فيه لسعته. ولاكن يكون عندهم (١٢٦ب)

قليل ثم قليل بين الاجناس لبرهان معجزة الله في العالمين٠ وراسهم اضعف خلقة؛ شارح الحقيقة طايعا لله ولخليفته المسجد المومن بالله واليوم الاخر وومنا بذلك الايمان وعصابة متصلة من جمهوره يبعثه الله في ذلك الزمن بنور العلم والفقه والرحمة لذلك الامر كما وصفت لكم؛ وكلهم القاهم الله في كفالة الملوك والمتربين؛ والله يحب أهل العلم الصالحين ويكره اهل الفسق الجاهلين٠ وجزاء المومنين منهم عند الله كبير، وثوابهم جسيم ولهم درجة عالية في الجنة، وما من ملك أو مشرف أو عبد من عباد الله المومنين يحسن اليهم ويهيِّيء امورهم للمجموع الاكبر المذكور، وشرح الحقيقة الا يغفر الله له جميع ذنوبه ويكتبه عنده من الشهداء الذين يستشهدون على الدين، ويرفع لهم بكل درهم طيب ينفق لذلك الأمر من ماله درجة في الجنة. ومن يردهم بسوء (١٢٧أ) أو معاكسة يلعنه الله وملائكته الف مرة في كل يوم، ويرفظه من رحمته؛ الا أن يرجع عن ذلك كله حق الرجوع لله٠

ثم قالت: صف السابعة، ابدرة! قال: اخبرنا عن اضعف خلق الله شارح حقيقة الانجيل في المجتمع الاكبر وعن ثوابه يامولاتنا٠ فقالت: الله يخص برحمته تاويل العلم من يشاء من عباده؛ وذلك العبد من المخصوصين المكتوبين في علم غيبه، مواهبه ومننه عليه كبيرة ورحمته ومعجزته ظاهرة فيه للعباد المخلصين الذين يشاء الله يطالعهم عليه من فضله، ولاكن يكون عددهم قليل في العالمين، عنصره طيب زكي اعرابي؛ لان النصر لاينبغي لغير العرب؛ والناصر في ذلك الزمن هو مظهر من جميع العلوم - كما كان

ابني يصوع – ولا يعدم فهم جواب السائلين؛ منـور بنـور الاحسـان والرحمة، خالص بالنية وله علم كثير موهوب من الله ليس يوصف به بين (١٢٧ب) العباد له نشية معتدلة وبشاشة في وجهـه مشـتملة وفصاحة في اللسان بلفظ قصير وعلم كثير واتقـان يبعثـه اللـه فـي تكبيرة [...] لكلمة واحدة لسبل الأرض، وفيها يعلمـه الذكـر ليكـون اضعف خلقه في الوجود ويضع تهـام الضـالين والمرتديـن الفاسـقين المنافقين المختلفين من جميع الاجنـاس بـالانجيل العزيـز وبالحقيقـة بالشهود المنقوب من مرتب منزلـة الصـبر؛ صبـورا علـى ذا الفقـر والآفـات، رافـض الفخـر والكبر، ويكـون لـه انبـات الاهفـة كبـيرة لتعظيم الاجر وطاعة للـه؛ مجتنبـا مـن المحـارم والعيـوب، صـادق القول والوعد؛ حافظ الامان والميمنة؛ خالف الميسرة. لم يغفـل عـن ذكر الله وخشـيته بقلبـه، وتذكـره طرفـة عيـن؛ وان تلحقـه معصيـة يسبقها بالندم ويرتجي من الله العفو والغفران، وثوابه عند الله كبير واجره جسيم على قدر نيتـه وايمانه وعلمـه وطاعتـه إليـه٠ ويزيـده من فضله، ان الله لا يضيع أجـر(١٢٨أ) المحسـنين، يهـب اللـه لـه شرح حقيقة الانجيل العزيز المقفولة؛ والقى علمها في قلبـه وفهمـه، وشرحها في محفوظـه، ونـور قلبـه بايمانـه. وذلـك سـابقة فـي علـم غيبه٠ شارح الحقيقة إذا يشاء الله بشرحها في ذلك المجتمع لطاعته ولا بنظارة العباد، ولإكن الله ينبيهم بالحقيقة؛ والقى فيهمـا مـن كـل حكمة ما يليق بذلك المقام ما دون اختلاف وينذر عباده بها إلى يـوم كان وعده مفعولا تعي العقول فيـه٠ مـامن عبد مومـن يدعـى اليـه يقول: اللهم رب احرس بعين عنايتك لاضعف خلقك شـارح حقيقـة

الانجيل العزيز في المجتمع الاكبر وهيّ امره اليه واجعلني بما اشرح فيها مومنا من الحق؛ ويسر عليَّ حفظها وعامل بما امرت فيها من الحق مومنا، وفي الانجيل العزيز من الطاعة [...] انك على كل شيء قدير، إلا وينظره الله بعين رحمته ويحرسه من جميع (١٢٨ب) الآفات. ومن يرده بالعكس يلعنه الله وملائكته الف مرة في كل يوم الا ان يرجع من ذلك كله حق الرجوع لله.

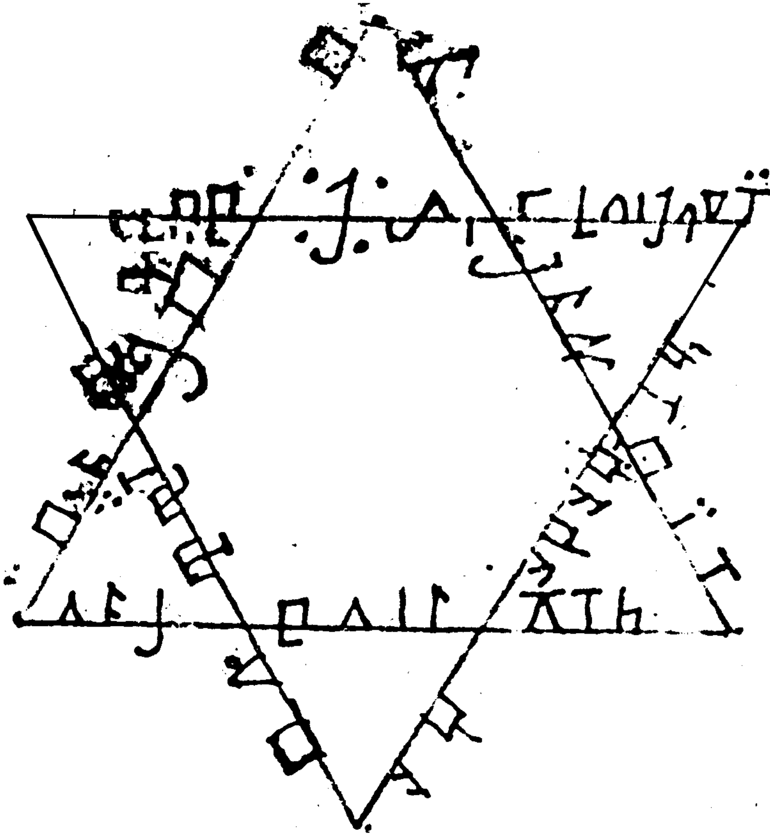
قالت: صف الثامنة، ابدره! قال: اخبرنا عن بركة الموضع الذي يرام الحقيقة عن ثواب زيارة العباد؟ يامولاتنا. فقالت: دليل على بركة الموضع المقدس الذي ترامى الحقيقة؛ والكتب فيه خترته لذلك الأمر وكتبت بذلك؛ فما من عبد مومن طاهر نقي يزوره بنية واخلاص لم يخلط شيء من الشك في الانجيل العزيز وفي الحقيقة روحه وحق الكتب التي معها؛ ويدعى الله بعد اشهارها فيه، ويقول: اللهم رب امنت حق الايمان بكلماتك التامات التي ارسلت بها سيدنا يصوع روحك وبحقيقة انجيلك العزيز الذي شرحت نسختها في ذلك الموضع المقدس والكتاب الثابت الصحيح الذي معها؛ اسئلك باسمك العظيم الاعظم وبمجدك (١٢٩أ) وفضلك ورحمتك على عبادك ان ترفع بها وبه لواء دينك الرشيد على الاديان كلها، وان تؤيد بها وبه مسجدك المومن المقدس وزكي جمهوره الصالح وان تدخل بها وبه عبادك المومنين في كنف رحمتك وان تهتك بها وبه ستر المعاكسين اليها انك على كل شيء قدير؛ الا ويغفر الله له جميع ذنوبه ولو كانت لم تحص في العدد. وان تصدق ان الله يزيد درجته في الجنة على قدر نيته وعلى كل

درهم طيب اعطـاه في ذلك الموضع لتهينة الامر المذكور ٠ واقـول لكم ان ذلك في طاعته ومرضيته؛ وما كان لله حاشا ان يضيع ابـدا لعباده انه يجزي المحسنين الطايعين اليه، ولا خوف من الاعداء٠ ان الله لايهدي القوم الظالمين، وينزل السكينة على قلوب المومنين، والرحمة على عباده اجمعين؛ ليستذانوا لشرح الحقيقة والايمان بها، ويهدي من يشاء منهم بفضله العظيم٠

فلما فرغـت مـن ذلـك القـول (١٢٩ب) اذا قـايلا بـالندا مـن قبـل الحق: يا من لـه الخليفـة الموهوبـة والقـدرة علـى مـن سـبقت عليـه الفضايل ومواهب الثواب الموصوفة على مريم العـذرة فـي جوانـب الثمانية مسايل واوثق كلمت اللعنة والرفـاض مـن جمهـور المسـجد المومن المقدس وصلوحيته على من سبقت عليه الرفض في وصفها وثوابا وفضلا لا ينفد أبدا؛ ولعنة لا ينبغي نقضهـا لاحـد مـن بعـدك حلها الا بحق الرجوع لله عن المحارم٠

قال الخليفة: السمع والطاعة لـرب العـالمين، اشـهدكم يامعشـر الحواريين بمولاتنا مريم العذرة – وهي وانتم معها خير الشـاهدين – على الحق؛ انا اوثق كلمة الاتقان بقدرة الخليفة اليصوعيـة للـذي سبقت عليه كلمت اتقان الفضايل وثواب المواهب كمـا وصـفتهـا فـي جواب المسايل الثمانية؛ ثوابا وفضلا لاينفد ابدا مـن بعـدي؛ واوثـق بالعكس كلمة اتقـان اللعنـة والرفـض (١٣٠أ) مـن جمهـور المسـجد المومن الصالح المقدس على من سبقت عليه كلمة اللعنـة والرفـض في جوابها في الثمانية مسايل المذكورة [....] لا ينبغي نقضها لاحد من بعدي الا [بحق الرجوع] لله من الحرام٠

فلما فرغت من ذلــك [....] انفتــح فرشــه الاعلــى وخــرج منه[....] وكتــب على جدول خاتم سليمان [....] في جدار وسطه هــذه [الستة اسطار] [....] مضــى عن جمهورنا وتد[...]٠



(١٣٠ب) فعند ذلك التفتت الى الصالحة مريم، وقـالت: يـايعقوب! عقيبة الدين اسطر الوصف كلــه، والكتــب [....] الجدول واحفظـه مع الحقيقة في الموضع المقدس [....] يـاتي الحـق والقـول الثـابت الصحيح لطاعة [....] قولي فيهم ويستفدوا من فضايل[....] حقيقـة الانجيل الموصوفة في [....] في آخر الزمـن.

ثم سألها بدره[....] يا مولاتنا ما يعني الكتب على جدول[....] بـالتقوى لاينبغـي فـي وقـت [....] ولاكـن اخـره اللـه لشـارح حقيقـــة [الانجيل...] اخر الزمن.

قال: زدنا على التوريـخ اما يكـون [....] شـهادة الحقيقـة ومـا ياتي بعده، يا [مولاتنا] ؟

قالت: اذا يتعلمون النـاس لغير عمـل صـالح ويتولـون المقـاليد والرتب لغير طاعة الله ولياكلوا عرق العبـاد بهن ظلمـا بغير حـق ويعتمدون على حيالهم لا علـى اللـه؛ ويكـون عيش النسـا فـي كـبر واتباع الرجال بالزنا وقِلّت (١٣١أ) الحيا ويطغى اللباس من الحرير الاسود ويكثر الحديث بالكذب والخداع وتتلى على العبـد كلمـة اللـه ولم تاثر اليها قلوبهم، ويرفع اللـه بركتـه مـن الارض ويطفـى نـور الصالحـ[ـون العـا]لمـون فـي المسـاجد فـي وقـت هـذا يشـ[ـهر... اللـه...] والكتـب فـي الموضــع المقـدس[....] علـى شـرحها فــي المجتمع الاكبر [....] يعود يصـوع روح الله [....] المحمـود الـى الوجـود[....] المسيح الدجـال، والمسيح الدجـال دليـل فـي طلـوع الشمس من المغرب. كمل الكتاب على يد الاعربي

(١٣١ب) واقول الذي قال في كتـاب **المواهـب للثـواب** عـن حقيقـة الانجيل، فهو ظـاهر انـه مخـالف للانجيـل الـذي بـأيديهم الآن ولمـا تعتقده النصـارى مـن الكفـر والتثليـث فـي الالوهيـة. فيكـون موافقـا [....] القرءان العزيز وبه اغنى الله تبـارك وتعـالى [....]الانجيـل وعن كتاب حقيقة [....] السـماوية ونفـع كتـاب حقيقـة [....] الذيـن

قال الله تعـالى فيهم [....] اهـدنا الصـراط المسـتقيم [.... وهـب لنـا] من لدنـك رحمة، انـك انـت الوهاب.

هذا آخر كلامنا في الكتاب

تمت هذه النسخة المباركة في اليوم العشرين من رجب من سنة

احـــدى وخمسين والف على يد المؤلف للكتاب

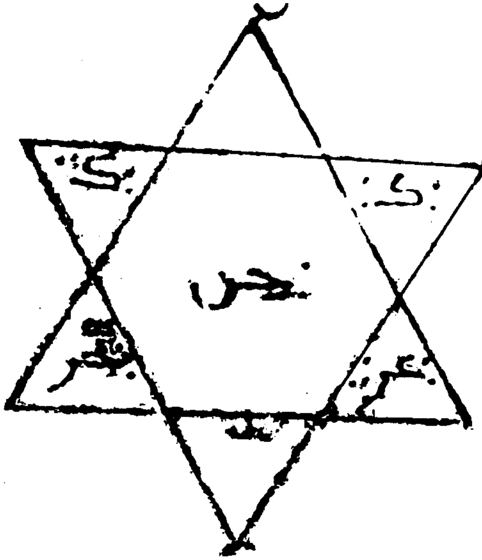
كتبه بمدينة [تونس][1] المحروسة بالله.

والحمد لله على توفيقه.

وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد واله وصحبه وسلم

تسليما كثيرا اثيرا

والحمد لله رب العالمين



[1] الكلمة لا تكاد تبين في النسخة المصورة.